

(٨٢٩)

الصور والبوق

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"٩٧ – قال ابن جريج : أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، Bه ، كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا (١) ، وقال بعضهم : بل بوقا (٢) ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فقال النبي A : يا « بلال قم فناد بالصلاة » وهذا خلاف ما ذكر عبد الرحمن عن الزهري عن سالم ، عن ابن عمر

---

(١) الناقوس : الجرس والمضراب

(**٢) البوق** : الآلة التي تستخدم للتنبيه وتصدر صوتا عند النفخ فيها." [1]

"(ك) ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

" إن طرف صاحب الصور (١) مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان (٢) " (٣)

---

(١) الصور : **البوق** .

(٢) (الدري) : هو النجم الشديد الإضاءة ، وقال الفراء : هو النجم العظيم المقدار ، كأنه منسوب إلى الدر لبياضه وضيائه .

(٣) (ك) ٨٦٧٦ ، انظر الصحيحة : ١٠٧٨." [2]

" (من عذيري من دعوة أوهنت عظمي ... وهدت بهولها أركاني)

(كنت في منظر ومستمتع عنها ... ومن ذا يغتر بالحدثان)

(فنزت بطنتي وهاجت على نفسي ... بلاء ما كان في حسباني)

(كان عيشي صاف فكدره أهل ... صفائي بنو أبي صفوان)

(فارثوا لي يا معاشر الناس من ضري ... ومن طول عطلتي وامتحاني)

(**ضرب البوق في** دمشق ونادوا ... لشقائي في سائر البلدان)

(النفير النفير بالخيل والرجل ... إلى فقر ذا الفتى الواساني)

(جمعوا لي الجموع من خيل جيلان ... وفرغانة إلى ديلمان)

(ومن الروم والصقالب والترك ... وخلقا من بلغر واللان)

(ومن الهند والطماطم والبربر ... والكيلجوح والبيلقان)

(لم يبقوا ممن عددت من الآفاق ... من مسلم ولا نصراني)

(والبوادي من الحجاز إلى نجد ... معديها مع القحطاني)

---

(١) القراءة خلف الإمام للبخاري، ص/١٠١

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٥٨٢/١

(كل ضرب فمن طوال ومن حدب ... قصار والحول والعوران)

(وشيوخ مثل الفراخ وشبان ... رحاب الأشداق والمصران)

(معد جوعت ثلاثين يوما ... بسلاح شاك من الأسنان)

(من مرند ومن تكين وطرخان ... وكسرى وخرد وطعان)

(وخمار وزيرك وعجيب ... وبديع وفارس وجوان)

(وجريج ونار قسطا ويونان ... وبرحفثيا يوحنان)

(وطراد وجهيل وزياد ... وشهاب وعامر وسنان)

(قمس جمعوا بغير عقول ... ردعتهم عني ولا أديان) ." (١)

"٣٩٤٩٨- عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال : استشار النبى - صلى الله عليه وسلم - المسلمين فيما يجمعهم على الصلاة فقالوا البوق فكرهه من أجل اليهود ثم ذكر الناقوس فكرهه من أجل النصارى فأرى تلك الليلة النداء رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر ابن الخطاب وطرق الأنصارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلا فأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلالا فأذن به قال الزهرى وزاد بلال فى بدء صلاة الفجر الصلاة خير من النوم فأقرها نبى الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عمر أما إنى قد رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى (أبو الشيخ فى كتاب الأذان وسنده على شرط أحمد) [كنز العمال ٢٣١٤٩]

أخرجه أيضا : ابن ماجه (٢٣٣/١ ، رقم ٧٠٧) ، والطبرانى فى الأوسط (٣٤/٨ ، رقم ٧٨٧٨) ، وأبو يعلى (٣٧٨/٩ ، رقم ٥٥٠٣) .

٣٩٤٩٩- عبد عن ابن عمر قال : اشتر المصاحف ولا تبعها (عبد الرازق)

أخرجه عبد الرزاق (١١٢/٨ ، رقم ١٤٥٢٢) .." (٢)

"

". . . . .

= عثمان بن أبي شيبة أنه قال: ((ثقة صدوق، وليس بثبت)) ، وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وأربعين، وقيل: سنة إحدى أو اثنتين ومائة. اهـ. من "الجرح والتعديل" (٨ / ٧١٧ رقم ١٤٤٨) ، و"تاريخ أسماء الثقات" (ص٢٢٥ رقم ١٣٦٤) ، و"التهذيب" (١٠ / ١٧٢ - ١٧٣ رقم ٣٢٣) ، و"التقريب" (ص٥٣٤ رقم ٦٧٠٥) .

(٢) هو ابن سعد العوفي، تقدم في الحديث [٤٥٤] أنه ضعيف.

(٣) الصور كهيئة البوق، وقيل: هو البوق الذي يزمر به، والمراد به هنا: القرن الذي ينفح فيه إسرافيل عليه السلام عند

---

(١) قرى الضيف، ٤١٥/١

(٢) جامع الأحاديث، ٣٤٧/٣٦

بعث الموتى إلى المحشر. اهـ. انظر "النهاية في غريب الحديث" (٣ / ٦٠) ، و"الصحاح" للجوهري (٢ / ٧١٦ - ٧١٧) ، و"تحفة الأحوذي (٧ / ١١٧) .

[٥٤٤] سنده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي، وهو صحيح لغيره كما سيأتي.

فللحديث عن أبي سعيد الـخدري رضي الله عنه طريقان:

(١) طريق عطية العوفي هذا الذي أخرجه المصنف هنا عن سفيان، عن مطرف، عنه.

وأخرجه الحميدي في "مسنده" (٢ / ٣٣١ - ٣٣٣ رقم ٧٥٤) .

ومن طريقه الحاكم في "المستدرك"، وقد سقط من المطبوع، وهو في المخطوط (٣ / ل ٢٩٧ / ب) .

وأبو نعيم في "الحلية" (٧ / ٣١٢) .

وأخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده" (١ / ٤٦٤ رقم ٥٤٠) .

والإمام أحمد في "المسند" (٣ / ٧) .

وعبد بن حميد في "مسنده" (ص٢٧٩ رقم ٨٨٦ / المنتخب) .

والترمذي في "سننه" (٩ / ١١٥ - ١١٦ رقم ٣١٩٤) في تفسير سورة الزمر من كتاب التفسير.

جميعهم من طريق سفيان بن عيينة، به نحوه. =." (١)

"أخبرني نافع أن ابن عمر كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة

= عقب المشاورة فيما يفعلونه، وأن رؤيا عبد الله بن زيد كانت بعد ذلك. والله أعلم. وقد أخرج أبو داود بسند صحيح إلى أبي عمير بن أنس عن عمومته من الأنصار، قالوا: اهتم النبي -صلي الله عليه وسلم - للصلاة: كيف يجمع الناس لها؟، فقيل: انصب راية عند حضور وقت الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه، الحديث، وفيه: ذكروا القنع، بضم القاف وسكون النون، يعني البوق، وذكروا الناقوس، فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم، فأري الأذان، فغدا على رسول الله -صلي الله عليه وسلم -، قال: وكان عمر رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر به النبي -صلي الله عليه وسلم -، فقال: ما منعك أن تخبرنا؟، قال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت، فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله، ترجم له أبو

داود: بدء الأذان. وقال أبو عمر بن عبد البر: روى قصة عبد الله بن زيد جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة، ومعان متقاربة، وهي من وجوه حسان، وهذا أحسنها. قلت [القائل ابن حجر]: وهذا لا يخالف ما تقدم: أن عبد الله بن زيد لما قص منامه فسمع عمر الأذان فجاء، فقال قد رأيت-: لأنه يحمل على أنه لم يخبر بذلك عقب إخبار عبد الله، بل متراخيا عنه، لقوله: ما منعك أن تخبرنا؟، أي عقب إخبار عبد الله. فاعتذر بالاستحياء. فدل على أنه لم يخبر بذلك على الفور. وليس في حديث أبي عمير التصريح بأن عمر كان حاضرا عندما قص عبد الله رؤياه، بخلاف ما وقع في

---

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا سعيد بن منصور ١١١٩/٣

روايته التي ذكرتها: فسمع عمر الصوت فخرج فقال-: فإنه صريح في أنه لم يكن حاضرا، عند قص عبد الله، والله أعلم".

أقول: والذي جمع به الحافظ بين الروايات ظاهر وجيد. والرواة يختصرون في الروايات، وبعضهم يذكر ما لا يذكر الآخر، ولا نضرب بعضها ببعض. وقد جاء من حديث ابن عمر رواية أخرى فيها شيء من التفصيل، فروى ابن سعد في الطبقات ١/ ٢/ ٨ من طريق الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه: "أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يجعل شيئا يجمع به الناس للصلاة، فذكر **عنده البوق وأهله**، فكرهه، وذكر الناقوس وأهله، فكرهه، حتى أري رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد الأذان، وأريه عمر بن الخطاب تلك الليلة، فأما عمر فقال: إذا أصبحت أخبرت رسول الله –صلي الله عليه وسلم –، وأما الأنصاري فطرق رسول الله –صلي الله عليه وسلم – من الليل، فأخبره، وأمر رسول الله –صلي الله عليه وسلم –بلالا فأذن بالصلاة، وذكر =." (١)

"٦٠٤ – حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني نافع، أن ابن عمر، كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى –[١٢٥]–، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بلال قم فناد بالصلاة»

__________ W579 (٢١٩/١) –[ش أخرجه مسلم في الصلاة باب بدء الأذان رقم ٣٧٧

(فيتحينون) يقدرون حينها ليأتوا إليها من الحين وهو الوقت والزمن. (بوقا) وهو الذي ينفخ فيه فيخرج صوتا. (قرن) **هو البوق ولعله** بوق فيه التواء مثل قرن الشاة]." (٢)

"باب قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾

__________ W] ش (الصور) البوق. (فصعق) فمات. (من شاء الله) تعالى أن لا يموتوا بهذه النفخة وفي بيان هؤلاء الذين استثناهم الله تعالى أقوال والله تعالى أعلم بمن استثنى. (هم) جميع المخلوقات الذين ماتوا. (قيام) من قبورهم]." (٣)

"باب ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ [النبأ: ١٨]: زمرا

__________ W] ش (**الصور) البوق الذي** ينفخ فيه يوم القيامة. (زمرا) جماعات]." (٤)

"قال مجاهد: «الصور كهيئة البوق» ﴿زجرة﴾ [الصافات: ١٩]: «صيحة» وقال ابن عباس: ﴿الناقور﴾ [المدثر: ٨]: «الصور» ﴿الراجفة﴾ [النازعات: ٦]: «النفخة الأولى» و ﴿الرادفة﴾ [النازعات: ٧]: «النفخة الثانية»." (٥)

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٥٢٩/٥
(٢) صحيح البخاري البخاري ١٢٤/١
(٣) صحيح البخاري البخاري ١٢٦/٦
(٤) صحيح البخاري البخاري ١٦٥/٦
(٥) صحيح البخاري البخاري ١٠٨/٨

"أندى صوتا منك. قال: فخرجت مع بلال إلى المسجد، فجعلت ألقيها عليه وهو ينادي بها، فسمع عمر بن الخطاب بالصوت، فخرج فقال: يا رسول الله، والله لقد رأيت مثل الذي رأى (١).

قال أبو عبيد: فأخبرني أبو بكر الحكمي: أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك:

أحمد الله ذا الجلال وذا الإِكـ ... ـرام حمدا على الأذان كثيرا

إذ أتاني به البشير من اللـ ... ـه فأكرم به لدي بشيرا

في ليال والى بهن ثلاث ... كلما جاء زادني توقيرا.

٧٠٧ - حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي، حدثنا أبي، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استشار الناس لما يهمهم إلى الصلاة، **فذكروا البوق فكرهه** من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس، فكرهه من أجل النصارى، فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال

---

(١) إسناده حسن محمد بن إسحاق -وهو ابن يسار المطلبي- صدوق حسن الحديث وقد صرح بالتحديث، ورواية شعر عبد الله بن زيد آخر الحديث لا تصح لجهالة أبي بكر الحكمي، ثم هو لم يدرك عبد الله بن زيد.

وأخرجه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٧) من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ورواية الترمذي مختصرة، وزاد أبو داود ذكر الإقامة.

وهو في "مسند أحمد" (١٦٤٧٧) و (١٦٤٧٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٦٧٩).

قوله: "أندى صوتا" أفعل تفضيل من النداء، أي: أرفع. قاله السندي.." [(١)]

"٧٠٧ - حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي قال: حدثنا أبي، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم إلى الصلاة، فذكروا البوق، فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس، فكرهه من أجل النصارى، فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم «بلالا به، فأذن» قال: الزهري، وزاد بلال في نداء صلاة الغداة: الصلاة خير من النوم، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: يا رسول الله، قد رأيت مثل الذي رأى، ولكنه سبقني

---

zفي الزوائد في إسناده محمد بن خالد. ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم

s [ش (يهمه) همة الأمر وأهمه إذا أوقعه في الهم. أي لما يوقعهم في لا تعب والشدة. (إلى الصلاة) أي حال كونهم

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ١/٤٥٢

ذاهبين إلى الصلاة مجتمعين لها] .

Kضعيف وبعضه صحيح." (١)

"الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، قال: ثم أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له: "ما منعك أن تخبرني؟ " فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله" قال: فأذن بلال.

قال أبو بشر: فأخبرني أبو عمير أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد لولا أنه كان يومئذ مريضا لجعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مؤذنا (١).

---

(١) إسناده صحيح. هشيم: هو ابن بشير، وقد صرح في رواية زياد بن أيوب بالتحديث، فارتفعت مظنة التدليس عن هشيم. وأبو بشر: هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية. وأبو عمير بن أنس بن مالك الأنصاري قال أبو أحمد الحاكم وابن سعد: اسمه عبد الله، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وصحح حديثه ابن المنذر وابن حزم وغيرهما، وقال الحافظ فى "التقريب": ثقة.

وأخرجه البيهقي ١/ ٣٩٠، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٤/ ٢١ من طريق المصنف، بهذا الإسناد.

قوله: "القنع" قال الخطابى في "غريب الحديث" ١/ ١٧٢ - ١٧٤: قد أكثرت السؤال عن هذا الحرف والنشدة له، فلم أجد فيه إلا دون ما يقنع، واختلفت الروايات فيه، فقال ابن الأعرابى: القنع، وسمعته مرة أخرى يقول: القبع، ثم رواه الخطابي من طريق سعيد بن منصور عن هشيم، وفيه: "القتع" بالتاء، ثم قال: فأما القنع وتفسير الراوي أنه أراد الشبور (البوق)، فإن الرواية إن صحت به أمكن أن يقال على بعد فيه أنه إنما سمي قنعا لإقناع الصوت به، وهو رفعه، أو لأنه أقنعت أطرافه إلى داخله. وإن كانت الرواية القبع فالوجه في تخريجه -وإن كان في البعد مثل الأول أو أشد- أن يكون الشبور إنما سمي قبعا إما لأنه يقبع فم صاحبه، أي: يواريه إذا نفخ فيه، أو لأنه قد ضمت أطرافه إلى داخله. وقال لي أبو عمر الزاهد: إنما هو القثع، وهو البوق، وهذا على ما ذكره أصح الوجوه، ورواية سعيد بن منصور تشهد لذلك، غير أني لم أسمع هذا الحرف من غيره. وأما القتع بالتاء فهو دود يكون في الخشب، والواحدة قتعة. ومدار هذا الحرف على هشيم، وكان كثير اللحن والتحريف على جلالة محله في الحديث رحمه الله.." (٢)

"٥٥٠٣ - حدثنا وهب بن بقية الواسطي، حدثنا خالد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، «أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار المسلمين فيما يجمعهم على الصلاة»، فقالوا: البوق، «فكرهه من

---

(١) سنن ابن ماجه ابن ماجه ٢٣٣/١

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٣٧٠/١

أجل اليهود»، ثم ذكر الناقوس، «فكرهه من أجل النصارى»، فأري تلك الليلة النداء رجل من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، فطرقه الأنصاري، " فأمر به بلالا فأذن بهKإسناده صحيح." [(١)]

"٤٧ – حدثنا الحسن بن سلام وأبو عوف قالا: ثنا أبو نعيم فثنا سفيان عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر قال: كان في الأذان الأول بعد الفلاح: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم.

٤٨ – حدثنا محمد بن سهل بن عسكر فثنا أبو سعيد الحداد ثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار المسلمين فيما يجمعهم على الصلاة **فقالوا: البوق فكرهه** من أجل اليهود، وذكر له الناقوس فكرهه من أجل النصارى، فأري تلك الليلة في المنام النداء رجل من الأنصار، يقال له: عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري النبي صلى الله عليه وسلم ليلا، فأخبره فأمر بلالا فأذن به.

قال الزهري: وزاد بلال في نداء الفجر: الصلاة خير من النوم، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: قد رأيت مثل الذي رأى، ولكن سبقني.

٤٩ – حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن الصباح قالا: أنا جرير، وحدثنا قتيبة بن

---

[٤٧] أخرجه عبد الرزاق (ج١ ص٤٧٣) وابن أبي شيبة (ج١ ص٢١٥) والدارقطني (د١ ص٢٤٣) والبيهقي (ج١ ص٤٢٣) والطحاوي (ج١ ص٩٥) من طرق عن ابن عجلان، وهو عند الطحاوي والبيهقي من طريق أبي نعيم به، وعزاه الحافظ في التخليص (ج١ ص٢٠١) للسراج والطبراني والبيهقي وقال: سنده حسن، قلت: بل فيه ابن عجلان وهو مدلس وقد عنعن.

[٤٨] أخرجه ابن ماجه في باب بدء الأذان (ص٥٢) عن محمد بن خالد بن عبد الله وأبو يعلى رقم: ٥٤٧٩ عن وهب بن بقية كلاهما عن خالد بن عبد الله به، وعزاه المتقي في الكنز (ج٨ ص٣٣٨) رقم: ٢٣١٤٩ لأبي الشيخ في كتاب الأذان، وقال: سنده على شرط مسلم، قلت: لم يحتج بعبد الرحمن مسلم إنما أخرج له في الشواهد ما قال الحاكم، راجع التهذيب (ج٦ ص١٣٨، ١٣٩) وعلله البخاري في جزء اقراءة (ص١٧) راجع تعليقا على مسند أبي يعلى وفي قول الزهري أيضا نظر.

[٤٩] إسناده صحيح، أخرجه مسلم في الصلاة في باب فضل الأذان (ج١ ص١٦٧) عن قتيبة وعثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم قالوا ناجرير به، ورواه ابن خزيمة (ج١ ص٢٠٥) عن يوسف بن موسى به.." [(٢)]

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٣٧٨/٩

(٢) مسند السراج السراج الثقفي ص/٤٨

"٧٨٧٨ – حدثنا محمود، نا وهب بن بقية، ثنا خالد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «استشار المسلمين فيما يجمعهم على الصلاة» ، فقالوا: البوق، فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس، فكرهه من أجل النصارى، فأري تلك الليلة النداء رجل من الأنصار، يقال له: عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، «فأمر نبي الله صلى الله عليه وسلم بلالا، فأذن به» ، فقال عمر: أما إني قد رأيت مثل الذي رأى، ولكنه سبقني «

لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا عبد الرحمن بن إسحاق، ولا عن عبد الرحمن إلا خالد»." (١)

"١٣١٤٠ – حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا وهب بن بقية، ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: استشار المسلمين فيما يجمعهم في الصلاة "، **فقالوا: البوق فكرهه** من أجل اليهود، ثم ذكر الناقوس فكرهه من أجل النصارى، فأري تلك الليلة النداء عبد الله بن زيد رجل من الأنصار، وعمر بن الخطاب فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا «فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن به»." (٢)

"٢٤٩٧ – عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة (٣٦) يأتون النبي – صلى الله عليه وسلم – فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم، فيقول:

"إن يعش هذا لا يدركه الهرم، حتى تقوم عليكم ساعتكم". قال هشام: يعني موتهم.

٢٤٩٨ – عن أبي قتادة بن ربعى الأنصاري أنه كان يحدث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مر عليه بجنازة، فقال:

"مستريح ومستراح منه".

قالوا: يا رسول الله! ما المستريح، والمستراح منه؟ قال:

"العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها، إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب".

٢٤٩٩ – عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله".

٤٣ – باب نفخ الصور

١٣١٢ – قال مجاهد: (الصور): كهيئة البوق. (زجرة): صيحة.

ـــــــــــ

(١) المعجم الأوسط الطبراني ٣٤/٨

(٢) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٨٧/١٢

(٣٦) قوله: (جفاة) بالجيم والنصب في اليونينة؛ خبر كان، ولأبي ذر: (حفاة) بالحاء المهملة والرفع لعدم اعتنائهم بالملابس. اهـ (شارح).

١٣١٢ - وصله الفريابي عنه.." [(١)]

"﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور، عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير﴾ (١)

(ت) ، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ ، قال: " قرن ينفخ فيه " (٢)

قال البخاري ج٨ص١٠٨: قال مجاهد: " ﴿الصور﴾: كهيئة البوق.

قال البخاري ج٦ص٥٥: ﴿الصور﴾: " جماعة صورة،

كقوله: سورة ، وسور. (٣)

---

(١) [الأنعام: ٧٣]

(٢) (ت) ٣٢٤٤ ، (ن) ١١٣١٢ ، (حم) ٦٥٠٧، انظر الصحيحة: ١٠٨٠ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥٦٨

(٣) (الصور) شيء كالقرن ينفخ فيه يوم القيامة.

وقيل: هو جمع صورة ، والمراد بها: الإنسان ، والنفخ فيها -إحياؤها بنفخ الروح فيها.

والقول الأول هو الصحيح ، وعليه إجماع أهل السنة.." [(٢)]

"(ك) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن طرف صاحب الصور (١) مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان (٢) " (٣)

---

(١) الصور: البوق.

(٢) (الدري): هو النجم الشديد الإضاءة، وقال الفراء: هو النجم العظيم المقدار، كأنه منسوب إلى الدر لبياضه وضيائه.

(٣) (ك) ٨٦٧٦ ، انظر الصحيحة: ١٠٧٨." [(٣)]

"٣ - حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني نافع، أن ابن عمر، كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي

---

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٤/١٥٨

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٩/١٠٢

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢/١٥٠

بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بلال قم فناد بالصلاة» ، (خ) ٦٠٤

- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا محمد بن بكر، ح وحدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق قالا: أخبرنا ابن جريج، ح وحدثني هارون بن عبد الله - واللفظ له - قال: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني نافع، مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر أنه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال قم فناد بالصلاة" ، (م) ١ - (٣٧٧)

- حدثنا أبو بكر بن أبي النضر قال: حدثنا الحجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج قال: أخبرنا نافع، عن ابن عمر، قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود، قال: فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال قم فناد بالصلاة". هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر ، (ت) ١٩٠ [قال الألباني]: صحيح

- خبرنا محمد بن إسماعيل وإبراهيم بن الحسن قالا: حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج، أخبرني نافع، عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم: بل قرنا مثل قرن اليهود فقال: عمر رضي الله عنه: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال قم فناد بالصلاة" ، (س) ٦٢٦ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي قال: حدثنا أبي، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم إلى الصلاة، فذكروا البوق، فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس، فكرهه من أجل النصارى، فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلالا به، فأذن" قال: الزهري، وزاد بلال في نداء صلاة الغداة: الصلاة خير من النوم، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: يا رسول الله، قد رأيت مثل الذي رأى، ولكنه سبقني ، (جة) ٧٠٧ [قال الألباني]: ضعيف وبعضه صحيح

- حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر المعنى، قالا: أخبرنا ابن جريج، أخبرني نافع، أن ابن عمر، كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون، فيتحينون الصلاة، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا

ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: " أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال، قم فناد بالصلاة" (حم) ٦٣٥٧

- نا الحسن بن محمد، وأحمد بن منصور الرمادي قالا: حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: ح وحدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري، نا أبو عاصم، عن ابن جريج، ح وحدثنا محمد بن الحسن بن تسنيم، نا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج، أخبرني نافع، عن ابن عمر قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادي بها أحد فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أفلا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قم يا بلال، فناد بالصلاة" ، (خز) ٣٦١

- قال أبو بكر: في خبر نافع، عن ابن عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قم يا بلال فناد بالصلاة" ، (خز) ٣٦٤." (١)

"٨ - قال البخاري ج٨ص١٠٨: قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨]
قال مجاهد: «الصور: كهيئة البوق»." (٢)

"إنما هي: «تولبا جدعا» الدال مكسورة. وفي الجدع يقول أبو زبيد [١] : [من البسيط]
ثم استقاها فلم يقطع نظائمها ... عن التضبب لا عبل ولا جدع
وإنما ذلك كقول ابن حبناء الأشجعي: [من الوافر]
وأرسل مهملا جدعا وخفا ... ولا جدع النبات ولا جديب
فنفخ المفضل، ورفع بها صوته، وتكلم وهو يصيح. فقال الأصمعي: لو نفخت بالشبور لم ينفعك! تكلم بكلام النمل وأصب! والشبور: شيء مثل البوق، والكلمة بالفارسية. وهو شيء يكون لليهود، إذا أراد رأس الجالوت أن يحرم كلام رجل منهم نفخوا عليه بالشبور.
٩٦٠-[تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى]
وليس تحريم الكلام من الحدود القائمة في كتبهم، ولكن الجاثليق ورأس الجالوت، لا يمكنهما في دار الإسلام حبس ولا ضرب، فليس عندهما إلا أن يغرما المال، ويحرما الكلام. على أن الجاثليق كثيرا ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر، الذي له من السلطان ناحية.

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٣٧٢/١٠

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٣٠٩/٨

وكان طيمانو رئيس الجاثليق، قد هم بتحريم كلام عون العبادي، عندما بلغه من اتخاذ السراري، فتوعده وحلف: لئن فعل ليسلمن! وكما ترك الأشقيل وميخاييل وتوفيل، سمل عين منويل- وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل؛ وإن كان ذا رأي سملوا عينيه ولم يقتلوه- فتركوا سنتهم فيه.

وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك، في كتابنا على النصارى فإن أردته فاطلبه هنالك.

٩٦١-[معنى بيت لابن أبي ربيعة]

وقال عمر بن أبي ربيعة [٢] : [من الكامل]

لو دب ذر فوق ضاحي جلدها ... لأبان من آثارهن حدور

والحدر: الورم والأثر يكون عن الضرب.

---

[١] ديوان أبي زبيد ٦٤٥، والطرائف الأدبية ١٠٠، وأساس البلاغة (جدع) .

[٢] ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٢٥، واللسان والتاج وأساس البلاغة (حدر) ، وبلا نسبة في اللسان (بين) ، والمخصص ٢/٨٠، والتهذيب ٤/٤٠٨، والعين ٣/١٧٩.." (١)

"تسحب على صرف الليالي ولا ترع ... فجرمك منسي وحبك لابث

وكل أذى تأتيه كيما تملني ... فذاك على ألا أملك باعث

وقال الحسين بن الضحاك:

كأني إذا فارقت شخصك ساعة ... لفقدك بين العالمين غريب

وقد رمت أسباب السلو فخانني ... ضمير عليه من هواك رقيب

فما لي إلى ما تشتهين مسارع ... وفعلك مما لا أحب قريب

أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة ... وغضي على أشياء منك تريب

كأن لم يكن في الناس قبلي متيم ... ولم يك في الدنيا سواك حبيب

إلى الله أشكو إذ ذكرت فلم يكن ... بشكواي من عطف الحبيب نصيب

وقال محرز العكلي:

يظل فؤادي شاخصا من مكانه ... وراء الغواني مستهاما متيما

إذا قلت مات الشوق منه تنسمت ... له أريحيات الصبى فتنسما

وقال آخر:

لعمرك ما يدري غني بن مالك ... لعل الهوى بعد التجلد قاتله

وما تحدث الأيام والدهر لم تزل ... لليلى كثيرات الهوى وقلائله

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٢٧٣

وقال قيس بن ذريح:

وإني وإن أزمعت عنها تجلدا. . . على العهد فيما بيننا لمقيم

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا ... إلى الله فقد الوالدين يتيم

ولبعض أهل هذا العصر:

أبى لي الوفاء دوام الجفا ... وحل الحنين عديم العزا

قعدت إلى الوصل مستعطفا ... وقد كنت قبل شديد الإبا

وإني لفي طول كتم الهوى ... وستريه عنك بفرط الجفا

كمن **ينفخ البوق مستخفيا** ... ويضرب بالطبل تحت الكسا

فيا قلب ويحك كن حازما ... إذا تاه رام سبيل النجا

ولا تك ذا عزمة جاهلا ... إذا ما اعتدى لج في الاعتدا

فسل الحقود برعي العهود ... وداو الجفاء برعي الوفا

فأوجع من حمل عتب الصفا ... زوال الصفاء وقطع الإخا

فسامح هواك وكن مدنفا ... أحب الدواء لحب الشفا

وأنشدني أحمد بن يحيى لمجنون بني عامر:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري

وزادني غيره:

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فاجزع لا أغرك بالصبر

فهذا على كل حال أقرب إلى درجة الكمال لأنه إنما يخبر أن اشتياقه ظهر بعد أن كان كامنا وأنه عرض على قلبه العزاء فأبى عليه إلا الوفاء وظهور الشوق بعد كمونه أحسن من رجوع العشق بعد سكونه وفي هذا المعنى الذي اخترناه.

يقول امرؤ القيس:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا ... وحلت سليمى بطن خبت فعرعرا

كنانية باتت وفي الصدر ودها ... مجاورة النعمان والحي يعمرا

وفي ضده هذا المعنى الذي ذممناه بقول الملتمس:

صبا من بعد سلوته فؤادي ... وأسمح للقرينة بالقياد

كأني شارب يوم استقلوا ... وحث بهم إلى الموماة حادي

عقارا عتقت في الدن حتى ... كأن حبابها حدق الجراد

وقال البحتري:

عناني من صدودك ما عناني ... وعاودني هواك كما بداني

وذكرني التباعد ظل عيش ... لهونا فيه أيام التداني

ألام على هوى الحسناء ظلما ... وقلبي في يد الحسناء عاني

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لزياد بن منقذ:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ... ولا شعوب هوى منا ولا نقم

وحبذا حيث تمسي الريح باردة ... وادي أشي وفتيان به هضم

ألموسعون إذا ما جر غيرهم ... على العشيرة والكافون ما جرموا

لم ألق بعدهم قوما فأخبرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم

مخدمون ثقال في مجالسهم ... وفي الرجال إذا صاحبتهم خدم." (١)

"فقدتك يابن أبي طاهر ... وجرعت ثكلك قبل العشاء

فلا برد شعرك برد الشراب ... ولا حر شعرك حر الصلاء

يذبذب قبلك بين الفنون ... فلا للطبيخ ولا للشواء

وقال غيره

وشعر كبعر الكبش مزق بينه ... لسان دعي في القريض وأخبل

وقال الآخر

ألم تر أن شعري سار عني ... وشعرك حول بيتك لا يسير

وله في ضرطة وهب المنسرح

يا ضرطة تخلق الزمان وما ... تبرح إحدى الطرائف الجدد

أرسلها صاحب البريد كما ... قوض بعض الهضاب من أحد

سارت بلا كلفة ولا تعب ... سير القوافي الأوابد الشرد

كأنما طارت الرياح بها ... فألحقتها بكل ذي بعد

لو أن أخباره كضرطته ... إذن كفته مؤونة البرد

وله في ذلك

حيا أبو حسن وهب أبا حسن ... بضرطة طيرت عثنونه خصلا

ثم استمرت فسارت في البلاد له ... كأنما أرسلت من دبره مثلا

وله فيه

يا وهب ذا الضرطة لا تبتئس ... فإن للأستاه أنفاسا

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٦٤

واضرط لنا أخرى بلا حشمة ... كأنما خرقت قرطاسا

وله في غيره

ضرطة في قفاك يحسبه السا ... مع ثوبا من الحرير يقط

وقال علي بن جبلة الهزج

حميد مفزع الأم ... ة في الشرق وفي الغرب

كأن الناس جسم وه ... ومنهم موضع القلب

وقال البحتري في أبي سعيد وقد حبس

وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

وقال الخثعمي لمالك بن طوق

فلا يحسب الواشون حبسك مغنما ... فإن إلى الإصدار ما غاية الورد

وما كنت إلا السيف جرد في الوغى ... فأحمد حينا ثم رد إلى الغمد

وقال إبراهيم بن العباس

وإذا جزى الله امرءا حسنا ... فجزى أخا لي ماجدا سمحا

ناديته عن كربة فكأن ... ناديت عن ليل به صبحا

ونحوه قول ابن المعتز

باتت ركائبنا إليك بنا ... يخبطن أهل النار والنبح

فكأن أيديهن دامية ... يفحصن ليلتهن عن صبح

وللبحتري يمدح علي بن مر

لا تعتب النائل المبذول همته ... وكيف يتعب عين الناظر النظر

توسط الدهر أحوالا فلا صغر ... من الخطوب التي تعرو ولا كبر

كالرمح أذرعه عشر وواحدة ... فليس يزري به طول ولا قصر

ومصعدة في هضاب المجد يطلعها ... كأنه لسكون الجأش منحدر

ما زال يسبق حتى قال حاسده ... له طريق إلى العلياء مختصر

ونحوه قوله

وإذا أبو الفضل استعار سجية ... للمكرمات فمن أبي يعقوب

شرف تتابع كابرا عن كابر ... كالرمح أنبوبا على أنبوب

وقال ابن الرومي يهجو رجلا كان مع ابن عبيد الله بن سليمان بقصيدة ذكرنا أبيات التشبيه منها

أرقت كأني بت ليلى على الجمر ... أراعي كرى بين السماكين والنسر

ولم لا وخنزير مهين يهينني ... فيقضي على نومي وأغضي على قسر

سأشكو إلى مستنكر النكر قاسم ... فينظر في أمري بناظرتي صقر

وجشمت نفسي فيك كل عظيمة ... إلى أن تكلفت الشفاعة من عمرو

فكان جوابي أن حجبت وهكذا ... يكون جواب المبتغي الغيث من قبر

فتى وجهه كالهجر لا وصل بعده ... وإما قفاه ف ه و وصل بلا هجر

وعوج من عمرو تمكن حبله ... كما عوجت كف الصبي من السطر

ولوى عمرو لي لبلاب غيضة ... وطال فما يعني بذرع ولا حزر

وقد لقبوه نهر بوق تعسفا ... وفي الوغد أشباه **من البوق والنهر**

فللقد من طول كنهر معوج ... وللأنف منه **نغمة البوق في** الكفر

وقال المتلمس

وهل لي أم غيرها إن تركتها ... أبى الله إلا أن أكون لها ابنما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يكن ... له درك في أن يبين فأحجما

يداه أصابت هذه حتف هذه ... فلم تجد الأخرى عليها مقدما." (١)

"إذا لم أقتلك فقال نعم ما هؤلاء الذين أخذوني عليهم ثياب بيض على خيل بلق فقال خلوا سبيله يخبر الناس بخبره.

حيلة أخرى، وادعى المختار أنه داعية محمد بن الحنفية وأنه الإمام فلما سمع محمد هم أن يقصده فاحتال فقال إن فيه علامة يضربه الرجل بالسيف فلا يعمل فيه فخاف منه محمد فلم يقصده. حيلة أخرى، المغيرة بن شعبة كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستثقل عصاه وكان يطرحه على قارعة الطريق فيأخذها المارة إلى المنزل فيأخذها منه، كانت هذه عادته ففطن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، فقال لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أخبرته لا ترد ضالة بعدها فأمسك. حيلة أخرى اسكندر لما حارب فور ملك الهند وفي عسكره ألف فيل فنكص عسكره فأعطاه الأمان ومعه ألف صانع يعملون له التماثيل فعملوا ألف تمثال كهيئة الرجال مجوفين وحشوا أجوافها قيرا وكبريتا ونفطا ثم أشعل فيها النار ثم **ضرب البوق فحمرت** تلك الفيلة والسباع وهي تحسبها رجالا فاحترقت مشافرها ومخاليبها فهربت لا تقف لشيء ثم بارز الإسكندر فور ملك الهند فلما دنا منه سمع وجبة في عسكره فنظر إليها فحمل عليه بالسيف وقتله. حيلة أخرى، ملك شمر أي سمرقند ترجمته أن شمر هدمها وسار إلى الصين فجمع ملك الصين وزراءه ثم استشارهم فقال واحد منهم أثر." (٢)

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٧١

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٥١٧

"١٠٦ حماقة متمكنة ورقاعة متبينة

كان أبو العباس سهل بن بشر «١» ، ممن ارتفعت في الدولة الديلمية رتبته، وعلت درجته ومنزلته، وضمن واسط والأهواز، على حماقة متمكنة، ورقاعة متبينة.

وكان دأبه تغليط الكتاب، والرد عليهم، وتغيير كتبهم التي ينشؤونها عنه، وعكس حسباناتهم التي يرفعونها إليه، ويعرضونها عليه، بالمحال الفاسد، والمستحيل الباطل.

ولقد قال يوما لأحدهم: ويلك، لم يجب أن تفصل في هذا الموضع، هذا التفصيل الواسع، كان يجب أن يكون بقدر ما تسلكه نملة، وقد جعلته بحيث تسلكه حية، أيش حية بل شاة، أيش شاة بل دابة، أيش دابة، بل جمل، أيش جمل بل فيل، أيش فيل بل كركدن، ثم خرق الكتاب، ورمى به.

وحكى القاضي أبو علي التنوخي، قال: رأيته عدة دفعات، لا أحصيها كثرة، يجلس في مجلس العمل، فإذا كثر عليه الشغل، وضاق به صدره، وغلبت عليه سوداؤه، تركه مفكرا، ثم أخذ الدرج الذي بين يديه، وخرق منه، وفتله، وتخلل به، وأخرجه من فيه، وشمه، ثم رمى به حيث وقع من حجور الناس، أو وجوههم، أو لحاهم، أو عمائمهم.

فاتفق في بعض الأيام، أن وقع من ذلك واحدة في لحية أحمد بن عمر الطالقاني الكاتب، فصوت من فيه، كصوت البوق.." (١)

"ومن أطعم في السوق بما ينفخ **في البوق ومن** جاء ببستوق، وأصحاب البساتين وسراق الروازين ومن ضبر في الصرح ومن سلم في السطح ومن دب بسكين على الحائط من طين ومن جاءك في الحين يحيي بالرياحين وأصحاب الطبرزين كأعوان الدواوين ومن دب بأنين على رسم المجانين وأصحاب المفاتيح." (٢)

"ليس للأمر بصاحب، من لم ينظر في العواقب. انفلت كل إنسان يتهجى ما يشتهي. حين تقلين تدرين. الحائك إذا بطر، سمى ابنته سمانة. عاص غاص، أخرج إحره. ببطر يلعب الشر. الشيطان يدري من ربه، ولكن، تحتر نفسه. الشيطان يعدو بلا منشور، فيكف إذا سجل له. أول الدن دردي. شبر من ألية الحمل، خير من ثلاثة أذرع من ذنب الثور. الليلة في البرية من البلية. سف السويق، **ونفخ البوق لا** يجتمعان. الحولاء مع العور الملوزة العينين. كادت الجدة أن تكون عروسا. الريح تصفق الأبواب، والأبواب تصفق الحيطان، والبلية على صاحب الدار. الحجر يجاز، والعصفور مجاز. فلان كالكعبة، يزار ولا يزور. الجل خير من الفرس. الساجور خير من الكلب.." (٣)

"بعرس في بعض الشوارع بقربطة، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يرمز **في البوق بقول** أحمد بن كليب في أسلم: [من المتقارب] أسلمني في هوا ... ه أسلم هذا الرشا غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٧٩/٧

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٢١١

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣١٤/٦

وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى ومغن محسن يسايره فيها؛ قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائرا، ومقبلا نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس داره نهارا، فإذا صلى صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجا، وبالأخرى قفصا فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده، وقال يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن انت فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه، فقال له: يا أخي وهنا بلغت بنفسك، وإلى هاهنا تبعتني، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهارا، حتى قطعت علي جميع ما لي فيه راحة، فقد صرت من سجنك.

والله، لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلا." (١)

"أعركم طول الجيوش وعرضها ... علي شروب للجيوش أكول

يقول أغركم كثرة رجالكم لا تغرنكم الكثرة فإن سيف الدولة يغلبكم وإن كثر عددكم وأراد بالشرب والأكل الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم شيء لأن ما شرب أو أكل لم تر له عين

إذا لم يكن لليث إلا فريسة ... غداه ولم ينفعك أنك فيل

هذا مثل ضربه يقول أنتم وإن كنتم أكثر عددا فن الظفر دونكم للأسد فلا تنفعكم كثرتكم كالفيل مع الليث فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد

إذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة ... هي الطعن لم يدخلك فيه عذول

إذا لم تدخلك الشجاعة في الطعن لم يدخلك فيه العذل يعني أن التحريض لا يحرك الجبان

فإن تكن الأيام أبصرن صوله ... فقد علم الأيام كيف تصول

أن أبصرت الأيام صولته على أهل الروم فقد علمها كيف تصول يعني أن الأيام تتعلم منه البأس

فدتك ملوك لم تسم مواضيا ... فإنك ماضي الشفرتين صقيل

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ... ففي الناس بوقات لها طبول

الوق قد جاء في كلام العرب أنشد الأصميع، زمر النصارى زمرت في البوق، ومنه سميت الداهية بائقة ويقال أباق عليهم

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم ابن حزم ص/٣١٦

الدهر أي هجم عليهم كما يخرج الصوت من البوق ويجمع على بوقات وإن كان مذكرا وهو جائز كما قالوا حمام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير والمعنى أنك إذا كنت سيف الدولة فغيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل أي لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك وعني ببعض الناس سيف الدولة هذا هو الظاهر من معنى البيت وقال أبو الفضل العروضي أراد بالبوق الطبل الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون في اشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره في الناس كالبوق والطبل اللذين هما لأعلام الناس بما يحدث

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله ... إذ القول قبل القائلين مقول

يقول أنا الذي أسبق واتقدم غيري إلى ما أقوله يعني أنه يخترع المعاني البكر الـتي لم يسبق غليها إذا قال ما سبق إليه

وما لكلام الناس فيما يريبني ... أصول ولا للقائليه أصول

أي ما يتكلم به حسادي فيما يريبني ليس له أصل ولا لهم أي انهم يكذبون علي فلا أصل لما يقولون لأنه كذب ولا أصل لهم أي لا نسب يعرف بذلك

أعادي على ما يوجب الحب للفتى ... وأهدأ والأفكار في تجول

أي أعادي على علمي وفضلي وتقدمي في الشعر وذلك مما يوجب الحب لا العداوة واسكن أنا وأفكاري تجول في ولا تسكن

سوى وجع الحساد داو فإنه ... إذا حل في قلب فليس يحول

أي لا تشتغل بمداواة حسد الحساد فإن الحسد إذا نزل في القلب لا يتحول عنه

ولا تطمعن من حاسد في مودة ... وإن كنت تبديها له وتنيل

وإنا لنلقي الحادثات بأنفس ... كثير الرزايا عندهن قليل

يهون علينا أن تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول

فتيها وفخرا تغلب ابنة وائل ... فأنت لخير الفاخرين قبيل

يقول لتغلب وهي قبيلة سيف الدولة أفخري وتيهي فأنت قبيل لخير من فخر يعني سيف الدولة

يغم عليا أن يموت عدوه ... إذا لم تغله بالأسنة غول

تغله تهلكه وتذهب به يقال غاله يقول إذا اهلكه والغول المهلك يقول الغم غول النفس والغضب غول الحلم يقول إذا مات عدوه حتف انفه ولم يحصل مقتولا بسنانه غمه ذلك

شريك المنايا والنفوس غنيمة ... فكل ممات لم يمته غلول
جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله يقول بينه وبين المنايا شركة في النفوس فكل منية لم تكن عن سيفه وسنانه فهو غلول من المنايا

فإن تكن الدولات قسما فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول
يقول إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب ومواضع القتال والموت الزؤام الوحي

لمن هو الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض في هام الكماة صليل
يقول الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد في رؤوس الشجعان وتأخر مدحه فتعتب عليه فقال يعتذر إليه

بأدني ابتسام منك تحي القرائح ... وتقوى من الجسم الضعيف الجوارح." (١)

"٣١٤ - وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال: رأيته عدة دفعات لا أحصيها كثرة، يجلس في مجلس العمل، فإذا كثر عليه الشغل وضاق به صدره وغلبت عليه سوداؤه تركه مفكرا، ثم أخذ الدرج الذي بين يديه وخرق منه وفلته وتخلل به وأخرج من فيه وشمه ثم رمى به حيث وقع من حجور الناس أو وجوههم أو لحاهم أو عمائمهم، فاتفق في بعض الأيام أن وقع من ذلك واحدة في لحية أحمد بن عمر الطالقاني الكاتب، فصوت من فيه كصوت البوق، فتنبه سهل بن بشر من غفلته وقال: ما هذا! وشتمه أفحش شتم، وسبه أقبح سب، فقال له: نصب سيدنا الأستاذ في لحيتي هذا المطرد فظننت أنه يريد الخروج إلى بعض الأسفار، فضربت بالبوق ليعلم ذاك فيصحبه من يريد أن يصحبه ويسير معه فضحك منه الحاضرون.

٣١٥ - وقال القاضي: كان سهل حديدا سفيها شتاما للغلمان، ولم يكن يصبر على خدمته أحد، وشتم يوما بعض الفراشين، فتداخلت الفراش حمية الإسلام ودخل بقربته إلى حجرة خالية بعيدة عن الدار الكبيرة التي فيها الغلمان ليرش خيشا فيها، وقام سهل وراءه يتبعه ويشتمه، ورأى الفراش خلو الموضع من غيرهما، فصفعه بالقربة إلى قطعها على قفاه جميعا، ووقع سهل مغشيا عليه، فداس بطنه ولكم جنوبه، فلما شفى نفسه منه تركه يتخبط وخرج فأخذ ما كان له في خزانة الفراشين وانصرف، وبعد ساعة ما ظهر على سهل وعرف ما جرى عليه، وطلب الفراش بأصحاب الشرط والمراكز والجوازات فلم يوقف له على خبر.
وشتم يوما فراشا آخر فرد عليه، فنهض إليه، وعدا من بين يديه فقال له بحق محمد نبيك قف لي حتى ألحقك! فقال له: بحق عيسى ربك ارجع عني واتركني! وما زالا يعدوان حوالي البستان، وعثرا الفراش فوقعت عمامته فأخذه سهل ومازال

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٦١

يعضها ويخرقها ويقول: اشتفيت والله ثم رجع فجلس في مكانه.

٣١٦ – قال القاضي واجتمع النصارى بجنديسابور إلى مطرانهم وشكوا ما يجري من سهل عليهم من السب والشتم و القذف والصفع، وأنهم لا يأمنون نفرة من المسلمين عليهم لأجله، وفتكة منهم بهم بسببه، فقال لهم أن أكفيكم ذاك في يوم الأحد عند حضوره في البيعة، وفعل المطران ذاك، واستقصى الخطاب له فيه، فقال له: أنت يا أبونا أحمق، إنما أخاطب الناس بما أخاطبهم به عن القائد لا عني، فإن لساني مستعار عنه، ومستأجر لهذا وغيره! فلعنه المطران، وانصرف سهل، وأراد أن يشتم رجلا فقال له: اسمع يا هذا قد وعظني المطران، وأنا رجل مستأجر مع هذا القائد، ولابد لي من أن أمتثل أمره وأؤدي عنه ما يقوله. وقد قال لك: يا زوج كذا وابن كذا ويا أخو كذا! وشتمه وسبه لم فعلت كذا وذكر له ما أراد موافقته عليه وبقي يقول ذلك مدة، ثم قال: هذا طويل، حر أم المطران، ورجع إلى ما كان عليه أولا.

٣١٧ – وقال القاضي كنت عنده يوما ونحن خاليان، فجاء الدواتي بكتاب فقرأه وطواه، وكتب عليه: "لأبي فلان فلان بن فلان من .. " ووقف ثم ق ال لي: ممن؟ فقلت: إما منك أو من الأمير! فقال: صدقت صدقت! وكتب.

٣١٨ – قال القاضي: وحدثني عبيد الله بن محمد الصرومي الشاعر، وكان منقطعا إلى سهل فقال: رأيته يوما وقد سقط غراب على حائط صحن داره، فنعب فتطير من صياحه، وأمر بصفع البواب لما مكن الغراب من دخول الدار.

٣١٩ – كان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن، فلما كثر ذاك على بلال قال له: يا خالد حدثني أحاديث الخلفاء فتخلط وتلحن لحن السقاءان فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب. وكف بصره فكان إذا مر به موكب بلال يقول: ما هذا؟ فيقال: الأمير، فيقول خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع.
فقيل ذلك لبلال فقال له: لا تتقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب! وأمر به فضرب مائتي سوط.
وكان خالد كثير الهفوات، لا يتأمل ما يقول، ولا يفكر فيما يبديه لسانه، وإنما هو قائل ما خطر بباله، ومن ذاك أن سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال: كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان؟ فقال مسرعا عجلا:
أبو منذر جار لها وابن برثن ... فيا لك جارى ذلة وصغار
فأعرض سليمان عنه، وكان حليما كريما.
وكان الحسن يقول: لسان العاقل من وراء قلبه، إذا عرض له القول نظر فيه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، ولسان الأحمق أمام قلبه، فإذا عرض له القول قاله، له أم عليه.." (١)

"يا سعدى! معي إليك رسالة. قالت: وما هي؟ هاتها يا ابن الصديق، فأنشدها البيتين، فتنفست تنفسا شديدا، فقال ابن أبي عتيق: أوه أجبته، والله، بأحسن من بيتيه، وعتق ما ملك أن لو سمعها لنعق وطار.

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٧٩

عاشق يقتله الصد

حدثني محمد بع عبد الله الأندلسي، وكتبه لي بخطه، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ الأندلسي، حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الأديب قال: كنت أختلف في النحو إلى محمد بن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي قضاة الأندلس أسلم ابن عبد العزيز صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان أجمل من رأته العيون، وكان معنا عند محمد بن خطاب أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب والشعر، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك، إلى أن فشت أشعاره فيه، وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل.

فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والكوري الزامر قاعد في وسط المحفل، وفي رأسه قلنسوة وشر، وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه، وكان يزمر لأمير المؤمنين الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم، وهو:

أسلمني في الهوى ... أسلم هذا الرشا.

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا.

وشى بيننا حاسد، ... سيسأل عما وشى.

ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى.." (١)

"فقلت قد رضيت بزيتون واعفيتك من القدرين، فقال: إقرأ ما على الحائط الآخر فإذا عليه:

إشرب على الخير والريق ... لبعدنا الآن من السوق

لا تطلبن الخبز من بيتنا ... فإنما تنفخ في البوق «١»

من دعا أخاه فاستعجله

قال كشاجم في أبيات كتب بها إلى صديق له يدعوه:

فكن جوابي ولا تركن إلى عذر ... فإن ركنت إلى شيء أتيناه

فقد تيقنت أني ما التمست أخا ... مساعدا قط إلا كنت إياه

وكتب أبو مسلم بن بحر إلى أبي سعيد بن نوقة:

تلقاك يومك بالأسعد ... وأعطيت سؤلك في أحمد

فبادر إلي وقيت الردى ... وهب لي صلاتك في المسجد «٢»

وقال آخر:

جعلت فداك قد حضر الطعام ... وصاحت من تأخرك المدام

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ٢٩٧/١

فإما جئتنا عجلا وإلا ... أخذنا في اغتيابك والسلام

وقال منصور:

كتبت والكاس في يمناي مترعة ... وأحسن الناس يلهينا ويسقينا

ونحن في مجلس حل السرور به ... خلوين من ثالث حتى توافينا

فكن جواب كتابي والسلام فما ... أراك تدركنا إلا مجانينا

وقال آخر:

كن جوابي إذا قرأت كتابي ... لا تردن للكتاب جوابا

أعفني من نعم وسوف ولي شغ ... ل، وكن سيدا دعي فأجابا

معاتبة متباطىء

قال بعض الناس: دعاني رجل إلى وليمة في يوم جمعة فمضيت إلى الجامع وتشاغلت فجئته مع العتمة، فقال لي: يا هذا عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات، مضيت إلى الصلاة قبل النداء، وقد قال الله تعالى: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

«٣» . وقال الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض

«٤»." (١)

"- المعنى يقول فدتك ملوك تروم مشابهتك ولم تسم سيوفا مواضي فتماثلك في اسمك وتعادلك في قدرك فإنك السيف اسما وحقيقة وتلقبا وحدك ماضي الشفرتين صقيل الصفحتين

٥٤ - **الغريب البوق هو** الذي ينفخ فيه وأنشد الأصمعي

(زمر النصارى زمرت **في البوق ..**.)

الباطل ومنه قول حسان بن ثابت

(يا قاتل الله قوما كان شأنهم ... قتل الإمام الأمين المسلم الفطن)

(ما قتلوه على ذنب ألم به ... إلا الذي نطقوا بوقا ولم يكن)

والطبل الذي يضرب به والطبل الخلق وما أدرى أي الطبل هو أي أي الناس هو قال لبيد

(ستعلمون من خيار الطبل ...)

وقال أبو الفتح عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق والقياس يعضده إذ له نظائر كثيرة مثل حمام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير في جمع مالا يعقل من المذكر إذ لا يوجد له مثال القلة المعنى انك إذا كنت سيف الدولة فغيرك من الملوك بالإضافة إليك **بمنزلة البوق و الطبل** لا يقومون مقامك وعني ببعض الناس سيف الدولة وهو الظاهر من معنى البيت وقال أبو الفضل العروضي أراد بالبوق والطبل الشعراء الذي يشعرون ذكره ويذكرون في

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٤١/١

أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره في الناس كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث

٥٥ – الغريب كلام مقول وكلمة مقولة المعنى يقول أنا السابق إلى ما أبدعه في القول الهادي إلى ما أغرب به من الشعر لا أهتدي إلى ذلك بمن سبقني بعمره وفاتني بتقدم عصره إذ كان غيري من القائلين لا يخرج عما قيل قبله ولا يورد إلا ما قد قاله قبله غيره والمعنى أنه لا يخترع المعاني التي لم يسبق إليها." (١)

"وبعلمه يهتدي إلى ما أشكل من مسائل الدين وهو نقي القلب لا غش عنده وهو بقية الأبدال يريد أهل الصلاح

٢١ – الغريب نضح الماء إذا رشه على الأرض أو الثوب ينضحه بالكسر والنضح أيضا الشرب دون الري يقال نضح عطشه ينضحه والنضيح الحوض والجمع نضح وكذلك النضح بالتحريك والجمع أنضاح وإنما سمي بذلك لأنه ينضح عطش الإبل أي يبله والنضيح العرق قال الراجز

(تنضح ذفراه بماء صب ... مثل الكحيل أو عقيد الرب)

والمدن جمع مدينة وسميت مدينة لان أهلها يقيمون بها ومنه مدن بالمكان أقام به والبوائق جمع بائقة وهي الداهية يقال باقتهم الداهية تبوقهم بوقا بالفتح وباقتهم بؤوقا على فعول وانباق عليهم هجم عليهم بالداهية كما يخرج الصوت **من البوق وقوله** عليه الصلاة والسلام لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه أي ظلمه وغشمه وغوائله وشره والزلزال بالفتح الاسم وبالكسر المصدر ومنه قوله تعالى ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ المعنى يخاطب صاحبيه يقول لهما خذا ماء رجل هذا الممدوح فرشاه في البلاد فأنها تأمن الزلزلة لأنه رجل صالح من أهل الصلاح

٢٢ – الغريب البقير ثوب لا كم له وهو الذي يلبسه الصبيان ويلبس للأموات عند الكتفين المعنى يقول هو رجل مبارك يستشفي بثوبه من جميع الداء وذلك لما يرجون من بركته لأنه ثوب مبارك فهو يشفي من الإعلال

٢٣ – الإعراب مالئا نصب على الحال والشرق والغرب مفعوله وكذا قلوب الغريب النوال العطاء المعنى يقول هو كريم شجاع فقد ملأ الشرق والغرب بجوده وكرمه وقلوب الرجال ببأسه وشدته

٢٤ – المعنى يقول هو يزهد في الدنيا فلا يطلبها ولا يريدها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها ولكنه يزهد فيها لحقارتها عنده." (٢)

"إنك إذا لمن الظالمين. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

«١» . والله أعلم.

ذكر خبر الأذان

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع «٢» بن جبير، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعيد بن المسيب، قالوا: كان الناس فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم: «الصلاة جامعة»

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٠٨/٣

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٩٧/٣

؛ فيجتمع الناس فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء «٣» يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس؛ فبينماهم على ذلك إذ نام عبد الله ابن زيد الخزرجى، فأرى فى المنام أن رجلا مر وعليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس، قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك؛ تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فأتى عبد الله ابن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذن بذلك» ، ففعل. وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: لقد رأيت مثل الذى رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلله الحمد»." (١)

"منهم جماعة وغرق جماعة وتفرق الباقون، وتخلف صاحبهم عنهم وبقى في نفر يسير فنجا، تم لحقهم وهم متحيرون لفقده، وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه منهم إلا خمسمائة رجل، فأمر بالنفخ في البوق الذى يجتمعون إليه، فنفخ فيه فلم يأته أحد، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التى كانت للزنوج وبها متاعهم، فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل، فأرسل محمد بن سلم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم: ما الذى دعاه إلى الخروج؟ فقتلوه، فلما كان يوم الاثنين لأربع «١» عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين جمع أهل البصرة وحشدوا، لما رأوا من ظهورهم عليه، وانتدب لذلك رجل يعرف بحماد «٢» الساجى وكان من غزاة البحر، وله علم في ركوب السفن، فجمع المطوعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من البلالية والسعدية وغيرهم، وشحن ثلاثة مراكب مقاتلة، ومضى جمهور الناس رجالة، منهم من معه سلاح ومنهم نظارة، فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطىء النهر، فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق «٣» الأصفهانى كمينا في شرقى النهر، وطائفة مع شبل وحسين الحمامى فى غربيه كمينا، وأمر على بن أبان أن يلقى أهل البصرة وأن يتستر هو ومن معه- بتراسهم، ولا يقاتل حتى يظهر أصحابه، وتقدم إلى." (٢)

"القنطرتين، ولم يزل الموفق يقاتلهم على سكرهم حتى تهيأ له فيه ما أحب وحرقه.

فلما فرغ منه عزم على لقاء صاحب الزنج، فأمر باصلاح السفن والآلات للماء والطين، وتقدم إلى ابنه أبى العباس أن يأتى الزنج من ناحية دار المهلبى، وفرق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل، وأمر الناس ألا يزحفوا حتى يحرك علما أسود كان نصبه على دار الكرنبائى، وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت، وكان عبوره يوم الاثنين «١» لثلاث بقين من المحرم، فعجل بعض الناس وزحف نحوهم، فلقيه الزنج فقتلوا منهم وردوهم إلى مواقفهم، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض، وأمر الموفق بتحريك العلم الأسود والنفخ في البوق، فزحف الناس في البر والماء يتلو بعضهم بعضا، فلقيهم الزنج وقد حشدوا واجترأوا بما تهيأ لهم، فلقيهم الجيش بنيات

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٩٩/١٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٢/٢٥

صادقة وبصائر نافذة، واشتد القتال وقتل من الفريقين جمع كثير، فانهزم أصحاب صاحب الزنج وتبعهم أصحاب الموفق، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم مثل ذلك، وحوى الموفق المدينة بأسرها، فغنم أصحابه ما فيها واستنقذوا من كان بقى من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال على بن أبان المهلبى وبأخويه الخليل ومحمد وأولادهما، فسيروا إلى الموفقية، ومضى صاحب الزنج في أصحابه ومعه ابنه انكلاى وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم." (١)

"فلما طال مقام الفرنج عليها راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو ذراد، ويعرف بروزبة «١» ، وبذلوا له مالا وإقطاعا، وكان يتولى حفظ برج يلي الوادى، وهو مبنى على شباك فى الوادى.

فلما تقرر الأمر بينهم وبينه، جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه، وصعد جماعة كثيرة منهم بالحبال، فلما زادت عدتهم على خمسمائة، **ضربوا البوق وذلك** عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة، فاستيقظ ياغى سيان وسأل عن الحال فقيل له: **هذا البوق من** القلعة، ولا شك أنها قد أخذت. ولم يكن من القلعة وإنما من ذلك البرج. فداخله الرعب؛ ففتح باب البلد وهرب فى ثلاثين غلاما، وجاء نائبه ليحفظ البلد، فقيل له: إنه قد هرب، فخرج من الباب الآخر هاربا. وكان ذلك إعانة للفرنج، ولو ثبت ساعة لهلكوا.

ثم إن الفرنج دخلوا البلد من بابه، ونهبوا وقتلوا من فيه من المسلمين.

وأما ياغى سيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إلى عقله وكان كالولهان.

فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ؛ فقال لمن معه: أين أنا؟ فقالوا: على أربعة فراسخ من أنطاكية. فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل.

وجعل يتلهف على ترك أهله وأولاده والمسلمين، ويسترجع؛ فسقط عن فرسه لشدة ما ناله، وغشى عليه. فأراد أصحابه أن يركبوه فلم يكن فيه." (٢)

"ذلك في الشهور، فجمعوا رمضان وشوال رمضانات وشوالات؛ كل هذا تقديما للتأنيث في باب الجمع، وميلا به عن التذكير، ولكل اسم من هذه الأسماء قياس مطرد وباب متسق، عدلوا به عنه وهو معرض. وتركوه وهو سهل ممكن. فلهذا وأشباهه اختار أبو الطيب بوقات على أبواق، والوزن يتم بهما، والضرورة لا تدفع أحدهما.

قال الخصم: هذه اللفظة وإن كانت قليلة عن العرب فقد تكلمت بها، وعرفت قديما في لغتها: وأنشدوا:

رحى طحانة صاح بوقها

وقد روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استشار أصحابه في أمر ينصبه علما للصلاة؛ يجمع الناس عليها؛ قال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى، وقال آخرون: بوق كبوق اليهود، ولسنا نبعد أن تكون الكلمة عربية صحيحة، وأن تكون اللغتان اتفقتا فيها، فإنا نجد لها اشتقاقا وأصلا في العربية مشهورا، وهو قولهم: أصابتنا بوقة من

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٢/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٢/٢٨

المطر؛ أي دفعة. قال رؤبة:

من باكر الوسمي نضاح البوق

ويقولون للشيء إذا انفجر دفعة: انباق، **وهذا البوق المصوت** يندفع فيه الصوت فكأنه ينفجر منه، وينفلت انفلات البوقة من المطر، فإن كانت عربية فباب جمعها معروف، وإن كانت أعجمية فالعرب إذا عربت أعجميا ألحقته بكلامها، وأجرته على أبنيتها؛ ألا تراهم قالوا: مهرق ومهارق، وبلاس وبلس، وبستان وبساتين، ويلمق ويلامق، ورزدق ورزادق، وأمثال ذلك كثير موجود؛ وإنما يعدلون." (١)

"طباعهم عن ذلك وإن أبت عن التناقل [فانتقامنا يتلو] «١» : قل لا يستوي الخبيث والطيب

«٢» وقد علم أن الذي تتعاطونه من نفخ **في البوق إنما** هو كما قلتم للتذكار، فاجتهدوا أن لا يكون لتذكار العجل الحنيذ «٣» الذي له خوار؛ هذه وصايانا لك ولهم فقل لهم: هذه موهبة الدولة وإحسانها إليكم، ولطفها بكم وعاطفتها عليكم، وبصرهم بذلك كلما تلا إحساننا إليهم: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم*

«٤» وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا:

أما بعد حمد الله على أن جعل ملاحظة هذه الدولة القاهرة لجميع الملل ناظرة، وإحسانها لا يغفل مصلحة لأولي الأديان غائبة ولا حاضرة، والصلاة على سيدنا محمد الذي جعل ذمته وعهده وفيين لكل نسمة مؤمنة وكافرة– فإن الله تعالى لما مد رواق عدل هذه الأيام الشريفة على كل معاهد: من متقرب ومتباعد، وساوى بينهم في النظر الذي صدق الرأي وصدق الرائد– اقتضى جميلها أن يسهم لكل من أهل الذمة أوفر نصيب، وأن لا يقال لأحد منهم من الإجحاف ما يريب، وأن لا تكون أمورهم مضاعة، ولا تعبداتهم مراعة، ولا شرائعهم غير مصونة، ولا أحكامهم عارية [عن] «٥» حسن معونة؛ وكانت جماعة اليهود وإن كانوا أولي غي، وصدق النصارى فيهم وصدقوا في النصارى من أنهم ليسوا على شي، لا بد لهم من مباشر يأخذهم بالأمر الأحوط، والناموس." (٢)

"ويكون جلوسه داخل سبعة أبواب، ينزل الداخلون عليه على الباب الأول، وربما أذن لبعضهم بالركوب إلى الباب السادس. وعلى الباب الأول منها رجل معه بوق، فإذا جاء أحد من الخانات أو الملوك أو أكابر الأمراء، نفخ **في البوق إعلاما** للسلطان أنه قد جاءه رجل كبير: ليكون دائما على يقظة من أمره. ولا يزال ينفخ **في البوق حتى** يقارب الداخل الباب السابع، فيجلس كل من دخل عند ذلك الباب حتى يجتمع الكل، فإذا تكاملوا أذن لهم في الدخول، فإذا دخلوا جلس من له أهلية الجلوس ووقف الباقون، وجلس القضاة والوزير وكاتب السر في مكان لا يقع فيه نظر السلطان عليهم، ومد الخوان. ثم يقدم الحجاب قصص أرباب المظالم وغيرهم، ولكل قوم حاجب يأخذ قصصهم، ثم يرفعون جميع القصص إلى حاجب مقدم على الكل، فيعرضها على السلطان ويسمع ما يأمر فيها. فإذا قام السلطان جلس ذلك الحاجب إلى كاتب السر فأدى إليه الرسائل في ذلك فينفذها.

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٤٤٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١١/٣٨٣

ثم يقوم السلطان من مجلسه ذلك ويدخل إلى مجلس خاص، ويدخل عليه العلماء فيجالسهم ويحادثهم ويأكل معهم، ثم ينصرفون، ويدخل السلطان إلى دوره.
أما حاله في الركوب، فإنه كان في قصوره يركب وعلى رأسه الچتر والسلاح دارية وراءه محمولا بأيديهم السلاح. وحوله قريب اثني عشر ألف مملوك، جميعهم ليس فيهم راكب إلا حامل الچتر والسلاح دارية والجمدارية «١» حملة القماش إن كان في غير قصوره. وعلى رأسه أعلام سود في أوساطها تنين عظيم من الذهب، ولا يحمل أحد أعلاما سودا إلا له خاصة. وفي ميسرته أعلام حمر، فيها تنينان ذهب أيضا. وطبوله الذي يدق بها في الإقامة والسفر على مثل الإسكندر. وهو مائتا حمل نقارات، وأربعون حملا من الكوسات الكبار، وعشرون بوقا، وعشرة صنوج «٢»." (١)
"وعاد بعضهم نحويا، فقال: ما الذي تشكوه؟ قال:
حمى جاسية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية، فقال له: لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية.
الفصل الخامس في نوادر المعلمين
قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق، فقلت ما هذه؟ فقال: عندي صغار أو باش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة، فأضربه بالعصا القصيرة، فيتأخر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه، فتقوم إلي الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ **في البوق فيسمع** أهل الدرب ذلك، فيسارعون إلي ويخلصوني منهم.
وحكى الجاحظ أيضا قال: مررت على خربة. فإذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب، فوقفت أنظر إليه وإذا بصبي قد خرج من دار، فقبض عليه المعلم، وجعل يلطمه ويسبه، فقلت عرفني خبره، فقال: هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج، وله كلب يلعب به، فإذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه.
وقال الجاحظ: رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته، فقال: الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت: أحب أن أراهم. فقال: لا أشير عليك بذلك. فقلت: لا بد، قال:
فإذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى.
وقال بعضهم: رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما: هذا عض أذني، فقال الآخر: لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه، فقال المعلم: يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه.
وقال بعضهم: رأيت معلما وهو يصلي العصر، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه، ونظر إلى الصغار وهم يلعبون، وقال: يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافئك إذا فرغت من الصلاة.
وحكي عن الجاحظ أنه قال: ألفت كتابا في نوادر المعلمين، وما هم عليه من التغفل، ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك، فدخلت يوما مدينة، فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة، فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب، فإذا هو

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥/٩٢

كامل الآداب، فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب. قال: فكنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يوما لزيارته، فإذا بالكتاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه، فقيل: مات له عزيز، فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبت إلى بيته وطرقت الباب، فخرجت إلي جارية، وقالت: ما تريد؟ قلت: سيدك، فدخلت، وخرجت، وقالت: باسم الله، فدخلت إليه، وإذا به جالس، فقلت: عظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم قلت له: هذا الذي توفي ولدك؟ قال لا، قلت: فوالدك، قال: لا، قلت: فأخاك؟ قال: لا، قلت:

فزوجتك؟ قال: لا، فقلت: وما هو منك؟ قال: حبيبتي.

فقلت في نفسي: هذه أول المناحس، فقلت: سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها، فقال: أتظن أني رأيتها؟ قلت: وهذه منحسة ثانية. ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟

فقال: اعلم إني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي على فؤادي مثلما كانا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به ... فكيف يلعب بالإنسان إنسانا

فقلت في نفسي: لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها، ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها، فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت، فحزنت عليها، وأغلقت المكتب وجلست في الدار، فقلت: يا هذا إني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قوي عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس في نوادر المتنبئين

ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد، فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي يقال عنك؟ قال: إني نبي كريم. قال: فأي شيء يدل على صدق دعواك؟ قال: سل عما شئت. قال:

أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى،." (١)

"والمواغدة لعبة وأن تفعل كفعل صاحبك.

والباقر لعبة.

والبقيري لعبة.

والجعري لعبة الصبيان وهو أن يحمل الصبي بين أثنين على أيديهما.

والحاجورة لعبة تخط الصبيان خطا مدورا ويقف فيه صبي ويحيطون به ليأخذوه.

والدكر لعبة للزنج والحبش.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٧٦

والسحارة شيء يلعب به الصبيان.

والسدر لعبة للصبيان.

والعرعرة لعبة للصبيان.

والشعارير لعبة.

والمنجار لعبة للصبيان أو الصواب الميجار.

والتوز خشبة يلعب بها بالكجة.

العرز عرز لفلان قبض على شيء في كفه ضاما عليه أصابعه يريه منه شيئا لينظر إليه ولا يريه كله.

والقفيزي لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها.

والنفاز لعبة لهم يتنافرون فيها أي يتواثبون.

والبكسة الكجة.

والحوالس لعبة للصبيان.

والدسة لعبة.

والدعسكة لعب للمجوس كالرقص.

والفسفسي لعبة لهم.

والفاعوس والفاعوس لعبة لهم.

والبوصاء لعبة لهم يأخذون عودا في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم.

والرقاصة لعبة.

والحوطة لعبة تسمى الدارة.

والخطة لعبة للأعراب.

والضبطة لعبة لهم.

والتضرفط وهو أن تركب أحدا رجليك من تحت إبطيه وتجعلهما على عنقه.

والمقط مقط الكرة ضرب بها الأرض ثم أخذها.

والضريفطية لعبة لهم.

والمرصاع دوامة الصبيان وكل خشبة يدحى بها.

واليرمع الخذروف وقلوبع لعبة لهم.

والجحفة اللعب بالكرة.

والخذروف شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي ويسمى أيضا الخذرة والقرصافة والخذروف أيضا طين يعجن يعمل شبيها بالسكر يلعب به الصبيان.

والزحلوفة تزلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله والعياف لعياف والطريدة لعبتان لهم.

وقاصة قرصافة لعبة لهم.

والحزقة ضرب من اللعب.

والدبوق لعبة.

والزحلوقة الارجوحة.

والشفلقة لعبة وهوان يكسع إنسانا من خلفه فيصرعه.

والعفقة لعبة.

والعقة التي يلعب بها الصبيان.

والقرق لعب السدر.

والكرك لعبة لهم.

ودبى حجل لعبة.

والدخيلياء لعبة لهم.

والدرقلة لعبة لل صبيان.

والدركلة لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هي حبشية.

والفئال لعبة للصبيان يخبون الشيء في التراب ثم يقسمونه ويقولون في أيها هو.

والفيال لعبة لفتيان العرب.

والدمة لعبة.

والدوامة التي يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى أيضا المرصاع.

والمرغمة لعبة لهم.

والشحمة لعبة لهم.

وعظم وضاح لعبة لهم.

والمهزام عود يجعل رأسه نار يلعبون به.

والبرطنة ضرب من اللهو كالبرطمة.

والتون خرقة يلعب عليها بالكجة.

والطبن لعبة لهم.

والقنين لعبة يتقامر بها.

والكبنة لعبة.

والدمة لعبة للصبيان.

والمجذاء خشبة مدورة تلعب بها الأعراب.

والمخاساة خاساه لاعبه بالجوز فردا أو زوجا.

والقزة لعبة.

والقلة عودان يلعب بها الصبيان.

لشحر فاه وشحاه وعجاه وزاد صراخا وضجيجا وهو يقول المرأة المرأة. إلا فلاعبوني بالمرأة. ولو إنك طربته.

بالرباب معروف.

والعرطبة العود أو الطنبور أو الطبل أو طبل الحبشة.

والكوبة البربط والطبل الصغير المخصر.

والدريج شيء كالطنبور يضرب به.

والصنج شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر وآلة باوتار يضرب بها معرب والصيار صوت الصنج.

والونج ضرب من الاوتار أو العود أو المعزف.

والعود معروف.

والمزمار ما يزمر به ويقال أيضا الزمخر والزنبق والصلبوب والنقيب والقصابة والهبنوقة.

والمزهر العود يضرب به.

والشبور البوق ويقال له ايضا القبع والقشع والقنع والصور.

والطنبور معروف.

والكنارات العيدان أو الدفوف أو الطبول أو الطنبور.

والكوس الطبل.

والبربط العود.

والشياع مزمار الراعي.

والهيرعة اليراعة يزمر بها الراعي.

والدف معروف.

والمستقة آلة يضرب بها الصنج ونحوه.

والعركل الدف والطبل.

والصغانة من الملاهي معربة.

والطبن الطنبور أو العود.

والقنين الطنبور.

والكران العود أو الصنج.

والون الصنج.

لظل فاغرا فاه وهو يزعق ويقول المرأة المرأة. إلا فطربوني بالمرأة. ولو اطعمته.
الجواذب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم.." (١)

"ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس، قال في التاج (٤: ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى، والمرجع أن أصل الكلمة من اليونانية (كلمة يونانية) ومعناها الهيكل والمدفن ومما ذكروه للنصارى (البوق) وهو النفير الذي ينفخ فيه أنشد الأصمعي (التاج ٦: ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكندي: "زمر النصارى زمرت في البوق".

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الأبواق في حفلاتهم.

ومن غريب ما نسبوا إلى النصارى إكرام (الوثن) كما مر سابقا وقالوا "الوثن الصليب" وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقوية عند النصارى (أصناما) .

كما دعاها جرير (بالزون) بمعنى الصنم أيضا، حيث قال (تاج العروس ٩: ٢٢٩) : "مشي الهرابذ حجوا بيعة الزون" وفي هذه الأقوال غلط فاحش لأن النصارى لم يعبدوا قط الوثن أو الصنم أو الزون، فضلا عن كون الهرابذة هم المجوس، وإنما يكرمون الصليب والصور لما تمثل لهم من شخص السيد المسيح المصلوب وأولياء الله، وشتان بين هذا وعبادة الأصنام.

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانية

أن أعلام الأشخاص في الأمم القديمة من أصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك أردنا أن نفرد بابا خاصا للإعلام النصرانية التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الإسلام فلعلها تزيدنا علما بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربية.

ومما ينبغي التنبيه إليه بادئ بد أن الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الآشوريين ثم اليونان ثم الرومان لا تفيدنا شيئا بالإطلاق على توحيدهم بل كثير منها على خلاف ذلك يوقفنا على عبادتهم للأوثان وخصوصا للشمس والقمر والكواكب كما أثبتنا ذلك في مقدمة القسم الأول من كتابنا هذا، وكذلك يستدل من تلك الأسماء أن العرب كانوا يعظمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الإعلام الدالة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها إلا بالقول أن العرب الهوا الطبيعة في مظاهرها من القوة والجمال والحياة فرأوا فيها تجليات معبوداتهم.

ومما يولي العجب أننا لا نجد بين هذه الإعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسما واحدا يثبت لنا ما زعمه بعض كتبة العرب بعد الإسلام حيث قالوا بلا سند أن العرب كانوا موحدين وأنهم اخذوا التوحيد عن إبراهيم الخليل وعن إسماعيل أبنه ثم توارثوه بتوالي الإعصار فالأعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى أن اسم إسماعيل أبي العرب عينه

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١١٣

لم يرو لأحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك أننا نجد في تلك الأعلام مالا يدع شبها في شرك العرب كبقية الأمم.
هذا إلى عهد المسيح، وليس الأمر كذلك بعد ظهور النصرانية فإننا إذا استقرينا الأعلام العربية التي رواها أقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسط بين عهد السيد المسيح إلى ظهور الإسلام أمكنا أن نبين من تعدادها أن النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وان تلك السماء إنما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي ولعل البعض يرون أن عدد هذه الأعلام قليل بالنسبة إلى ما ذكرناه عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك: أولا أن العرب النصارى تبعوا غالبا في أسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون أن يمتازوا بأسماء جديدة لم يألفوها في سابق الأجيال.
ثانيا: أن منهم من كان له أكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعمودية يسمون أولادهم باسم يدل على نصرانيتهم وأما في المعاملات العادية فكانوا يطلقون عليهم اسما آخر مألوفا كمالك وصالح وحبيب وسعد.
ثالثا: لا بل نعرف من شهادة تاريخهم أن بعض النصارى في جزيرة العرب تسموا بأسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونسي معناها الأصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب إليه بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلا، وهكذا جرى أيضا ﻟ نصارى اليونان والرومان والسريان فإنهم بعد تنصرهم تسموا بأسماء كان أصلها وثنيا مشيرا إلى معبوداتهم كمركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكن تلك الأسماء فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية.." (١)

"أحالت أي أتى عليها حول فتغيرت، وقال المرار الفقعسي (المفضليات ص٧٤٣) :
عفت الديار غير مثل الأنقس ... بعد الزمان عرفته بالقرطس
(ص٢٢١ س١ الورق) ورد في شعر جرير (نقائض ١٠٣) : أجدك ما تذكر أهل واد=كأن رسومها ورق الكتاب (س٤ الرق) روى ياقوت (٤: ٤٢٢) لعباد بن عوف المالكي قوله:
لمن الديار عفت بالجزع من رقم ... كما يخط بياض الرق بالقلم
(ص٢٢٣ س١٨ وشي الخط وتنميقه) من هذا الباب ما روى في المفضليات (ص٦٩٨) :
كتاب مجير هاج بصير ... ينمقه وجاذر أن يباعا
وروى ياقوت للقتال الكلابي (٢: ٣٦٤) :
تنير ونسدي الريح في عرصاتها ... كما نمنم القرطاس بالقلم والحبر
(ص٢٢٤ س٠ الدواة) جمعها دوى ودوي قال ابو ذؤيب (اللسان ١٨: ٣٠٦) :
عرفت الديار كخط الدوي ... م حيرة الكاتب الحميري
(ي١٤ المداد) منه قول عبد الله بن غنمة (المفصليات ٧٤٣) :

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/١٠٢

فلم يبق إلا دمنة ومنازل ... كما رد في خط الدواة مدادها

وروى هناك لعدي بن الرقاع قوله يصف ثورا:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

(س١٨ النفس) روى ياقوت لمنظور بن فروة فيوصف آثار دار:

كأنها بعد سنين خمس ... خط كتاب معجم بنقس

روى لأبي زياد الكلابي (٤: ٩٧٥) :

أشاقتك الديار بهضب حرس ... كخط معلم ورقا بنقس

(ص٢٢٦ س الأران) هذه اللفظ أصلها من العبراني (عبراني) معناها الصندوق (J.As.1836b,p.282) .

(س١٠ الناؤوس) وقد مر معها ذكر الناموس (ص٢١٤) وهي يونانية (يوناني) ومعناها الشرع وقد ورد كرها في الشعر العربي بمعنى الشرع المسيحي.

جاء في حيث ورقة بن نوفل (في الأغاني ٣: ١٥) : "ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم".

ومن الألفاظ القرآنية التي بقت الإسلام لفظة الأبابيل جاء في سورة الرسول لابن هشام (ص٥٩٨) لأمية بن أبي الصلت:

حول شياطينهم أبابيل ... ربيون شدوا سنورا مدسورا (كذا)

س١٢ البوق) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص١٠٤١) في رثاء جرير للأخطل:

وتبكي بنات أبي مالك ... ببوق النصارى ومن مزمارها

(ص٢٢٧ س٢ الأعلام النصرانية) وممن صرحوا بذكر الأعلام النصرانية بين عرب الجاهلية المستشرق رينان في المجلة الأسيوية قال " L'Arabia anteisla-mique offre aussi beaucoup de noms chretiens" (Journ As, 1850,p.248) .

(ص٢٨ س٢٢ آدم) وفي البيان والتبيين للجاحظ (١: ٧٥) رجز لآدم مولى العنبر وكان اسم امرأته أم أيوب.

(ص٢٢٩ س٧ إبراهيم بن أيوب بن محروف) ويروى ابن محروف قال ابن الكلبي (ياقوت ٤: ٢٢٢) : "لا أعرف في العرب الجاهلية من اسمه إبراهيم بن أيوب غيرهما وإنما سميا بذلك للنصرانية" فصواب أما قوله: "إنه لم يعرف غيرهما" فيردده ذكر الذين عددناهم هنا، إبراهيم بن أيوب هذا ينتهي نسبة إلى تميم ومن نسله مقاتل بن حسان الذي ينسب إليه قيصر مقاتل الذي كان بن عين تمر والشام.

(ص٢٣١ ي١٥ حنة) وذكلار في نقائض جرير (ص٩٤٣) : "حنة بنت نهشل ابن دارم كانت أمها ماوية بنت حوي بن سفيان بن مجاشع وأم قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد".

(ص٢٣٢ س١ داؤود) وممن عرف باسم داؤود في الجاهلية داؤد بن عروة ابن مسعود الذي تزوج حبيبة ابن عبيد الله بن جحش الذي ارتد عن الإسلام وتنصر (الطبري ٢: ٢٤٤٥) وورد في نقائض جرير ف حديث يوم تياس (ص١٠٢١) ذكر داؤد أحد بني ذؤيب، أما داؤود بن هبولة فهو الذي قتلة ثعلبة بن عامر الأكبر المعروف بالفاتك قتله يوم القرنين فقال:

نحن الألى أودت ظبات سيوفنا ... داؤد بين القرنتين بحارب

ثم راجع أخبار أبي داؤود الإيادي في الأغاني (٥: ٩٦) : (س٢٢ سليمان) اشتهر بهذا الاسم في الجاهلية وفي أول الإسلام سلمان الارسي قال الشيخ أبو الحسن النيسابوري في كتاب أسباب النزول: "أن سلمان كان من أهل جند نيسابور ومن رهبان المساطرة وأن في أصحابة نزت الآية (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (سورة البقرة عدد ٥٩) ".." (١)

"موسى في الخروج ونشيده في التثنية ثم سفر نشيد الأناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمه بمراثي ارميا. ودونك مثالا من ترجمته وهو وصف أيوب للفرس:

فهل تعطي الجواد يخب عزما ... وتكسو عنقه عرقا بسينا

أتوثبه كمثل جرادة نف ... خ منخره مهيب السامعينا

ببطن الخبث بحاث وثوب ... ببأس يلتقي الحرب الزبونا

ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى ... عن الأسياف لم يحجم جبينا

تصل عليه واقعة سهام ... وترهقه رماح الدارعينا

ويطوي الأرض في وثب ورجز ... ولم يؤمن **لصوت البوق حينا**

إذا **ما البوق ينفخ** قال هه من ... بعيد شنت الهيجا شؤونا

وهذا المثال الآخر من نظمه لمراثي ارميا:

أنى خلا منها الأنيس البلدة ... ملأى شعوب بالجلاء تشتتوا

صارت كأرملة معظمة الملا ... أم القرى ضربت عليها الجزية

تبكي دما والدمع فوق خدودها ... فقدت عزاء خليلها وودودها

أصحابها غدروا بها طرا على ... نمط العدى أضحوا شمات حسودها

ومما طبع له في المطبعة الأمريكية (كتاب السير السيدية على ما أداه إلينا المبشرون اللذين كانوا شهداء الكلمة. رتبها بهذا النسق تتبعا لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا إلى صعود الرب) . وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الأناجيل الأربعة. وقد طبع في مطبعتنا كتاب من جنسه وهو المعروف (بالقلادة الدرية في الأربعة الأناجيل السنية) للأب يوحنا بلو اليسوعي.

ومن مآثر رزق الله حسون كتابان آخران طبعهما في لندن: الأول كتاب النفثات ضمنه أربعين مثلا من أمثال أحد كتبة الروس يدعى ايفان أندريفتش كورلف (I. A. Curlov) فنقلها حسون إلى العربية ونظمها شعرا وألحقها ببعض مقاطيع شعرية من نظمه. والتعسف في كثير منها ظاهر وأغلاطها عديدة هذا منها مثال:

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/٢٢٠

دفع الجوع والدجى الذئب حتى ... أن تداني إلى سهول البقاع

طارقا لحظيرة ناظرا من ... نقب صخر يلوح ضوء شعاع." (١)

"يضرب أحيانا إلى السواد ... فإذا عشقت زنجية فههنا محل التشبيه بالقمر ... أما البيض الرعابيب فتشبيههن بالقمر من فساد الذوق.

قال س. ع: وللألفاظ ألوان عندك؟

قال: لو كنت نابغة لأبصرت في داخلك أخيلة من الجنة؛ ألم يقل أستاذنا آنفا عن "نابغة القرن العشرين": إنه هبط من كوكب إلى كوكب؟ ففي كوكبنا الأول يكون لنا سمع ملون؛ وحس ملون نسمع قرع الطبل أزرق، **ونفخ البوق أحمر**، ورنين النغم الحلو أخضر١، والوجود كله صور ملونة، سواء منه ما يرى وما يحس، وما هو مستخف وما هو ظاهر.

ثم أومأ إلى المجنون الآخر وقال: واسم هذا الأبله كلفظ الحبر، لا أسمعه إلا أسود.

وسكت "النابغة" وسكتنا؛ فقال له س. ع: ما لك لا تتكلم؟ قال: لأني أريد السكوت. قال: فلماذا تريد السكوت؟ قال: لأني لا أريد أن أتكلم.

وتحرك في نفسه الغيظ من المجنون الآخر، فرمى بعينه الفضاء ينظر اللاشيء وقال: إذا أصبح كل النساء ذوات لحى أصبح هذا عاقلا ... فدق الآخر برجله دقات معدودة؛ فثار "النابغة" وقال: من هذا يشتمني؟

قال: س. ع: لم يشتمك أحد، هذا خفق رجل على الأرض.

قال: بل شتمني هذا الخبيث، وسمعي لا يكذبني أبدا، وأنا رجل ظنون، أسيء الظن بكل أحد، وعلامة الحازم "العاقل" سوء ظنه بالناس. فهبه مكما قلت قد خفق بنعله، أو خبط برجله؛ فهو ما يعني من ذلك، وأنا أسمع ما يعنيه، لقد طفح الشعر على قلبي فلا بد لي من هجائه، ولا بد لي أن أذبحه ولو بالكلام، فإني إذا هجوته رأيت دمه في كلماتي، وأريد أن أجعله كالعنز التي كانت عندنا وذبحناها.

ثم انتزع قلم س. ع، وقال: هذه هي السكين. ولكن أسألك يا أستاذي أن تذبحه أنت بكلمتين وتصف له جنونه، فقد عزب عني الشعر ... إن خفقة رجل

---

١ هذا واقع وليس من الخيال؛ فبعض الناس يسمعون الأصوات ويحسون الأشياء ملونة؛ وعلماء الأمراض العصبية يعرفون هذا ويعللونه بأنه صور ذهنية قد لبسها مؤثر من المؤثرات فهو يصبغها.." (٢)

"-سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

قال ابن الأثير: ابتداء دولة الفرنج، لعنهم الله، في سنة ثمان وسبعين، فملكوا طليطلة وغيرها من الأندلس، ثم قصدوا

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ١٧٥/١

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢٩٥/٢

صقلية في سنة أربع وثمانين فملكوها، وأخذوا بعض أطراف إفريقية، وخرجوا في سنة تسعين إلى بلاد الشام، فجمع ملكهم بردويل جمعا كثيرا، وبعث إلى الملك رجار صاحب صقلية يقول: أنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها، وأكون مجاورا لك، فاستشار رجار أكابر دولته، فقالوا: هذا جيد لنا وله، وتصبح البلاد بلاد النصرانية، فضرط ضرطة، وقال: وحق ديني، هذه خير من كلامكم! قالوا: ولم؟

قال: إذا وصل احتاج إلى كلفة كبيرة ومراكب وعساكر من عندي، فإن فتحوا إفريقية كانت لهم ويأخذون أكثر مغل بلادي، وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي وتأذيت بهم، ويقول تميم – يعني ابن باديس –: غدرت ونقضت العهد، ونحن إن وجدنا قوة أخذنا إفريقية، ثم أحضر الرسول، وقال: إذا عزمتم على حرب المسلمين فالأفضل فتح بيت المقدس، تخلصونه من أيديهم، ويكون لكم الفخر، وأما إفريقية فبيني وبين صاحبها عهود وأيمان، فتركوه وقصدوا الشام.

وقيل: إن صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلاءهم على الشام ودخول أتسز إلى القاهرة وحصارها، كاتب الفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملكوه. -[٦٦٦]-

وقيل: إنهم عبروا خليج القسطنطينية وقدموا بلاد قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي، فالتقاهم، فهزموه في رجب سنة تسعين، واجتازوا ببلاد ليون الأرمني فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية فحاصروها، فخاف ياغي سيان من النصارى الذين هم رعيته، فأخرج المسلمين خاصة لعمل الخندق، فأصلحوه، ثم أخرج النصارى كلهم من الغد لعمل الخندق أيضا، فعملوا فيه إلى العصر، ومنعهم من الدخول، وأغلق الأبواب، وأمن غائلة النصارى، وحاصرته الفرنج تسعة أشهر، وهلك أكثر الفرنج قتلا وموتا بالوباء، وظهر من شجاعة ياغي سيان وحزمه ورأيه ما لم يشهد من غيره، وحفظ بيوت رعيته النصارى بما فيها، ثم إن الفرنج راسلوا الزراد أحد المقدمين، وكان متسلما برجا من السور، فبذلوا له مالا، فعامل على المسلمين وطلعوا إلى أن تكاملوا خمسمائة، **فضربوا البوق وقت** السحر، ففتح ياغي سيان الباب، وهرب في ثلاثين فارسا، ثم هرب نائبه في جماعة.

واستبيحت أنطاكية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك في جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين، وأسقط في يد ياغي سيان صاحبها، وأكل يديه ندما حيث لم يقف ويقاتل عن حرمه حتى يقتل، فلشدة ما لحقه سقط مغشيا عليه، وأراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه حيل يتماسك به، بل قد خارت قوته، فتركوه ونجوا، فاجتاز به أرمني حطاب، فرآه بآخر رمق، فقطع رأسه، وحمله إلى الفرنج.

وقال صاحب المرآة: وكثر النفير على الفرنج، وبعث السلطان بركياروق إلى العساكر يأمرهم بالمسير مع عميد الدولة للجهاد، وتجهز سيف الدولة صدقة بن مزيد، فجاءت الأخبار إلى بغداد بأن أنطاكية أخذت، وأن الفرنج صاروا إلى المعرة، وكانوا في ألف ألف إنسان، فنصبوا عليها السلالم، ودخلوها، وقتلوا بها مائة ألف نفس، وسبوا مثل ذلك، وفعلوا بكفرطاب كذلك.

قلت: دافع أهل المعرة عنها، وقاتلوا قتال الموت حتى خذلوا، فقتل بها عشرون ألفا، فهذا أصح. -[٦٦٧]-

وقال أبو يعلى ابن القلانسي: وأما أنطاكية فقتل بها وسبي من الرجال والنساء والأطفال ما لا يدركه حصر، وهرب إلى

القلعة تقدير ثلاثة آلاف تحصنوا بها.

قال أبو يعلى: وبعد ذلك أخذوا المعرة في ذي الحجة.

قال ابن الأثير: ولما سمع قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل بذلك، جمع الجيوش وسار إلى الشام، ونزل بمرج دابق، فاجتمعت معه عساكر الشام، تركها وعربها، سوى جند حلب، فاجتمع معه دقاق وطغتكين أتابك، وجناح الدولة صاحب حمص، وأرسلان صاحب سنجار، وسقمان بن أرتق وغيرهم، فعظمت المصيبة على الفرنج، وكانوا في وهن وقحط، وسارت الجيوش فنازلتهم، ولكن أساء كربوقا السيرة في المسلمين، وأغضب الأمراء وتحامق، فأضمروا له الشر، وأقامت الفرنج في أنطاكية بعد أن ملكوها ثلاثة عشر يوما، ليس لهم ما يأكلونه، وأكل ضعفاؤهم الميتة وورق الشجر، فبذلوا البلد بشرط الأمان، فلم يعطهم كربوقا.

وكان بردويل، وصنجيل، وكندفري، والقمص صاحب الرها، وبيمنت صاحب أنطاكية، ومعهم راهب يرجعون إليه، فقال: إن المسيح كانت له حربة مدفونة بأنطاكية، فإن وجدتموها نصرتم، ودفن حربة في مكان عفاه، وأمرهم بالصوم والتوبة ثلاثة أيام، ثم أدخلهم إلى مكان، وأمر بحفره، فإذا بالحربة، فبشرهم بالظفر وخرجوا للقاء، وعملوا مصافا، فولى بعض العساكر حرب كربوقا، لما في قلبهم منه، وما كان ذا وقت ذا، فاشتغل بعضهم ببعض، ومالت عليهم الفرنج، فهزمتهم، وهربوا من غير أن يقاتلوا، فظنت الفرنج أنها مكيدة، إذ لم يجر قتال يوجب الهزيمة، وثبت جماعة من المجاهدين، وقاتلوا خشية، فحطمتهم الفرنج، واستشهد يومئذ ألوف، وغنمت الفرنج من المسلمين معظم ثقلهم ورختهم.

ثم ساروا إلى المعرة، فحاصروها أياما، ثم داخل المسلمين فشل وهلع، وظنوا أنهم إذا تحصنوا بالدور الكبار امتنعوا بها، فنزلوا من السور إلى -[٦٦٨]- الدور، فرآهم طائفة أخرى، ففعلوا كفعلهم، فخلا مكانهم من السور، فصعدت الفرنج على السلالم، ووضعوا فيهم السيف ثلاثة أيام، وقتلوا ما يزيد على مائة ألف، وملكوا جميع ما فيها.

وساروا إلى عرقة، فحصروها أربعة أشهر، ونقبوا أماكن، ثم صالحهم عليها صاحب شيزر ابن منقذ، فساروا ونازلوا حمص، ثم صالحهم جناح الدولة على طريق إلى عكا.

وفيها شغب الجند على السلطان بركياروق وقالوا: لا نسكت لك حتى تسلم إلينا مجد الملك القمي المستوفي – وكان قد أساء السيرة، وضيق أرزاقهم –، فقال القمي: نفسي فداؤك دعهم يقتلوني ويبقى عليك ملكك، فقال: والله لا مكنتهم منك، وعزم على إخفائه، فقيل له: متي خرج عنك قتلوه، ولكن اشفع فيه، فبعثه وقال للأمراء: السلطان يشفع إليكم فيه، فثاروا به وقتلوه، ثم جاؤوا وقبلوا الأرض بين يدي بركياروق، فسكت.

وقال أبو يعلى: وفيها سار أمير الجيوش أحمد حتى نازل بيت المقدس وحاصره، وأخذه من سقمان بن أرتق.." (١)

"٤٩٢ – ليث بن علي بن محمود بن أبي نصر بن خليل. أبو الفرج ابن السقاء البغدادي البوقي السمسار. [المتوفى: ٦٣٧ هـ]

كان يصنع البوق.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٦٥/١٠

وسمع من أحمد بن المبارك بن درك، وعبيد الله بن شاتيل، ونصر الله القزاز.

أبو الفرج.

توفي في ثامن ربيع الأول.

ويقال له: سبط خليل السقاء.

وقد أجاز للفخر ابن عساكر، وفاطمة بنت سليمان، وأبي نصر محمد بن محمد ابن الشيرازي، وعيسى بن معالي، وأبي بكر بن عبد الدائم، وابن سعد، والقاضي تقي الدين سليمان، وأحمد بن أبي طالب الحجار، وجماعة.

وروى عنه أبو القاسم علي بن بلبان، وغيره.." (١)

"٤٧٠ - أيوب، السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب. [المتوفى: ٦٤٧ هـ]

ولد سنة ثلاث وستمائة بالقاهرة، فلما قدم أبوه دمشق في آخر سنة خمس وعشرين استنابه على ديار مصر، فلما رجع انتقد عليه أبوه أحوالا، ومال عنه إلى الملك العادل ولده. ولما استولى الكامل على حران، وعلى حصن كيفا وآمد وسنجار سلطنه على هذه البلاد وأرسله إليها. فلما توفي الكامل تملك بعده ديار مصر ابنه العادل أبو بكر، فطمع الملك الصالح وقويت نفسه، وكاتب الأمراء، واستخدم الخوارزمية. فاتفق أن الملك الرحيم لؤلؤ صاحب الموصل قصد الصالح وهو بسنجار، فحاصره حتى أشرف على أخذ سنجار، فأخرج من السور في السر القاضي السنجاري، وراح إلى الخوارزمية، فوعدهم ومناهم، فجاؤوا وكشفوا عن سنجار، ودفعوا لؤلؤ عن سنجار، وقيل: كسروه. وكان الجواد بدمشق فضعف عن سلطنتها، وخاف من الملك العادل، فإنه أراد القبض عليه، فكاتب الملك الصالح واتفق معه على أن يعطيه سنجار، والرقة، وعانة بدمشق. فقدم الملك الصالح دمشق وتملكها، وأقام بها أشهرا من سنة ست -[٥٦٣]-

وثلاثين، ثم سار إلى نابلس، وراسل الأمراء المصريين واستمالهم، وكان عمه الصالح إسماعيل على إمرة بعلبك، فقويت نفسه على أخذ دمشق، وكاتب أهلها، وساعده الملك المجاهد صاحب حمص، وهجم على البلد فأخذها، فرد الملك الصالح أيوب ليستدرك الأمر، فخذله عسكره، وبقي في طائفة يسيرة، فجهز الملك الناصر داود من الكرك عسكرا قبضوا على الصالح بنابلس، وأتوا به إلى بين يدي الناصر، فاعتقله عنده مكرما. وتغير المصريون على العادل، وكاتبهم الناصر، وتوثق منهم، ثم أخرج الصالح واشترط عليه إن تملك أن يعطيه دمشق، وأن يعطيه أموالا وذخائر. وسار إلى غزة فبرز الملك العادل بجيشه إلى بلبيس وهو شاب غر، فقبض عليه مماليك أبيه، وكاتبوا الصالح يستعجلونه، فساق هو والناصر داود إلى بلبيس، ونزل بالمخيم السلطاني وأخوه معتقل في خركاه. فقام في الليل وأخذ أخاه في محفة، ودخل قلعة الجبل، وجلس على كرسي الملك. ثم ندم الأمراء، فاحترز منهم، ومسك طائفة في سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

قال ابن واصل: سار الصالح نجم الدين بعد الاتفاق بينه وبين ابن عمه الجواد إلى دمشق، وطلب نجدة من صاحب الموصل لما صالحه، فبعث إليه نجدة. وكان الملك المظفر صاحب حماة معه قد كاتبه، فقدما دمشق فزينت، وتلقاه

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٤/٢٤٧

الجواد. ثم تحول الجواد إلى دار السعادة، وهي لزوجته بنت الأشرف، فكانت مدة ملكه دمشق عشرة أشهر، ثم ندم الجواد واستقل من جاء مع الصالح، فطلب جماعة واستمالهم، فأتاه المظفر وعاتبه واستحلفه، وضمن له ما شرط له الصالح، فخرج من البلد وسار فتسلم سنجار وغيرها. فعند ذلك أخرب صاحب حمص سلمية، ونقل جميع أهلها إلى حمص أذى لصاحب حماة. فلما مات المجاهد رد أهلها وعمروها.

وجاءت الخوارزمية، فاتفق معهم المظفر، ونازل حمص وجد في القتال، فراسل المجاهد الخوارزمية واستمالهم وبذل لهم مالا، فأخذوه، فعرف المظفر فخافهم ورد إلى حماة، وعادت الخوارزمية إلى الشرق فأقاموا في -[٥٦٤]-
بلادهم التي أقطعهم الملك الصالح.

ثم تواترت كتب المظفر ورسله على الصالح يحضه على قصد حمص، وقدم على الصالح عمه الصالح إسماعيل من بعلبك، فأظهر له الود وحلف له، ورجع إلى بلده ليومه.

وأما العادل فانزعج بمصر لقدوم أخيه وأخذه دمشق، وخاف. ثم ورد على الصالح رسول ابن عمه الناصر داود بمؤازرته بأخذ مصر له بشرط أن تكون دمشق للناصر، فأجابه. ثم برز الصالح إلى ثنية العقاب، وأقام أياما ليقصد حمص. وجاءه أستاذ داره حسام الدين بن أبي علي الهذباني من الشرق، فدبر الدولة بعقله وفضله. وجاءته القصاد من أمراء مصر سرا يدعونه إلى مصر ليملكها، فتحير هل يقصد مصر أو حمص؟ ثم رجح مصر فترحل إلى الغور، وبلغه مجيء جماعة أمراء من مصر مقفرين، فنزلوا بغزة. وكان مع الصالح نحو ستة آلاف فارس جياد، وفيهم عماه مجير الدين يعقوب وتقي الدين عباس وجماعة من الأمراء المعظمية، وجاءه الأمراء المصريون بخربة اللصوص، ومعه ولده المغيث عمر. وترك بقلعة دمشق ولده الصغير مع وزيره صفي الدين ابن مهاجر، فمات الصبي، ثم سار إلى نحو نابلس، وكان الناصر داود بمصر، فنزل بجيشه مدينة نابلس ثلاثة أشهر.

ولما لم يقع اتفاق بين الصالح وابن عمه الناصر، ذهب الناصر إلى مصر فتلقاه العادل واتفقا على محاربة الصالح، ووعده العادل بدمشق.

وتواترت على الصالح كتب أمراء مصر يستدعونه لأنه كان أميز من أخيه وأعظم وأخلق بالملك. وممن كاتبه فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، فعلم به العادل فحبسه. واستعمل الصالح نوابه على أعمال القدس، وغزة، وإلى العريش. وجهز عسكرا إلى غزة، وضربت خيمته على العوجاء، وعملوا الأزواد لدخول الرمل، وقدم عليه رسول الخلافة ابن الجوزي. وأرسل إلى الصالح إسماعيل ليمضي معه إلى مصر، فتعلل واعتذر، وسير إليه ولده الملك المنصور محمودا نائبا عنه، ووعده بالمجيء، وهو في الباطن عمال على أخذ دمشق.

ودخلت سنة سبع وثلاثين فبرز العادل إلى بلبيس، وأخذ ابن الجوزي في الإصلاح بين الأخوين على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح مع ما بيده من -[٥٦٥]-
بلاد الشرق، ومصر للعادل. وكان مع ابن الجوزي ولده شرف الدين شاب ذكي فاضل، فتردد في هذا المعنى بين الأخوين حتى تقارب ما بين الأخوين لولا حدث العم إسماعيل، فإنه بقي يكاتب العادل ويقوي عزمه ويقول: أنا آخذ دمشق ثانيا لك. ثم حشد وجمع، وأعانه صاحب حمص. ثم طلب ولده من الصالح، زعم ليستخلفه ببعلبك وتقدم هو، فنفذه إليه،

ونفذ ولده الملك المغيث ليحفظ قلعة دمشق، ولم يكن معه عسكر.
وأما صاحب حماة فأشفق على الصالح وتحيل في إرسال عسكر ليحفظ له دمشق، فأظهر أنه متألم خائف، وأنه يريد أن يسلم حماة إلى الفرنج، وأن نائبه سيف الدين ابن أبي علي قد عرف بهذا منه، وأنه سيفارقه فأظهر الخلاف عليه، فخرج من حماة، وتبعه أكثر العسكر، وطائفة كبيرة من أعيان الحمويين خوفا من الفرنج. ورام المظفر أن يتم هذه الحيلة فما تمت. فسار الأمير سيف الدين بالناس، وقوى المظفر الوهم بأن استخدم جماعة من الفرنج وأنزلهم القلعة، فقوي خوف الرعية. وتبع سيف الدين خلق، فسار وراءه المظفر يظهر أنه يسترضيه فما رجع، فنزلوا على بحيرة حمص، فركب صاحب حمص وأتاهم واجتمع بسيف الدين مطمئنا. ولو حاربه سيف الدين بجمعه لما قدر عليه صاحب حمص، ولكان وصل إلى دمشق وضبطها ولعز على الصالح إسماعيل أن يأخذها. فسأل سيف الدين عن مقدمه فقال: هذا الرجل قد مال إلى الفرنج واعتضد بهم، فطلبنا النجاة بأنفسنا. فوانسه الملك المجاهد، وطلب منه دخول حمص ليضيفه، فأجابه سيف الدين وصعد معه إلى القلعة. وأظهر له الإكرام، ثم بعث إلى أصحابه فدخل أكثرهم حمص، ومن لم يجب هرب. ثم قبض المجاهد عليهم وضيق عليهم، واعتقل الأكابر وعاقبهم وصادرهم حتى هلك بعضهم في حبسه، وبعضهم خلص بعد مدة، وباعوا أملاكهم وأدوها في المصادرة. وهلك في الحبس سيف الدين ابن أبي علي، وهو أخو أستاذ دار الملك الصالح حسام الدين، ويا ما ذاق من الشدائد حتى مات.
وضعف صاحب حماة ضعفا كثيرا، واغتنم ضعفه صاحب حمص فسار وقصد دمشق مؤازرا لإسماعيل، فصبحوا دمشق في صفر سنة سبع، وأخذت بلا قتال. بل تسلق جماعة من خان ابن المقدم من السور، ونزلوا فكسروا قفل -[٥٦٦]- باب الفراديس ودخلوا. ثم قصدوا القلعة، وقاتلوا المغيث ثلاثة أيام، فسلمت بالأمان، ودخل إسماعيل القلعة، وسجن المغيث في برج إلى أن مات به.
فلما وردت أخبار أخذ دمشق فارق الملك الصالح سائر الأمراء والجند وطلبوا بلدهم وأهاليهم، وترحل هو إلى بيسان، وفسدت نيات من معه، وعلموا أنه لا ملجأ له، وأنه قد تلاشى بالكلية، وقالوا له - حتى أعمامه وأقاربه -: لا يمكننا المقام معك وأهالينا بدمشق. فأذن لهم فرحلوا بأطلابهم وهو ينظر إليهم، حتى فارقه طائفة من مماليكه، ولم يبق معه إلا أستاذ داره وزين الدين أمير جاندار ونحو سبعين مملوكا له. فلما جنه الليل أمر أن لا تشعل الفوانيس، ثم رحل في الليل ورد إلى جهة نابلس. فحكى لي الأمير حسام الدين قال: لما رحل السلطان من منزلته اختلفت كلمة من بقي معهم، فأشار بعضهم بالمضي إلى الشقيف والتحصن به، فلم يره مصلحة، وعلم أن عمه يأخذه ويقبض عليه. وأشار بعضهم بالرجوع إلى الشرق، فخاف أن يؤخذ لبعد المسافة وقال: ما أرى إلا التوجه إلى نابلس فالتجئ إلى ابن عمي الملك الناصر. فتوجه إلى نابلس. فلما طلعت الشمس ورأى مماليكه ما هو فيه من القلة واقعهم البكاء والنحيب. واعترضهم جماعة من العربان فقاتلوهم وانتصروا على العرب، ونزلوا بظاهر نابلس.
وقوي أمر الصالح إسماعيل، وجاءته الأمراء وتمكن. وكان وزيره أمين الدولة سامريا أسلم في صباه. وكان عمه وزيرا للأمجد صاحب بعلبك، ومات على دينه.
وأما العادل بمصر فإنه استوحش من الناصر داود وتغير عليه، فخلاه الناصر، ورد إلى الكرك ومعه سيف الدين علي بن

قليج فوافق ما تم على الصالح. فبعث إلى الصالح يعده النصر، وأشار عليه بالنزول بدار الملك المعظم بنابلس. ثم نزل الناصر بعسكره. ثم أمر يوما بضرب البوق، وأوهم أن الفرنج قد أغاروا على ناحيته، فركب معه جماعة الصالح الذين معه، فحينئذ أمر الناصر بتسيير الملك الصالح إلى الكرك في الليل. فلم يصحب الصالح من غلمانه سوى الأمير ركن الدين بيبرس الكبير، وبعث معه جاريته أم خليل شجر الدر، فأنزل بقلعة الكرك بدار السلطنة. وتقدم الناصر إلى أمه وزوجته أن يقوما بخدمة الصالح، وبعث إليه يقول: إنما فعلت هذا احتياطا لئلا يصل إليك -[٥٦٧]-
مكروه من أخيك أو عمك، ولو لم أنقلك إلى الكرك لقصداك. ثم أمر شهاب الدين ونجم الدين ابني شيخ الإسلام بملازمة خدمة الصالح ومؤانسته، وهما من أخص أصحاب الناصر ومن أجناده – وقد ولي الشهاب هذا تدريس الجاروخية بدمشق. ولما تملك الصالح ديار مصر قصداه فأكرمهما وقدمهما، واستناب شهاب الدين على دار العدل. واستشهد نجم الدين على دمياط – وكان أولاد الناصر داود لا يزالون في خدمة الصالح بالكرك، ولم يفقد شيئا من الإكرام.
ثم خير الناصر أصحاب الصالح بين إقامتهم عنده مكرمين وبين السفر إلى أين أحبوا، فاختار أكثرهم المقام عنده، فكان منهم البهاء زهير، وشهاب الدين ابن سعد الدين ابن كسا – وكان والده سعد الدين ابن عمة الملك الكامل– وأما الأستاذ دار حسام الدين ابن أبي علي وزين الدين أمير جندار فطلبا دستورا، فأذن لهما، فقدما على الصالح إسماعيل، فقبض على حسام الدين وأخذ جميع ماله وقيده، وقيد جماعة من أصحاب الصالح نجم الدين، وبقوا في حبسه مدة. ثم حول حسام الدين إلى قلعة بعلبك وضيق عليه.
ولما بلغ العادل ما جرى على أخيه أظهر الفرح ودقت البشائر وزينت مصر، وبعث يطلبه من الناصر فأبى عليه.
فلما كان في أواخر رمضان سنة سبع طلب الملك الناصر داود الصالح نجم الدين فنزل إليه إلى نابلس، فضرب له دهليزا والتف عليه خواصه، ثم أمر الناصر بقطع خطبة العادل، وخطب للصالح. ثم سارا إلى القدس وتحالفا وتعاهدا عند الصخرة على أن تكون مصر للصالح، والشام والشرق للناصر، ثم سارا إلى غزة. وبلغ ذلك العادل فعظم عليه، وبرز إلى بلبيس، وسار لنجدته الصالح إسماعيل من دمشق، فنزل بالغوار من أرض السواد. ثم خاف الناصر والصالح من جيش يلقاهما وجيش خلفهما، فرجعا إلى القدس. فما لبثا أن جاءت النجابون بكتب المصريين يحثون الصالح، فقويت نفسه، وسار مجدا مع الناصر، وتملك مصر بلا كلفة، واعتقل أخاه. ثم جهز من أوهم الناصر بأن الصالح في نية القبض عليه فخاف وغضب وأسرع إلى الكرك. -[٥٦٨]-
ثم تحقق الصالح فساد نيات الأشرفية وأنهم يريدون الوثوب عليه، فأخذ في تفريقهم والقبض عليهم. فبعث مقدم الأشرفية وكبيرهم أيبك الأسمر نائبا على جهة، ثم جهز من قبض عليه، فذلت الأشرفية، فحينئذ مسكهم عن بكرة أبيهم وسجنهم. وأقبل على شراء مماليك الترك والخطائية، واستخدم الأجناد. ثم قبض على أكبر الخدام شمس الدين الخاص، وجوهر النوبي، وعلى جماعة من الأمراء الكاملية، وسجنهم بقلعة صدر بالقرب من أيلة. وأخرج فخر الدين ابن الشيخ من حبس العادل فركب ركبة عظيمة، ودعت له الرعية لكرمه وحسن سيرته، فلم يعجب الصالح ذلك وتخيل، فأمره بلزوم بيته، واستوزر أخاه معين الدين. ثم شرع يؤمر غلمانه، فأكثر من ذلك. وأخذ في بناء قلعة الجيزة، واتخذها سكنا، وأنفق عليها أموالا عظيمة. وكانت الجيزة قبل متنزها لوالده، فشيدها في ثلاثة أعوام، وتحول إليها.

وأما الناصر فإنه اتفق مع عمه الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص فاتفقوا على الصالح.
وأما الخوارزمية فإنهم تغلبوا على حران، وملكوا غيرها من القلاع، وعاثوا وأخربوا البلاد الجزرية، وكانوا شرا من التتار لا يعفون عن قتل ولا عن سبي، ولا في قلوبهم رحمة.
وفي سنة إحدى وأربعين وقع الصلح بين الصالحين وصاحب حمص، على أن تكون دمشق للصالح إسماعيل، وأن يقيم هو والحلبيون والحمصيون الخطبة في بلادهم لصاحب مصر، وأن يخرج ولده الملك المغيث من اعتقال الصالح إسماعيل وكذلك أصحاب الملك الصالح مثل حسام الدين ابن أبي علي ومجير الدين ابن أبي زكري؛ فأطلقهم الصالح إسماعيل، وركب الملك المغيث وبقي يسير ويرجع إلى قلعة دمشق، ورد على حسام الدين ما أخذ له، ثم ساروا إلى مصر. واتفق الملوك على عداوة الناصر داود. وجهز الصالح إسماعيل عسكرا يحاصرون عجلون، وهي للناصر، وخطب لصاحب مصر في بلاده، وبقي عنده المغيث حتى تأتيه نسخ الأيمان، ثم بطل ذلك كله. -[٥٦٩]-
قال ابن واصل: فحدثني جلال الدين الخلاطي قال: كنت رسولا من جهة الصالح إسماعيل، فورد علي منه كتاب وفي طيه كتاب من الصالح نجم الدين إلى الخوارزمية يحثهم على الحركة ويعلمهم أنه إنما يصالح عمه ليخلص المغيث من يده، وأنه باق على عداوته، ولا بد له من أخذ دمشق منه. فمضيت بهذا الكتاب إلى الصاحب معين الدين، فأوقفته عليه، فما أبدى عنه عذرا يسوغ. ورد الصالح إسماعيل المغيث إلى الاعتقال، وقطع الخطبة، ورد عسكره عن عجلون، وراسل الناصر واتفق معه على عداوة صاحب مصر. وكذلك رجع صاحب حلب وصاحب حمص عنه، وصاروا كلمة واحدة عليه. واعتقلت رسلهم بمصر.
واعتضد صاحب دمشق بالفرنج، وسلم إليهم القدس، وطبرية، وعسقلان. وتجهز صاحب مصر للقتال وجهز البعوث، وجاءته الخوارزمية، فساقوا إلى غزة، واجتمعوا بالمصريين وعليهم ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحي- وليس هو الذي ملك، بل هذا أكبر منه وأقدم، ثم قبض عليه الصالح نجم الدين وأعدمه -.
قال ابن واصل: فتسلم الفرنج حرم القدس وغيره، وعمروا قلعتي طبرية، وعسقلان وحصنوهما. ووعدهم الصالح بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها. فتجمعوا وحشدوا. وسارت عساكر الشام إلى غزة، ومضى المنصور صاحب حمص بنفسه إلى عكا فأجابوه. فسافرت أنا إلى مصر، ودخلت القدس فرأيت الرهبان على الصخرة وعليها قناني الخمر، ورأيت الجرس في المسجد الأقصى، وأبطل الأذان بالحرم وأعلن الكفر. وقدم - وأنا بالقدس - الناصر داود إلى القدس فنزل بغربيه.
وفيها ولى الملك الصالح قضاء مصر للأفضل الخونجي بعد أن عزل ابن عبد السلام نفسه بمديدة.
ولما عدت الخوارزمية الفرات، وكانوا أكثر من عشرة آلاف، ما مروا بشيء إلا نهبوه، وتقهقر الذين بغزة منهم. وطلع الناصر إلى الكرك، وهربت -[٥٧٠]-
الفرنج من القدس، فهجمت الخوارزمية القدس، وقتلوا من به من النصارى، وهدموا مقبرة القمامة، وأحرقوا بها عظام الموتى، ونزلوا بغزة وراسلوا صاحب مصر، فبعث إليهم الخلع والأموال، وجاءتهم العساكر، وسار الأمير حسام الدين ابن أبي علي بعسكر ليكون مركزا بنابلس. وتقدم المنصور إبراهيم على الشاميين - وكان شهما شجاعا قد انتصر على

الخوارزمية غير مرة – وسار بهم، ووافته الفرنج من عكا وغيرها بالفارس والراجل، ونفذ الناصر داود عسكره فوقع المصاف بظاهر غزة فانكسر المنصور شر كسرة واستحر القتل بالفرنج.

قال ابن واصل: أخذت سيوف المسلمين الفرنج فأفنوهم قتلا وأسرا، ولم يفلت منهم إلا الشارد، وأسر أيضا من عسكر دمشق والكرك جماعة مقدمين؛ فحكي لي عن المنصور أنه قال: والله لقد قصرت ذلك اليوم، ووقع في قلبي أننا لا ننصر لانتصارنا بالفرنج، ووصلت عساكر دمشق معه في أسوأ حال.

وأما مصر فزينت زينة لم تزين مثلها، وضربت البشائر، ودخلت أسارى الفرنج والأمراء، وكان يوما مشهودا بالقاهرة.

ثم عطف حسام الدين ابن أبي علي، وركن الدين بيبرس فنازلوا عسقلان وحاصروا الفرنج الذين تسلموها، فجرح حسام الدين، ثم ترحلوا إلى نابلس، وحكموا على فلسطين والأغوار، إلا عجلون فهي بيد سيف الدين ابن قليج نيابة للناصر داود. ثم بعث السلطان الصالح نجم الدين وزيره معين الدين ابن الشيخ على جيشه، وأقامه مقام نفسه، وأنفذ معه الخزائن، وحكمه في الأمور، وسار إلى الشام ومعه الخوارزمية، فنازلوا دمشق وبها الصالح والمنصور صاحب حمص، فذل الصالح إسماعيل وبعث وزيره أمين الدولة متشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه الصالح؛ فلم يظفر بطائل ورجع. واشتد الحصار على دمشق وأخذت بالأمان لقلة من مع صاحبها، ولفناء ما بالقلعة من الذخائر، ولتخلي الحلبيين عنه، فترحل الصالح إسماعيل إلى بعلبك -[٥٧١]-

والمنصور إلى حمص. وتسلم الصاحب معين الدين القلعة والبلد.

ولما رأت الخوارزمية أن السلطان قد تملك الشام بهم وهزم أعداءه، صار لهم عليه إدلال كبير، مع ما تقدم من نصرهم له على صاحب الموصل وهو بسنجار، فطمعوا في الأخباز العظيمة، فلما لم يحصلوا على شيء فسدت نيتهم له، وخرجوا عليه، وكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقدار– وهو أكبر أمراء الصالح نجم الدين أيوب، وكان بغزة – فأصغى إليهم فيما قيل، وراسلوا صاحب الكرك، فنزل إليهم ووافقهم، وتزوج منهم.

قلت: وكانت أمه أيضا خوارزمية.

ثم طلع إلى الكرك واستولى حينئذ على القدس ونابلس وتلك الناحية، وهرب منه نواب صاحب مصر.

ثم راسلت الخوارزمية الملك الصالح إسماعيل، وحلفوا له فسار إليهم، واتفقت كلمة الجميع على حرب صاحب مصر، فقلق لذلك، وطلب ركن الدين بيبرس فقدم مصر فاعتقله وكان آخر العهد به. ثم خرج بعساكره فخيم بالعباسة، وكان قد نفذ رسوله إلى المستعصم بالله يطلب تقليدا بمصر والشام والشرق، فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب. فلبس التشريف الأسود والعمامة والجبة، وركب الفرس بالحلية الكاملة، وكان يوما مشهودا.

ثم جاء الصالح إسماعيل والخوارزمية ونازلوا دمشق وليس بها كبير عسكر، وبالقلعة الطواشي رشيد، وبالبلد نائبها حسام الدين ابن أبي علي الهذباني، فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلا ونهارا، واشتد بها الغلاء، وهلك أهلها جوعا ووباء. وبلغني أن رجلا مات في الحبس فأكلوه، كذلك حدثني حسام الدين ابن أبي علي.

فعند ذلك اتفق عسكر حلب والمنصور صاحب حمص على حرب الخوارزمية وقصدوهم وتركوا حصار دمشق، وساقوا أيضا يقصدونهم، فالتقى الجمعان، ووقع المصاف في أول سنة أربع وأربعين على القصب – وهي منزلة على بريد من

حمص من قبليها – فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية -[٥٧٢]-
فانكسروا عندما قتل مقدمهم الملك حسام الدين بركة خان، وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة، قتل بركة خان مملوك من الحلبيين، وتشتتت الخوارزمية، وخدم طائفة منهم بالشام، وطائفة بمصر، وطائفة مع كشلوخان ذهبوا إلى التتار وخدموا معهم، وكفى الله شرهم. وعلق رأس بركة خان على قلعة حلب. ووصل الخبر إلى القاهرة فزينت، وحصل الصلح التام والوداد بين السلطان وبين صاحب حمص والحلبيين.
وأما المحارف الملك إسماعيل فإنه التجأ إلى حلب إلى عند ابن ابن أخته الملك الناصر صلاح الدين، فأرسل صاحب مصر البهاء زهير إلى الناصر صلاح الدين يطلب منه إسماعيل، فشق ذلك على الناصر وقال: كيف يحسن أن يلتجئ إلي خال أبي – وهو كبير البيت – وأبعثه إلى من يقتله وأخفر ذمته؟! فرجع البهاء زهير.
وأما نائب دمشق حسام الدين فإنه سار إلى بعلبك وحاصرها، وبها أولاد الصالح إسماعيل، فسلموها بالأمان، ثم أرسلوا إلى مصر تحت الحوطة هم والوزير أمين الدولة والأستاذ دار ناصر الدين ابن يغمور، فاعتقلوا بمصر.
وصفت البلاد للملك الصالح. وبقي الناصر داود بالكرك في حكم المحصور. ثم رضي السلطان على فخر الدين ابن شيخ الشيوخ. وأخرجه من الحبس بعد موت أخيه الوزير معين الدين، وسيره فاستولى على جميع بلاد الناصر داود، وخرب ضياع الكرك، ثم نازلها أياما، وقل ما عند الناصر من المال والذخائر بها، وقل ناصره، فعمل قصيدة يعاتب فيها السلطان، ويذكر فيها ما له من اليد عنده من ذبه عنه وتمليكه ديار مصر، وهي:
قل للذي قاسمته ملك اليد ... ونهضت فيه نهضة المتأسد
عاصيت فيه ذوي الحجى من أسرتي ... وأطعت فيه مكارمي وتوددي
يا قاطع الرحم التي صلتي بها ... كتبت على الفلك الأثير بعسجد
إن كنت تقدح في صريح مناسبي ... فاصبر بعرضك للهيب المرصد
عمي أبوك ووالدي عم به ... يعلو انتسابك كل ملك أصيد
صالا وجالا كالأسود ضواريا ... وارتد تيار الفرات المزبد -[٥٧٣]-
ومنها:
دع سيف مقولي البليغ يذب عن ... أعراضكم بفرنده المتوقد
فهو الذي قد صاغ تاج فخاركم ... بمفصل من لؤلؤ وزبرجد
ثم أخذ يصف نفسه وجوده ومحاسنه وسؤدده، إلى أن قال:
يا محرجي بالقول، والله الذي ... خضعت لعزته جباه السجد
لولا مقال الهجر منك لما بدا ... مني افتخار بالقريض المنشد
إن كنت قلت خلاف ما هو شيمتي ... فالحاكمون بمسمع وبمشهد
والله يا ابن العم لولا خيفتي ... لرميت ثغرك بالعداة المرد
لكنني ممن يخاف حرامة ند ... ما يجرعني سمام الأسود

فأراك ربك بالهدى ما ترتجي ... ليراك تفعل كل فعل مرشد
لتعيد وجه الملك طلقا ضاحكا ... وترد شمل البيت غير مبدد
كيلا ترى الأيام فينا فرصة ... للخارجين وضحكة للحسد

ثم إن السلطان طلب الأمير حسام الدين ابن أبي علي وولاه نيابة الديار المصرية، واستناب على دمشق الصاحب جمال الديـن يحيى بن مطروح. ثم قدم الشام، وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المنصور- وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وصاحب حمص - وهو صغير- فأكرمهما وقربهما، ووصل إلى بعلبك، ثم رد إلى دمشق. ثم قدم على نائب مصر حسام الدين والده بدر الدين محمد بن أبي علي، وقرابته علاء الدين، وكانا في حبس صاحب حمص، فلما مات أطلقهما ابنه، فتوفي بدر الدين بعد قدومه بيسير. ثم رجع السلطان ومرض في الطريق.

حكى لي الأمير حسام الدين قال: لما ودعني السلطان قال: إني مسافر، وأخاف أن يعرض لي موت وأخي العادل بقلعة مصر فيأخذ البلاد، وما يجري عليكم منه خير، فإن مرضت ولو أنه حمى يوم فأعدمه، فإنه لا خير فيه، وولدي تورانشاه لا يصلح للملك، فإن بلغك موتي فلا تسلم البلاد لأحد من أهلي، بل سلمها للخليفة.

وأما عسقلان وطبرية، فلما تسلمتهما الفرنج من الصالح إسماعيل بنوهما، وحصنوا القلعتين فنازلهما فخر الدين ابن شيخ الشيوخ بعدما ترحل عن -[٥٧٤]-
حصار الكرك، ففتحهما وهدمهما. ودقت البشائر. وفتر السلطان عن أخذ حمص لانتماء صاحبها الأشرف، وأبوه إلى السلطان ومؤازرتهما له. ثم قدم الأشرف للسلطان قلعة شميمس فتسلمها. وأما حماة فكانت لابن أخته الملك المظفر وبها الصاحبة أخت السلطان، ثم تملكها الملك المنصور ابن المظفر، وتزوج ببنت أخت السلطان فاطمة خاتون ابنة الكامل، وكانت فاطمة بحلب، وهي والدة صاحبها الآن الملك الناصر صلاح الدين ابن العزيز، فزوج أخته بصاحب حماة في هذه السنة، وجاءت إليه في تجمل عظيم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين فصرف السلطان نيابة مصر عن حسام الدين بجمال الدين ابن يغمور، وبعث الحسام بالمصريين إلى الشام، فأقاموا بالصالحية أربعة أشهر.

قال ابن واصل: وأقمت مع حسام الدين هذه المدة، وكان السلطان في هذه المدة وقبلها مقيما بأشمون طناح، ثم رجعنا إلى القاهرة.

وفيها خرجت الحلبيون وعليهم شمس الدين لؤلؤ الأميني، فنازلوا حمص ومعهم الملك الصالح إسماعيل يرجعون إلى رأيه، فنصبوا المجانيق وحاصروها شهرين، ولم ينجدها صاحب مصر، وكان السلطان مشغولا بمرض عرض له في بيضه، ثم فتح وحصل منه ناسور يعسر برؤه، وحصلت له في رئته بعد قرحة متلفة، لكنه عازم على إنجاد صاحب حمص.

ولما اشتد الخناق بالأشرف صاحب حمص اضطر إلى أن أذعن بالصلح، وطلب العوض عن حمص تل باشر مضافا إلى ما بيده، وهو الرحبة وتدمر، فتسلمها الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني، وأقام بها نوابا لصاحب حلب. فلما بلغ السلطان وهو مريض أخذ حمص غضب وعظم عليه، وترحل إلى القاهرة، واستناب بها ابن يغمور، وبعث الجيوش إلى الشام لاستنقاذ حمص. وسار السلطان في محفة، وذلك في سنة ست وأربعين، فنزل بقلعة دمشق وبعث جيشه فنازلوا

حمص، ونصبوا عليها المجانيق، فمما نصب عليها منجنيق مغربي، ذكر لي الأمير حسام الدين أنه كان يرمي حجرا زنته مائة وأربعون رطلا بالشامي. ونصب عليها قرابغا واثني عشر منجنيقا سلطانية، وذلك في الشتاء.
وخرج صاحب حلب بعسكره فنزل بأرض كفرطاب، ودام الحصار إلى -[٥٧٥]-
أن قدم الباذرائي للصلح بين صاحب حلب وبين السلطان، على أن يقر حمص بيد صاحب حلب، فوقع الاتفاق على ذلك، وترحل عسكر السلطان عن حمص لمرض السلطان، ولأن الفرنج تحركوا وقصدوا مصر، وترحل السلطان إلى الديار المصرية لذلك وهو في محفة. وكان الناصر صاحب الكرك قد بعث شمس الدين الخسروشاهي إلى السلطان وهو بدمشق يطلب منه خبزا بمصر والشوبك لينزل له عن الكرك، فبعث السلطان تاج الدين ابن مهاجر في إبرام ذلك إلى الناصر، فرجع عن ذلك لما سمع بحركة الفرنج، وطلب السلطان نائب مصر جمال الدين ابن يغمور، فاستنابه بدمشق، وبعث على نيابة مصر حسام الدين ابن أبي علي، فدخلها في ثالث محرم سنة سبع. وسار السلطان فنزل بأشمون طناح ليكون في مقابلة الفرنج إن قصدوا دمياط. وتواترت الأخبار بأن ريذا فرنس مقدم الإفرنسيسية قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشتى بجزيرة قبرص، وكان من أعظم ملوك الإفرنج وأشدهم بأسا. وريذ: بلسانهم الملك.
وشحنت دمياط بالذخائر، وأحكمت الشواني. ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر فنزل على جيزة دمياط، فأقبلت مراكب الفرنج فأرست في البحر بإزاء المسلمين في صفر. ثم شرعوا من الغد في النزول إلى البر الذي فيه المسلمون. وضربت خيمة حمراء لريذا فرنس، وناوشهم المسلمون القتال، فقتل يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام، والأمير الوزيري، فترحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس، وقطع بهم الجسر إلى البر الشرقي الذي فيه دمياط، وتقهقر إلى أشمون طناح، ووقع الخذلان على أهل دمياط، فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها أحد. وكان هذا من قبح رأي فخر الدين فإن دمياط كانت في نوبة سنة خمس عشرة وستمائة أقل ذخائر وعددا، وما قدر عليها الفرنج إلى بعد سنة، وإنما هرب أهلها لما رأوا هرب العساكر وعلموا مرض السلطان. فلما أصبحت الفرنج تملكوها صفوا بما حوت من العدد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق، وهذه مصيبة لم يجر مثلها. -[٥٧٦]-
فلما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى السلطان، حنق على الكنانيين الشجعان الذين كانوا بها، وأمر بهم فشنقوا جميعا، ثم رحل بالجيش وسار إلى المنصورة، فنزل بها في المنزلة التي كان أبوه نزلها، وبها قصر بناه الكامل. ووقع النفير العام في المسلمين، فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من المطوعة والعربان والحرافشة، وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم، واستمر ذلك أشهرا، هذا والسلطان يتزايد مرضه، والأطباء قد آيسته لاستحكام السل به.
وأما الكرك فإن صاحبها سافر إلى بغداد، فاختلف أولاده، وسار أحدهم إلى الملك الصالح، فسلم إليه الكرك، ففرح بها السلطان مع ما هو فيه من الأمراض، وزينت بلاده، وبعث إليها الطواشي بدر الدين الصوابي نائبا، وقدم عليه آل الناصر داود فبالغ في إكرامهم وأقطعهم أخبازا جليلة.
إلى أن قال ابن واصل في سيرة الصالح: وكان مهيبا، عزيز النفس، أبيها، عاليها، حييا، عفيفا، طاهر اللسان والذيل، لا يرى الهزل ولا العبث، شديد الوقار، كثير الصمت. اشترى من المماليك الترك ما لم يشتره أحد من أهل بيته، حتى صاروا معظم عسكره، ورجحهم على الأكراد وأمرهم، واشترى - وهو بمصر- خلقا منهم وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه

وسماهم البحرية.
حكى لي حسام الدين ابن أبي علي أن هؤلاء المماليك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ من يعظم هيبة السلطان، فكان إذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفا منه، وأنه لم يقع منه في حال غضبه كلمة قبيحة قط، أكثر ما يقول إذا شتم: يا متخلف. وكان كثير الباه لجواريه فقط، ولم يكن عنده في آخر وقت غير زوجتين، إحداهما شجر الدر، و ا لأخرى بنت العالمة تزوجها بعد مملوكه الجوكندار. وكان إذا سمع الغناء لا يتزعزع ولا يتحرك، وكذلك الحاضرون يلتزمون حالته كأنما على رؤوسهم الطير. وكان لا يستقل أحد من أرباب دولته بأمر، بل يراجع بالقصص مع الخدام، فيوقع عليها بما يعتمده كتاب الإنشاء. وكان يحب أهل الفضل والدين، وما كان له ميل إلى -[٥٧٧]-
مطالعة الكتب، وكان كثير العزلة والانفراد، وله نهمة في اللعب بالصوالجة وفي إنشاء الأبنية العظيمة الفاخرة.
وقال غير ابن واصل في سيرة الملك الصالح: وكان الصالح لا يجتمع بالفضلاء، لأنه لم تكن له مشاركة بخلاف أبيه، وكان اجتماعه بالناس قليلا جدا، بل كان يقتصر على ندمائه المعروفين بحضور مجلس الشراب، كان ملكا مهيبا، جبارا ذا سطوة وجلالة، وكان فصيحا، حسن المحاورة، عفيفا عن الفواحش، فأمر مماليكه الترك، وجرى بينه وبين عمه إسماعيل أمور وحروب إلى أن أخذ نوابه دمشق عام ثلاثة وأربعين، وذهب إسماعيل إلى بعلبك، ثم أخذت من إسماعيل بعلبك، وتعثر والتجأ إلى الناصر صاحب حلب، ولما خرج الملك الصالح من مصر إلى الشام خاف من بقاء أخيه، فقتله سرا، فلم يمتع، ووقعت الآكلة في فخذه بدمشق، ونزل الإفرنس ملك الفرنج بجيوشه على دمياط فأخذها، فسار إليه الملك الصالح في محفة حتى نزل بالمنصورة عليلا، ثم عرض له إسهال إلى أن توفي ليلة النصف من شعبان بالمنصورة وأخفي موته حتى أحضر ولده الملك المعظم من حصن كيفا، وملكوه بعده.
فذكر سعد الدين: أن ابن عمه فخر الدين نائب السلطنة دخل من الغد خيمة السلطان، وقرر مع الطواشي محسن أن يظهر أن السلطان أمر بتحليف الناس لولده الملك المعظم، ولولي عهده فخر الدين، فتقرر ذلك وطلبوا الناس، فحلفوا إلا أولاد الناصر، توقفوا وقالوا: نشتهي أن نبصر السلطان، فدخل خادم وخرج، وقال: السلطان يسلم عليكم، وقال: ما يشتهي أن تروه في هذه الحالة، وقد رسم لكم أن تحلفوا فحلفوا، وجاءتهم من كل ناحية، راحت الكرك منهم، واسودت وجوههم عند أبيهم بغدرهم، ومات السلطان الذي أملوه، ثم عقيب ذلك نفوهم من مصر، ونفذ الأمير فخر الدين نسخ الأيمان إلى البلاد ليحلفوا للمعظم.
قلت: وكانت أم ولده شجر الدر ذات رأي وشهامة، فدولبت الملك مدة شهرين أو أكثر، وجرت لها أمور، وخطب لها على المنابر، وبقي الملك بعده في مواليه الأتراك وإلى اليوم، وتربته بمدرسته بالقاهرة.." (١)

"وفي دقة هذه النغمات؛ مولعة إلى حد الإسفاف بالتعقيد الذي لا خير فيه، وبالأصوات الناشزة الشديدة الارتفاع. وإن ما في الموسيقى العربي من رقة تبعث على التفكير لتؤثر في نفس المسلم أعمق التأثير. ويحدثنا السعدي عن غلام يغني بنغمة محزنة مؤثرة تستوقف الطائر في كبد السماء (١٤٨). ويصف الغزالي النشوة بأنها الحالة التي يبعثها الاستماع

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٤/٥٦٢

إلى الموسيقى (١٤٩). وقد أفرد أحد المؤلفين العرب فصلا في كتابه للحديث عن الذين فقدوا وعيهم أو ماتوا وهم يستمعون إلى الموسيقى الإسلامية، وقد استعان بها الدراويش في أذكارهم وشعائرهم وإن كان الدين نفسه قد ندد بها في أول الأمر.

وبدأت الموسيقى الإسلامية بالألحان والأشكال السامية القديمة، ثم تطورت على ضوء صلاتها بالتقاسيم اليونانية الآسيوية النشأة وتأثرت تأثرا قويا بالموسيقى الفارسية والهندية. وقد أخذت إحدى العلامات وكثير من القواعد الموسيقية عن اليونان؛ وللكندي، وابن سينا، وإخوان الصفا، كتابات مطولة في هذا الموضوع؛ وكتاب الفارابي في الموسيقى أشهر ما ألف في العصور الوسطى في النظريات الموسيقية وهو يضارع أي كتاب وصل إلينا من المصادر اليونانية إن لم يفقه (١٥٠). وقد وضع المسلمون منذ القرن السابع السلم الموسيقي (ويبدو أن ذلك لم يكن معروفا في أوربا قبل عام ١١٩٠) (١٥١) –وكانت علاماتهم تدل على طول الزمن الذي تمتد إليه كل نغمة وعلى مقاماتها (١٥٢).

وكان عند العرب آلات موسيقية تبلغ المائة عد أشهرها العود، والقيثارة، والبندور، والسنطير، والناي، ويقويها في بعض الأحيان البوق، والدف، والصنج، والرق، والطبل. وكان العود على أنواع وأحجام كثيرة لا تقل عن الأثني عشر؛ وكان الكبير منها يسمى القيثارة. وعن العرب أخذت كلمتا Iute, Guilar. وكان القوس يستعمل للعزف على بعض الآلات الوترية، وكان الأرغن بنوعيه الهوائي والمائي معروفا عند العرب؛ وقد اشتهرت." (١)

"بطرس: يا له من امتياز عجيب يتمتع به خلفائي – أن يكونوا من أخبث الناس ومع ذلك ينجون من العقاب. ويا لها من كنيسة تعسة تلك التي لا تستطيع زحزحة مثل الوحش عن كاهلها .. إن على الناس أن يثوروا ويرجموا بحجارة الرصف رأس مثل هذا الشقي ... لو أن الشيطان فكر في أن يصطفي قسا لما وجد خيرا منك. أي دليل قدمته على أنك رسول؟

يوليوس: أليست زيادة موارد كنيسة المسيح عملا من أعمال الرسل؟

بطرس: ولكن كيف زدت موارد الكنيسة؟

يوليوس: ملأت روما بالقصور ... وبفرق من الخدم والجنود وآلاف الوظائف ...

بطرس: إن الكنيسة لم تعرف شيئا من هذا عندما أنشأها المسيح ...

يوليوس: إنك تفكر في القصة القديمة عندما أشرفت على الموت جوعا وأنت بابا وحولك حفنة من الأساقفة الفقراء المطاردين. لقد عفا الزمن على كل هذا ... أنظر الآن إلى كنائسنا الفخمة ... أساقفة مثل الملوك ... وكرادلة تحيط بهم مظاهر العظمة .. خيول وبغال أعنتها من الذهب والجواهر وحدواتها من الذهب والفضة. أنا الحبر الأعظم فوق الجميع يحملني الجنود على كرسي ذهبي فوق أعناقهم وألوح بيدي في جلال للجماهير التي تعبدني، وأنصت إلى دوي

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٥٧/١٣

المدافع وأنغام البوق ودقات الطبول وأرقب العربات الحربية والجماهير الصاخبة والمشاعل التي تضئ الطريق والميدان وأشهد ملوك الأرض وهم يحاولون تقبيل قدمي قداستي ... أنظر إلى كل هذا وقل لي أليس." [1]

"أو يهوه، عسى أن يهدئ دم عبدة الأوثان المقيت غضب الرب ولا يهلك الجمع بأسره (٣١)؟

ولكنه كتب بين آن وآخر، وإن كان هذا نادرا، فقرات تفيض رقة وجمالا، وجديرة بسانت بول الذي ألهمه، مثل "رسالة إلى إخوانه في إسكوتلندة" لن ألجأ إلى أي تهديد، لأني كبير الأمل في أنكم سوف تمشون مثل أبناء الضوء، وسط هذا الجيل الخبيث، وأنكم سوف تكونون مثل النجوم في الليل، التي لا تتغير مع ذلك في الظلام، ومثل قمحة وسط صدفة ... ومن عداد الرجال المتبتلين العقلاء، وتملأون مصابيحكم بالزيت من جديد كل يوم، كأولئك الذين ينتظرون في صبر الظهور المجيد ليسوع الرب ومجيئه، وهو الذي تحكم روحه القديرة وتعلمكم وتنير قلوبكم وعقولكم في كل ما يوجه إليكم من هجوم الآن وإلى الأبد (٣٢).

وهناك رسالة موجهة متميزة أكثر من غيرها هي أول "نفخة في البوق ضد كتيبة النساء المروعة" التي دبجت في دبيب عام ١٥٥٨ ضد ما خيل لنوكس أنه وباء الحاكمات من النساء في أوربا – ماري تيودور وماري أميرة اللورين وماري ستيوارت وكاثرين دي مديتشي. وفي وسعنا أن ندرك مدى هلعه من تطبيق ماري تيودور لمبادئه، ولكن حتى إذا لم تضطهد ماري أعداءها فإن نوكس يعدها وحشا ووصمة سياسية تنتهك القاعدة الطبيعية التي تقول إن الرجال يجب أن يحكموا الدول. وبدأ يقول "لا عجب أن نجد بين كثير من العقول الخصيبة التي أنجبتها جزيرة بريطانيا العظمى كثيرا من الوعاظ الورعين والمتحمسين بقدر ما طعمت أحيانا، ولا يوجد بين الكثيرين من علماء اللاهوت والرجال ذوي الرأي الرصين الذين نفتهم إيزابيل (ماري تيودور)، رجل مقدام شجاع ومخلص للرب ... يجرؤ على تنبيه سكان تلك الجزيرة إلى مدى ما وصلت إليه من بغض." [2]

"الفظيع جيزيل ملكة إنجلترا ... فقد تحدد في مجلس الحي الباقي ... وليعلم هذا الناس جميعا لأن البوق قد نفخ فيه (٣٤).

وأخذ نوكس مخطوطة كتابه "نفخة" إلى جنيف وطبعها سرا ولك يضع عليه اسمه، وأرسل نسخا منه إلى إنجلترا، فحرمت ماري تداول الكتاب باعتباره تحريضا على الثورة، وجعلت حيازته جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

وعاود نوكس الهجوم في رسالة بعنوان: "نداء إلى نبلاء إسكوتلندة وطبقات سكانها (يوليو سنة ١٥٥٨) ".

لا أحد ممن يحرضون الناس على عبادة الأوثان (١) ينبغي أن يعفى من عقوبة الإعدام ... ويجب تطبيق الحكم نفسه في مكان يؤمن بيسوع المسيح وإنجيله ... اللذين اعترف بهما الحكام والناس في خشوع، ووعدوا بالدفاع عنهما، كما حدث في عهد الملك إدوارد في الأيام الأخير بإنجلترا. وفي مثل هذا المكان أقول إن عقوبة الإعدام ليست مشروعة على من يعمل على تقويض دعائم الدين فحسب، بل إن الحكام وال‌ناس ملتزمون بأن ينتهجوا هذا السبيل، إلا إذا أرادوا

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٩٦/٢٣

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٠٩/٢٥

أن يثيروا غضب الله عليهم ... وأنا لا أخشى أن أؤكد أن واجب النبلاء والقضاة والحكام والشعب في إنجلترا كان لا يقتضي منهم أن يقاوموا ماري، تلك الإيزابل، ويعارضوها فحسب ... بل عليهم أن يقتصوا منها بإعدامها (٣٦).

وحث نوكس شعب إسكوتلندة على تطبيق هذا الرأي الخاص بالثورة الشرعية على ماري أميرة اللورين. وشكا من أن الوصية على العرش قد أحاطت نفسها بحاشية فرنسية وجنود فرنسيين ليأكلوا مدخرات الإسكوتلنديين: بينما يؤتى بالأغراض لسحقنا نحن وخيرنا العام وذريتنا.

---

(١) كتب نوكس عام ١٥٦٠: "إننا نقصد بعبادة الأوثان القداس والتوسل بالقديسين وعبادة الصور واستيفاءها والاحتفاظ بها وكل عبادة للرب لا يحويها كتابه المقدس (٣٥")..". [١]

""الآن أرى وأدرك أن أحكام الرب عادلة، فإن هذا المكان بقدر ما تسعفني الذاكرة لم يكن إلا وكرا للقوادين. إنه لأمر لا يصدق ... كم من زوجة زنى بها، وكم من عذراء أفتض بكارتها الوحوش الدنسة، التي كانت تحتضن هذا الوكر، وبخاصة ذلك الرجل الخبيث، الأسقف (٤٨).

وكانت ماري أميرة اللورين وقتذاك مصابة بمرض خطير، تتوقع وفاتها في أية لحظة، فهربت إلى ليث وحاولت أن تؤخر تقدم البروتستانت المنتصرين بالمفاوضات إلى أن يصل إليها العون من فرنسا. واكن جماعة المصلين تفوقت عليها بالمباراة، وذلك بالفوز بتأييد إليزابث ملكة إنجلترا. وكتب نوكس إلى الملكة خطابا يؤكد لها فيه أنه لم يتعرض لها في رسالته "نفخة البوق" ضد الملكات. ونصح وليام سيسل الوزير الأول ملكته إليزابث بأن تساعد الثورة الإسكوتلندية كإجراء يحقق اعتماد إسكوتلندة على إنجلترا سياسيا. وأدركت أن هذا إجراء وقائي مشروع ضد ماري ستيوارت، التي كانت قد طالبت، عندما أصبحت ملكة فرنسا (١٥٥٩) بعرش إنجلترا أيضا، على أساس أن إليزابث ابنة سفاح مغتصبة للعرش. وسرعان ما أغلق أسطول إنجليزي في مضيق فورث الطريق أمام نزول أي مساعدة فرنسية للوصية على العرش إلى البر، وانضم جيش إنكليزي إلى قوات جماعة المصلين في مهاجمة ليث. وانسحبت ماري أميرة اللورين إلى قلعة ادنبرة، وماتت (١٠ يونيه سنة ١٥٦٠) بعد أن قبلت حاشيتها واحدا واحدا. لقد كانت امرأة طيبة قدر عليها أن تقوم بالدور الخطأ في مأساة لا فكاك منها.

واستسلم آخر المدافعين عنها، بعد أن سدت في وجوههم السبل وأوشكوا على الموت جوعا. وفي السادس من يوليو سنة ١٥٦٠ وقع ممثلو جماعة المصلين وماري ستيوارت وفرنسا وإنجلترا معاهدة أدنبرة التي." [٢]

"وكان الموسيقيون ينتظمهم اتحاد قوي، انفصمت عراه بسبب الصراع الداخلي أيام شارل الأول (٥٥)، وكادت الآلات تتنوع، كما هي اليوم: العود، القيثار، الأرغن، العذراوية، أو البيان الصغير، موترة المفاتيح (آلة موسيقية وترية مزودة بلوحة مفاتيح) أو البيان القيثاري، الفلوت (آلة نفخ موسيقية)، الصافرة، المزمار، البوق، المترددة، النفير، الطبول، وأشكال

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١١/٢٥

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٨/٢٥

كثيرة من الفيول، حل محلها الكمان الحالي. وكان العود مفضلا في العزف. وفي مصاحبة الغناء، أما العذراوية، وهي الأم المتواضعة للبيان، فكانت محبوبة شائعة لدى السيدات الصغيرات، وعلى الأقل قبل الزواج، وألفت الموسيقى الآلية أساسا للعذراوية والفيول والعود. ولحن نوع من الموسيقى الحجرية (موسيقى الحجرة: يعزفها بضعة موسيقيين أما نفر قليل من الناس.) للعزف على عدة فيولات تختلف في الحجم والطبقة. وفي مسرحية تنكرية للملكة آن زوجة جيمس الأول، استخدم كامبيون فرقة من عازفي العود وموترة المفاتيح والبوق مع تسعة فيولات. (١٦٠٥) وقد انحدر إلينا كثير من الموسيقى الآلية التي وضعها بيرد ومورلي ودولند وغيرهم. وهي مؤسسة إلى حد بعيد على أشكال الرقص، كما تتبع النماذج الإيطالية، وتتفوق في الجمال الرقيق المرهف أكثر منها في القوة والطبقة. وتطورت الفوجة وفن مزج الألحان، ولكن دون تنوع في الأفكار الرئيسية أو الموضوع، أو براعة في تغيير طبقة الصوت والانتقال من نغمة إلى أخرى، أو نشاز مقصود أو تناغم لوني. ومع ذلك فإننا عندما ترهق أعصابنا بمشاق حياتنا الحديثة، نجد في موسيقى عصر إليزابث ما يخفف عنا ويريح أعصابنا، فليس فيها كلام طنان منمق، ولا تنافر مزعج، ولا خواتيم راعدة، انك لا تسمع فيها إلا صوت شاب إنجليزي أو شابة إنجليزية تغني في حزن أو ابتهاج، إنشودة الحب السرمدي الذي تعترض العوائق سبيله.

٧ – الفن الإنجليزي

١٥٥٨ – ١٦٤٩

لم يكن للفن في هذا العصر شأن يذكر. وأنتج بعض صناع المعادن بعض." (١)

"صليبية ضد الخطيئة والإثم. وتستطيع أن تحكم منذ بداية القصيدة عليها.

"حين اشتدت ثورة الغضب والحقد بين الناس لأول مرة وتشاجروا لأنهم لم يدركوا السبب، وحين أشعلت الكلمات النابية والأحقاد والمخاوف نار الحرب بين الجماعات وجعلتهم يقتتلون كالمجانين أو المخمورين، من أجل "السيدة: الديانة" وكأنما يقتتلون من أجل عاهرة فاجرة ... وحين أعلن **نافخ البوق الإنجيلي** يحيط به الرعاع ذوو الآذان الطويلة، النفير من أجل الحرب، ودقت طبول المنبر والكنيسة بجماع الأيدي بدلا من العصي. عندئذ غادر السيد الفارس مسكنه وامتطى صهوة جواده متزعما الركب ... وكان كثيرون من الناس يرون، أنه كما اشتكى مونتاني من أن قطته حسبته، وهو يداعبها، حمارا، فلابد أن القطة تحسب هو دبراس حمارا أو أكثر من حمار، وإنا لنسلم بأنه على الرغم مما أوتى من ذكاء شديد، فإنه يخجل من استخدامه، وكأنما يكره أن يستنفذه ويبليه، ولذلك لم يظهره أو لم يلبسه إلا في أيام العطلة أو ما يشابهها، كما يرتدي الناس أحسن ملابسهم ... وكان من الملائم، من أجل عقيده، أن يوفق بين علمه وذكائه، وكان مذهبه مشيخيا صادقا متشددا، لأنه كان من بين العصبة العنيدة من القديسين الضالين الذي يقر الناس جميعا بأنهم المناضلون الصادقون عن الكنيسة المجاهدة التي يبنون عقيدتهم على الرمح والمدفع، ويحسمون كل الخلافات بمدفعية لا تخطئ المرمى، ويثبتون صحة نظريتهم بالضربات واللكمات الرسولية ... فرقة تتمثل أعظم تقواهم في كراهياتهم الحمقاء

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٨/٩٠

الضالة، الشاذة فرقة تحرص على الخطأ في يوم العطلة أكثر من حرص سائر الناس على الصواب، مجمعة على الخطايا التي فطرت عليها، تلعن أولئك الذي لا يفكرون فيها (٤٣).

وهكذا مما آلم البيوريتانيين أيما إيلام وسر الملك كل السرور. ومنح شارل المؤلف جائزة قدرها ثلاثمائة جنيه. وامتدح كل الملكيين القصيدة فيما عدا بيبز الذي لم يستطع "أن يتبين موضع العبقرية فيها"، على الرغم من أنها تعتبر الآن من أحدث طراز من الهزل والسخرية (٤٤)، وبادر بتلر." (١)

"والدين، والحرب، وثيقة الاتصال بالموسيقى؛ وكان للنغمات الحربية شأن عظيم في التدريب العسكري، وكان كل ما يحفظ أو جله يلقن شعرا. وقبل أن يحل القرن الثامن قبل الميلاد كانت الموسيقى اليونانية قد أصبحت من الفنون القديمة وأصبح لها مئات الأنواع والأشكال.

أما آلاتها فكانت بسيطة، وكانت الأسس التي تقوم عليها هي بعينها الأسس التي تقوم عليها في هذه الأيام: القرع، والنفخ، والأوتار. فأما القرع فلم تكن آلاتها واسعة الانتشار. وقد ظل الناي شائع الاستعمال في أثينة حتى سخر السبيديس من خدي معلمه المنفوخين وأبى أن يستخدم هذه الآلة السمجة، وتزعم حركة مقاومتها بين شباب اليونان. (هذا إلى أن البؤوتيين، كما يزعم الأثينيون كانوا أبرع منهم في استخدام الناي، ولهذا كانوا يعدون هذا الفن من الفنون المرذولة (٦٦). وكان الناي البسيط قصبة من الغاب، أو الخشب المثقوب، ذات مبسم منفصل عنها، ومثقوبة بثقوب لأصابع يتراوح عددها بين اثنين وسبعة، يمكن أن توضع فيها غمازات تعدل درجة الصوت. وكان بعض الموسيقيين يستخدمون الناي المزدوج- ويتكون من ناي (ذكر) أو غليظ النغمة في اليد اليمنى وناي (أنثى) أو رفيع النغمة في اليسرى، يرتبط كلاهما بالفم برباط حول الخدين، وينفخ فيهما معا في توافق بسيط. ثم أوصل اليونان الناي بكيس قابل للتمدد فأوجدوا بذلك موسيقى القرب؛ وجمعوا عددا منها وكونوا منها ما يعرف بأنبوبة بان؛ ثم أطالوا طرف الناي وسدوا ثقوب الأصابع فكان البوق (٦٧). ويقول بوزنياس إن موسيقى الناي كانت في العادة مقبضة، وكانت تستخدم على الدوام في ترانيم الدفن والمراثي؛ ولكننا لا نظن أن الأولترداي Auletredai او الفتيات اليونانيات السامرات النافخات في الناي كن مبعث الكآبة والانقباض. أما الآلات الوترية فكان العزف عليها مقصورا على شد الأوتار بالأصابع أو المنقر ولم يكن العازف ينحني." (٢)

"باسم "الدبرسفريم" Dibre Soferim أساس الدين اليهودي العام من العصر الهلنستي إلى العصر الحديث. وكان أساس اليهودية هو الدين: كما كانت فكرة وجود إله قادر تسيطر على كل ناحية من نواحي الحياة اليهودية وكل لحظة من لحظاتها. وكان مجلس الكبراء يفرض القوانين الأخلاقية والآداب الاجتماعية بجميع دقائقها. ويشرف على تنفيذها إشرافا تاما. وكانت أسباب اللهو والتسلية والألعاب قليلة محدودة، وكان الزواج بغير اليهود محرما، وكذلك العزوبة وقتل الأطفال. ومن ثم كان اليهود يلدون كثيرا ويربون جميع أبنائهم، وظلوا طوال العصور القديمة يتكاثرون رغم الحروب

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٤٠/٣٢

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤١٤/٦

والمجاعات حتى بلغ عددهم في الإمبراطورية الرومانية أيام قيصر سبعة ملايين. وكان معظم السكان قبل العهد المقدوني يشتغلون بالزراعة، لأن اليهود لم يكونوا قد أصبحوا بعض أمة من التجار. وقد كتب عنهم يوسفوس Josephus في ذلك العهد المتأخر، وهو القرن الأول بعد الميلاد، يقول: "لسنا شعبا تجاريا (١٣) ". أما الشعوب التجارية العظيمة في ذلك العصر فهي الفينيقيون والعرب واليونان. وكان الرق موجودا في بلاد اليهود كما كان في غيره من الأقطار، غير أن حرب الطبقات كانت هادئة نسبيا. ولم يكن للفنون عندهم شأن عدا الموسيقى فقد كانت راقية مزدهرة. وكان الناي والطبل، والصنوج و "قرن الكبش" أو البوق، والقيثارة تستخدم مصاحبة للصوت الواحد، أو للأغاني الشعبية، أو الترانيم الدينية. وكان الدين اليهودي يعيب على الطقوس اليونانية استرسالها في الخضوع لخيال الشعب ويزدريها لهذا السبب؛ وكانت الصلة مقطوعة بينه وبين الصور، والنبوءات، ومعرفة الغيب بالنظر في أحشاء الطير. وكان أقل تجسيدا وتخريفا، وأقل بهرجة ومرحا من دين اليونان. وكان الربانيون يواجهون طقوس الشرك الهلنية بإنشاد هذه النغمة التي لا تزال تتردد حتى اليوم في كل كنيس يهودي: "استمعي يا إسرائيل: الرب إلهنا، الرب واحد".." (١)

"ملك الإفرنج مدينة إنطاكية.

عليه الصلاة والسلام ٤٩١ رضي الله عنه جمادى الأولى ¤ ١٠٩٨ ١/٨

بدأ مسير الحملة الصليبية الأولى ووصلوا إلى بلاد الشام، وكانوا قد خططوا أن أول شيء عليهم فعله هو الاستحواذ على القدس، وقيل: إن أصحاب مصر من الفاطميين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية، وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول أقسيس إلى مصر وحصرها، خافوا، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين، وربما كان هذا سبب عدم اشتراكهم في القتال ضدهم مع بقية الجيوش الإسلامية والله أعلم، وكانوا قد عبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وحلفوا لصاحبها أن يملكوه أنطاكية، ووصلوا إلى بلاد قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، وهو قونية وغيرها، فلما وصلوا إليها لقيهم قلج أرسلان في جموعه، ومنعهم، فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين وأربعمائة، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمني، فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغي سيان بتوجههم إليها، خاف من النصارى الذين بها، فأخرجهم وأقاموا في عسكر الفرنج، فحصروها تسعة أشهر، وظهر من شجاعة باغي سيان، وجودة رأيه، وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهد من غيره، فهلك أكثر الفرنج موتا، ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الإسلام، فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وبذلوا له مالا وأقطاعا، وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبني على شباك في الوادي، فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد، جاؤوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا منه، وصعد جماعة كثيرة بالحبال، فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق، وذلك عند السحر، وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة، فاستيقظ باغي سيان، فسأل عن الحال، فقيل: إن **هذا البوق من** القلعة، ولا شك أنها قد ملكت، ولم يكن من القلعة، وإنما كان من ذلك البرج، فدخله الرعب، وفتح باب البلد، وخرج هاربا في ثلاثين غلاما

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٥٢/٨

على وجهه، فجاء نائبه في حفظ البلد، فسأل عنه، فقيل: إنه هرب، فخرج من باب آخر هاربا، وكان ذلك معونة للفرنج، ولو ثبت ساعة لهلكوا، ثم إن الفرنج دخلوا البلد من الباب، ونهبوه، وقتلوا من فيه من المسلمين، وذلك في جمادى الأولى، وأما باغي سيان فقتله حطاب أرمني وحمل رأسه على أنطاكية، وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب، ودمشق، بأننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم، لا نطلب سواها، مكرا منهم وخديعة، حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية. ". (١)

٢/٣

"الفنون:

سجل أحد فناني نرام سين انتصاره على بعض خصومه "ملوك سودوري ولولوبو فيما وراء دجلة" على نصب تعتبر مناظره من أمتع النقوش الأكدية المتأثرة بالفن السومري حيوية وحركة، فصور فيه ملكه بجسم فارع مشدود على الرغم من لحيته الطويلة الكثة، وبقوسه المزدود وتاجه ذي القرون وصندله ذي الشرائط، يسير قدمًا برجاله ليهاجم بهم حصن أعدائه، وصور مقدمي جيشه وحملة ألويته يصعدون معه سفح التل الذي يقوم الحصن فوقه ويتخللون أدغاله "التي عبر عنها بشجرة هرمة"، فأبدع تصوير حركتهم الصاعدة وأبدع تصوير العمق بين صفيهم، وصور مبلغ أوامر الملك يأمر بها من خلفه، وصور **نافخ البوق يرتكز** على الأرض بيده ويشرع بوقه عاليًا ليرسل صوته قويًّا مدويًّا، وصور بعض الأعداء يتساقطون من سفح التل على أم رءوسهم، وصور بعضًا آخر يهبطون التل هبوطًا اضطراريًّا عموديًّا، وكأنه أراد أن يعبر عن التباين بين ارتقاء في جانب وبين هبوط في جانب آخر، ثم جعل غاية الركب قمة جبل عظيم تتوجه رموز مقدسة محورة قد ترمز إلى الثالوث الفلكي ثالوث القمر والشمس والزهرة.." (٢)

"أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، أخبرنا سليمان بن سليم القاري، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير قال: وحدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: وحدثنا هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم قال: وحدثنا معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قالوا: كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال **بعضهم: البوق وقال** بعضهم: الناقوس فبينا هم على ذلك إذ نام عبد الله بن زيد الخزرجي فأري في النوم أن رجلا مر وعليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوس قال: فقلت: أتبيع الناقوس؟ فقال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله فأتى عبد الله بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له: " قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذن -[٢٤٧]- بذلك ففعل، وجاء عمر، فقال: لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلله الحمد، فذلك أثبت» قالوا:

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٣٩/٤

(٢) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٤١٣

وأذن بالأذان وبقي ينادى في الناس: الصلاة جامعة للأمر يحدث، فيحضرون له يخبرون به مثل فتح يقرأ، أو أمر يؤمرون به، فينادى: الصلاة جامعة وإن كان في غير وقت الصلاة." (١)

"أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، أخبرنا مسلم بن خالد، حدثني عبد الرحيم بن عمر، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يجعل شيئا يجمع به الناس للصلاة، فذكر **عنده البوق وأهله** فكرهه، وذكر الناقوس وأهله فكرهه، حتى أري رجل من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد الأذان، وأريه عمر بن الخطاب تلك الليلة، فأما عمر فقال: إذا أصبحت -[٢٤٨]- أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الأنصاري فطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فأخبره، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن بالصلاة، وذكر أذان الناس اليوم قال: فزاد بلال في الصبح: الصلاة خير من النوم فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليست فيما أري الأنصاري." (٢)

"أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن جابر عن سالم أو نافع عن ابن عمر قال: لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا.

أخبرنا الفضل بن دكين. أخبرنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يأتي قباء ماشيا وراكبا.

أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي. أخبرنا عبيد الله. يعني ابن عمر. عن نافع عن ابن عمر أنه كان يأتي مسجد قباء فيصلي فيه ركعتين.

أخبرنا معن بن عيسى والفضل بن دكين قالا: أخبرنا هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى قباء فقام يصلي فجاءته الأنصار تسلم عليه. فقال ابن عمر: فقلت لبلال: كيف رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرد عليهم؟ قال: يشير إليهم بيده وهو يصلي.

أخبرنا خالد بن مخلد وأبو عامر العقدي قالا: أخبرنا عبد الله بن جعفر عن عمته أم بكر بنت المسور أن عمر بن الخطاب قال: لو كان مسجد قباء في أفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة قال: أخبرنا أبو أسامة. أخبرنا عبد الحميد بن جعفر. أخبرنا أبو الأبرد مولى بني خطمة عن أسد بن ظهير. وكان من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: [قال رسول الله. ص: من أتى مسجد قباء فصلى فيه كان كعمرة] .

ذكر الأذان

أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي. أخبرنا سليمان بن سليم القاري عن سليمان بن سحيم عن نافع بن جبير قال: وحدثنا عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وحدثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم قال: وحدثنا

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٢٤٦/١

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٢٤٧/١

معمر بن راشد عن الزهري عن سعيد بن المسيب قالوا: كان الناس في عهد النبي.

ص. قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي – صلى الله عليه وسلم – الصلاة جامعة. فيجتمع الناس. فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان. وكـان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أهمه أمر الأذان وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة فقال **بعضهم البوق وقال**." (١)

"بعضهم الناقوس. فبينا هم على ذلك إذ نام عبد الله بن زيد الخزرجي فأري في النوم أن رجلا مر وعليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس. قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ فقال:

ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس. [قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك. تقول: الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمدا رسول الله. حي على الصلاة. حي على الفلاح. الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله.

فأتى عبد الله بن زيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره. فقال له: قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذن بذلك. ففعل. وجاء عمر فقال: لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله. ص: فلله الحمد فذلك أثبت] . قالوا: وأذن بالأذان. وبقي ينادى في الناس الصلاة جامعة للأمر يحدث فيحضرون له يخبرون به مثل فتح يقرأ أو أمر يؤمرون. فينادى الصلاة جامعة. وإن كان في غير وقت صلاة.

أخبرنا محمد بن كثير العبدي. أخبرنا سليمان بن كثير. أخبرنا حصين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن زيد الأنصاري ثم من بني النجار قال:

استشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الناس في الأذان [فقال: لقد هممت أن أبعث رجالا فيقومون على آطام المدينة فيؤذنون الناس بالصلاة حتى هموا أن ينقسوا] . قال: فأتى عبد الله بن زيد أهله فقالوا: ألا نعشيك؟ قال: لا أذوق طعاما فإني قد رأيت نبي الله.

ص. قد أهمه أمره للصلاة. فنام فرأى في المنام كأن رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فأقام الصلاة. فأمره أن يعلم بلالا ففعل. قال: فأقبل الناس لما سمعوا ذلك. وجاء عمر بن الخطاب فقال: [يا رسول الله لقد رأيت الذي رأى. فقال له نبي الله. ص: فما منعك أن تأتيني؟ قال: استحييت لما رأيتني قد سبقت يا رسول الله] .

أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي. أخبرنا مسلم بن خالد. حدثني عبد الرحيم بن عمر عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يجعل شيئا يجمع به الناس للصلاة فذكر **عنده البوق وأهله** فكرهه. وذكر الناقوس وأهله فكرهه. حتى أري رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد الأذان. وأريه عمر بن الخطاب تلك الليلة. فأما عمر فقال: إذا أصبحت أخبرت رسول الله – صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ١/١٨٩

– وأما الأنصاري فطرق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الليل فأخبره. وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلالا فأذن بالصلاة. وذكر أذان الناس اليوم. قال:." (١)

"إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية، فبعث إليهم السري بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال في ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع في ألف، ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس– وكان شجاعا– في سبعمائة، واعطاه خمسمائة دينار، فالتقوا ببطن اذاخر بين الثنيتين وهي الثنية التي تهبط على ذي طوى، منها هبط النبي ص وأصحابه إلى مكة، وهي داخلة في الحرم، فتراسلوا، فأرسل حسن إلى السري أن خل بيننا وبين مكة، ولا تهريقوا الدماء في حرم الله وحلف الرسولان للسري: ما جئناك حتى مات أبو جعفر فقال لهما السري: وعلي مثل ما حلفتما به، إن كانت مضت لي أربعة، منذ جاءني رسول من عند أمير المؤمنين، فانظروني أربع ليال، فأني أنتظر رسولا لي آخر، وعلي ما يصلحكم، ويصلح دوابكم، فإن يكن ما تقولونه حقا سلمتها إليكم، وإن يكن باطلا أ جاهدكم حتى تغلبوني أو أغلبكم، فأبى الحسن، وقال: لا نبرح حتى نناجزك، ومع الحسن سبعون رجلا وسبعة من الخيل، فلما دنوا منه، قال لهم الحسن: لا يقدمن أحد منكم حتى ينفخ في البوق، فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد فلما رهقناهم وخشي الحسن أن يغشاه وأصحابه، ناداه: أنفخ ويحك في البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب السري، وقتل منهم سبعة نفر قال: واطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنية في نفر من قريش قد خرج بهم، وأخذ عليهم لينصرنه، فلما رآهم القرشيون قالوا:

هؤلاء أصحابك قد انهزموا، قال: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال في الجبال، فقيل له: ما بقي؟ فقال: انهزموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة، وطرحوا أداة الحرب، وتسوروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام فدخلوا بيته فكانوا فيه ودخل الحسن بن معاوية المسجد، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد.

قال: وحدثني يعقوب بن القاسم، قال: حدثني الغمر بن حمزة بن أبي رملة، مولى العباس بن عبد المطلب، قال: لما أخذ الحسن بن معاوية." (٢)

"ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر، فضربه سبعين سوطا وحدده وحبسه.

ثم قدم عبد الله بن الربيع واليا من قبل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم، فخرجت طائفة من التجار حتى جاءوا دار مروان، وفيها ابن الربيع، فشكوا ذلك إليه، فنهرهم وشتمهم، وطمع فيهم الجند، فتزايدوا في سوء الرأي.

قال: وحدثني عمر بن راشد، قال: انتهب الجند شيئا من متاع السوق، وغدوا على رجل من الصرافين يدعى عثمان بن زيد، فغالبوه على كيسه، فاستغاث فخلص، ماله منهم، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكره

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ١٩٠/١

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٧٤/٧

ولم يغيره، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار لحما يوم الجمعة، فأبى أن يعطيه ثمنه، وشهر عليه السيف، فخرج عليه الجزار من تحت الوضم بشفرة، فطعن بها خاصرته، فخر عن دابته، واعتوره الجزارون فقتلوه، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوا، فلما كان الغد هرب ابن الربيع.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثنى الحارث بن إسحاق، قال: نفخ السودان في بوق لهم، فذكر لي بعض من كان في العالية وبعض من كان في السافلة، أنه كان يرى الأسود من سكانهما في بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغي له حتى يتيقنه ثم يوحش بما في يده، ويأتم الصوت حتى يأتيه قال: وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة من سنة خمس وأربعين ومائة، ورؤساء السودان ثلاثة نفر: وثيق ويعقل ورمقة قال: فغدوا على ابن الربيع، والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصلاة، وخرج إليهم فاستطردوا له، حتى أتى السوق فمر بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد، فحمل عليهم بمن معه حتى قتلوهم، ثم مر بأصيبية على طنف دار، فظن أن القوم منهم، فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم، فلما نزلوا ضرب." (١)

"بين أيدي الناس، ولكن يا حمدون إن أحببت أن أتكشف بين يديك حتى تراني فعلت، قال حمدون: فقلت له: أنت عندي صدوق، وما أريد أن تكشف.

فلما انصرف حمدون فأبلغ المعتصم رسالته، أمر بمنع الطعام منه إلا القليل، فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف حتى مات، فلما ذهب به بعد موته إلى دار إيتاخ، أخرجوه فصلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم طرح بباب العامة مع خشبته، فأحرق وحمل الرماد، وطرح في دجلة.

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجه سليمان بن وهب الكاتب يحصي جميع ما في دار الأفشين ويكتبه في ليلة من الليالي، وقصر الأفشين بالمطيرة، فوجد في داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب، عليه حلية كثيرة وجوهر، وفي أذنيه حجران أبيضان مشتبكان، عليهما ذهب، فأخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين، وظن أنه جوهر له قيمة، وكان ذلك ليلا، فلما أصبح ونزع عنه شباك الذهب، وجده حجرا شبيها بالصدف الذي يسمى الحبرون، من جنس الصدف الذي يقال له البوق، من صدف اخرج من منزله صور السماجة وغيرها وأصنام وغير ذلك، والاطواف والخشب التي كان أعدها، وكان له متاع بالوزيرية، فوجد فيه أيضا صنم آخر، ووجدوا في كتبه كتابا من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكتب، فيها ديانته التي كان يدين بها ربه.

وكان موت الأفشين في شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بأمر أشناس، وكان أشناس.

حاجا في هذه السنة، فولي كل بلدة يدخلها فدعي له على جميع المنابر التي." (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦١٠/٧

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١٤/٩

"رأيتني في بعض نهار هذا اليوم، وقد ضللت عن أصحابي، وضلوا عني، فلم يبق معي إلا مصلح ورفيق، وفي رجلي نعل سندي، وعلي عمامة قد انحل كور منها فأنا أسحبها من ورائي، ويعجلني المشي عن رفعها، ومعي سيفي وترسي وأسرع مصلح ورفيق في المشي وقصرت، فغابا عني، ورأيت في أثري رجلين من أهل البصرة، في يد أحدهما سيف، وفي يد الآخر حجارة، فلما رأياني عرفاني، فجدا في طلبي، فرجعت إليهما، فانصرفا عني، ومضيت حتى خرجت إلى الموضع الذي فيه مجمع أصحابي، وكانوا قد تحيروا لفقدي، فلما رأوني سكنوا إلى رؤيتي قال ريحان: فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلى في غربي نهر شيطان، فنزل به، وسأل عن الرجال، فإذا قد هرب كثير منهم، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسمائة رجل، فأمر بالنفخ في البوق الذي كانوا يجتمعون لصوته، فلم يرجع إليه أحد، وبات ليلته، فلما كان في بعض الليل جاء الملقب بجربان، وقد كان هـرب فيمن هرب، ومعه ثلاثون غلاما فسأله: أين كانت غيبته؟ فقال: ذهبت إلى الزوارقة طليعة قال ريحان: ووجهني لا تعرف له من في قنطرة نهر حرب، فلم أجد هناك أحدا، وقد كان أهل البصرة انتهبوا السفن التي كانت معه، وأخذوا الدواب التي كانت فيها في هذا اليوم، وظفروا بمتاع من متاعه، وكتب من كتبه، واصطرلابات كانت معه، فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر في عدة أصحابه، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه في ليلتهم تلك قال ريحان: فكان فيمن هرب شبل، وكان ناصح الرملي ينكر هرب شبل قال ريحان: فرجع شبل من غد، ومعه عشرة غلمان، فلامه وعنفه، وسأل عن غلام كان يقال له نادر يكنى بأبي نعجة، وعن عنبر البربري، فأخبر أنهما هربا فيمن هرب، فأقام في موضعه، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى قنطرة نهر كثير، فيعظ الناس ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج، فصار محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد، فوقف سليمان ويحيى، وعبر." (١)

"من دار المهلبي، فلقيه وأصحابه الزنج فردوهم إلى مواضعهم، وقتلوا منهم جمعا، ولم يشعر سائر الناس بما حدث على هؤلاء المتسرعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض.

فلما خرج القواد ورجالهم من المواضع التي أمروا بالخروج منها، واستوى الفرسان والرجالة في أماكنهم، أمر الموفق بتحريك العلم والنفخ في البوق، ودخل النهر في الشذا، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضا، فلقيهم الزنج قد حشدوا وجموا واجترءوا بما تهيأ لهم على من كان تسرع إليهم، فلقيهم الجيش بنيات صادقة وبصائر نافذة، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرات كانت بين الفريقين، صرع فيها منهم جمع كثير وصبر أصحاب أبي أحمد، فمن الله عليهم بالنصر، ومنحهم أكتاف الفسقة، فولوا منهزمين، واتبعهم أصحاب الموفق، يقتلون ويأسرون وأحاط أصحاب أبي أحمد بالفجرة من كل موضع، فقتل الله منهم في ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك، وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسرها، واستنقذوا من كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال علي بن أبان المهلبي وأخويه الخليل ومحمد ابني أبان وسليمان بن جامع وأولادهم، وعبر بهم إلى المدينة الموفقية. ومضى الفاسق في أصحابه ومعه المهلبي وابنه أنكلاي وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم هرابا، عامدين لموضع

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٣٤/٩

قد كان الخبيث رآه لنفسه ومن معه ملجأ إذا غلبوا على مدينته، وذلك على النهر المعروف بالسفياني.

وكان أصحاب أبي أحمد حين انهزم الخبيث، وظفروا بما ظفروا به، أقاموا عند دار المهلبي الواغلة في نهر أبي الخصيب، وتشاغلوا بانتهاب ما كان في الدار وإحراقها وما يليها، وتفرقوا في طلب النهب، وكل ما بقي للفاسق وأصحابه مجموعا في تلك الدار.

وتقدم أبو أحمد في الشذا قاصدا للنهر المعروف بالسفياني، ومعه لؤلؤ في." (١)

"عنه.

حدثنا بكر بن عبد الوهاب القزاز، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم المؤذن فقولوا كما يقول.

هكذا رواه عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ولم يضبط إسناده ورواه أصحاب الزهري، عن الزهري عن عطاء بن يزيد، عن أبي سعيد الخدري.

حدثنا عبد الله بن محمد بن حميد الإمام، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا عباد بن إسحاق، عن الزهري عن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذن بلال فكلوا واشربوا فان أذن بن أم مكتوم فلا تأكلوا، ولا تشربوا فإنه رجل أعمى لا يؤذن حتى، يقال له: أصبحت أصبحت.

حدثنا عبدان، حدثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري عن سالم، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار المسلمين فيما يجمعهم على الصلاة **فقالوا البوق فكرهه** من أجل اليهود ثم ذكر الناقوس فكرهه من أجل النصارى فأوتي تلك الليلة النداء رجل من الأنصار، يقال له: عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب فذكر حديث الأذان.

حدثنا الخضر بن أحمد بن أمية، حدثنا إبراهيم بن سلام أبو إسحاق الكوفي، حدثنا عبد الله بن رجا عن عباد بن إسحاق، عن ابن شهاب عن محمود بن لبيد عن عبادة بن الصامت قال كانت أكثر أيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ومقلب القلوب." (٢)

"صاروا يأخذون من بين أيديهم الشيء فلا يعطونهم الثمن، ولا ينكر عبد الله بن الربيع ذلك، فجاء يوما رجل من الجند، فاشترى من جزار لحما يوم جمعة ثم أبى أن [٤٢٩] يعطيه ثمنه وشهر عليه السيف، فخرج عليه الجزار من تحت الوضم بشفرة فطعن بها خاصرته فخر عن دابته واعتوره الجزارون فقتلوه. وتنادى السودان على الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد فى كل ناحية، ولم يزالوا على ذلك حتى أمسوا، فلما كان الغد هرب ابن الربيع، ونفخ السودان فى بوق لهم. فذكر أهل المدينة أنه كان الأسود فى بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغى له حتى يتيقنه، ثم يوحش بما فى يده ويؤم نحو الصوت حتى يأتيه، فلما اجتمعوا غدوا على ابن الربيع، فخرج إليهم والناس فى الجمعة فأعجلوه عن

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٥٦/٩

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ٤٩٢/٥

الصلاة واستطردوا له حتى أتى السوق، فمر بخمسة من المساكين يسألون فى الطريق، فحمل عليهم بمن معه حتى قتلوهم، ثم مر بأصيبية [١] على سطح فاستنزلهم وآمنهم، فلما نزلوا ضرب أعنا قهم، ثم وقف عند الحناطين وحمل عليه السودان فأجلى هاربا واتبعوه حتى صاروا إلى البقيع ورهقوه، فنثر لهم دراهم فشغلوا بها، ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نخل على [٤٣٠] ليلتين من المدينة ورؤساء السودان ويتوا [٢] وحذيا وعنقود، ولما هزموا ابن الربيع وقع السودان فى طعام وأمتعة لأبى جعفر المنصور، فانتهبوه وأغاروا على دار مروان وفيها طعام وأشياء للجند، فانتهبوه وباعوا الحمل من الدقيق بدرهمين وراوية الزيت بأربعة دراهم، وقتلوا الجند فهابوهم حتى إن كان الفارس ليلقى الأسود وما على الأسود إلا خرقتان على عورته فيولى الفارس دبره احتقارا له، ثم ما يلبث أن يعود بعمود من عمد السوق التي بقرب منه

---

[١] . انظر الطبري (١٠: ٢٦٧) .

[٢] . مهمل ما فى الأصل هنا ومعجم فى الموطن الآتي. وما فى الطبري (١٠: ٢٦٧) :

وثيق.." (١)

"المحلولة وصار الى السيرجان وأقام بها خمسة أيام على انتظار حانويه بن حلمويه (كذا) للزطى وكان قد استدعاه. فوافاه فى عدة وافرة من أصحابه ورحل الى ناختة وهي على عشرين فرسخا من السيرجان ونزل بها. ورتب فى السيرجان ركابية وقوما من المجمزين ليبادروا إليه بخبر للعسكر الذي يتوقع خروجه من شيراز فورد إليهم أحدهم وأعلمه بانفصال القوم من شيراز وقربهم من السيرجان وأنهم على إغذاذ السير وطي المنازل.

وكان بنو خواجه بن سياهجنك وأقارب القواد المأسورين يهنجمون فى كل يوم على بهاء الدولة ويطالبونه بتجريد العساكر مع صاحب جيش كبير لاستنقاذهم واستخلاصهم ويقولون: إن أبا جعفر أستاذ هرمز شيخ كبير لم تبق فيه حركة ولا نهضة. فجرد المظفر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل وضم اليه وجوه الديلم والأتراك من شهرستان بن اللشكرى وأمثاله وأرسلانتكين الكوركيرى وخيركين (كذا) الطيبي ومن جرى مجراهما.

قال ابو عبد الله:

فحدثني من كان حاضرا مجلس أستاذ هرمز يوم جاءه الخبر بانفصال أبى بالعسكر من شيراز وعنده جماعة من الديلم يأكلون على مائدته أنه لما عرف ذلك اضطرب وخفف الاكل ونهض وقد تقدم **بضرب البوق للرحيل** فاجتمع اليه مردجاوك ووجوه الأولياء وقالوا له:

- «تغرر بنا وبدولة سلطاننا وتحمل نفسك وتحملنا على هذا الخطر الذي يوجب الحزم وتجنبه والتوقف على الاستظهار [٤٤] الذي هو أولى ما أخذنا به.» [قال المحدث لأبي عبد الله] [١] وأبو جعفر يسمع أقوالهم ويقول: اضربوا

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤١٠/٣

[١] . إيضاح من مد.." (١)

"(من عذيري من دعوة أوهنت عظمي ... وهدت بهولها أركاني)

(كنت في منظر ومستمتع عنها ... ومن ذا يغتر بالحدثان)

(فنزت بطنتي وهاجت على نفسي ... بلاء ما كان في حسباني)

(كان عيشي صاف فكدره أهل ... صفائي بنو أبي صفوان)

(فارثوا لي يا معاشر الناس من ضري ... ومن طول عطلتي وامتحاني)

(ضرب البوق في دمشق ونادوا ... لشقائي في سائر البلدان)

(النفير النفير بالخيل والرجل ... إلى فقر ذا الفتى الواساني)

(جمعوا لي الجموع من خيل جيلان ... وفرغانة إلى ديلمان)

(ومن الروم والصقالب والترك ... وخلقا من بلغر واللان)

(ومن الهند والطماطم والبربر ... والكيلجوح والبيلقان)

(لم يبقوا ممن عددت من الآفاق ... من مسلم ولا نصراني)

(والبوادي من الحجاز إلى نجد ... معديها مع القحطاني)

(كل ضرب فمن طوال ومن حدب ... قصار والحول والعوران)

(وشيوخ مثل الفراخ وشبان ... رحاب الأشداق والمصران)

(معد جوعت ثلاثين يوما ... بسلاح شاك من الأسنان)

(من مرند ومن تكين وطرخان ... وكسرى وخرد وطعان)

(وخمار وزيرك وعجيب ... وبديع وفارس وجوان)

(وجريح ونار قسطا ويونان ... وبرحفثيا يوحنان)

(وطراد وجهيل وزياد ... وشهاب وعامر وسنان)

(قمس جمعوا بغير عقول ... ردعتهم عني ولا أديان)." (٢)

"إذا القرشى لم يشبة قريشا ... بفعلهم الذي بذ الفعالا

فتيس من تيوس بني تميم ... بذي العبلات أحسن منه حالا

أحمد بن كليب النحوي، أديب شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى موته، وخبره في ذلك طريف.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤٤٣/٧

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤١٥/١

حدثني أبو محمد علي بن أحمد، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متسترا بذلك إلى أن فشت اشعاره فيه وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل؛ فلعهدى بعرس في بعض الشوارع بقرطبة. والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشى وعليه ثوب خز عبيدى، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه. وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر **في البوق بقول** أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمنى في هوا ... هـ أسلم هذا الرشا

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى

ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحى ارتشى." (١)

"رزيق ببغداد أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب قال محمد بن بكر البرساني برسان من الأزد وأخبرنا محمد بن أبي نصر اللفتواني قال محمد بن بكر البرساني من ولد نصر بن مالك وبرسان بطن من الأزد

الثاني أجاز لي من أجاز له أبو علي ابن منجويه قال حدثنا أبو أحمد الأنماطي حدثنا جعفر بن نصير حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن سليمان العدوي حدثنا أحمد بن خلف بن الحسين البرساني من أهل برسان من ناحية سمرقند حدثنا أحمد بن شاهويه البلخي أبو حامد قال سمعت يحيى بن معاذ بحكاية وبباب بلدنا قرية يقال لها برسان بباء غير خالصة منها جماعة من أهل الحديث وغيرهم كإبراهيم بن أيوب وكان من الكبار إلا أنه يكتب بالفاء

(١٩) البرقي والبرقي أحدهما من ينسب إلى برقة بلد يقارب سروجة وقيل هي بعد الإسكندرية ذكرهم أو أكثرهم أبو سعيد بن يونس في تاريخه

الثاني لقب محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي ذكر ابن يونس أخاه أحمد بن عبد الله في البرقيين وذكر محمدا هذا في المصريين وأنه كان يتجر هو وإخوته إلى برقة فعرف بالبرقي وهو من أهل مصر

(٢٠) البوقي والبوقي الأول من **يستعمل البوق ويضربه** للملوك جماعة منهم سمعوا معنا الحديث

الثاني إسحاق بن عبد الله البوقي من بوقة قرية بأنطاكية عن هشيم وغيره روى عنه هلال بن العلاء وغيره

(٢١) البيطاري والبيطاري الأول عبد الله بن محمد بن إسحاق بن عبيد بن سويد أبو محمد البيطاري كان ينزل بيطار

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الحَمِيدي، ابن أبي نصر ص/١٤٣

بلال عن مالك مصري ذكره أبو عبد الله بن مندة

والثاني من ينسب إلى أن كان يتعاطى البيطرة." (١)

"قال الحاكي: فخرجت من عنده الى داري، فبعد ساعة خرجت. فإذا الناس يقولون: مات فلان. فجئت الى الشيخ، فأخبرته. فقال: قد كفينا ما نحذر، والحمد لله. ونقل إليه، مقال اسماعيل في خطبته: أن حسينا، يعني الأعمى الشاب الشيعي، جاء بنقطة من قلة وهذه القلة بين أظهركم – يعني نفسه – فقال أبو إسحاق: عجب من نقطة من قلة خرقت المشرق والمغرب، اللهم اكسر القلة. فمات اسماعيل بعد ذلك بأيام. قال خادمه أبو سعيد: كنت ليلة عنده، فحبسني بحديثه، الى أن ضرب البوق. وكانت علامة أن لا يمشي أحد إلا من خرج لفساد. فمن وجد بعد ذلك ضربت عنقه. فلما فرغ من حديثه، سلمت لأخرج. فقالت لي زوجته: قد ضرب

البوق. فقال لي الشيخ: اجلس. فقلت: الوالدة تظن أني أصبت. فقال لي: اصبر يا أخي. فوقفني بين يديه، وقرأ علي، وأقبل يشير عن جهاتي، وسمعته آخرا يقرأ بيس. ثم دعا، وقال لي: حفظك الله بين يديك، وخلفك، ويمينك، وشمالك، وفوقك، وتحتك. فخرجت فمررت بساع وكلاب وعساسة في غير موضع. فما نبح علي كلب، ولا كلمني أحد، حتى وصلت داري. قال: وكان لبعضهم غلام أصيب ببصره، فسئل الشيخ له في الدعاء، فقال: امضوا يكن خيرا إن شاء الله. فلما أكمل تلك الليلة، أبصر الغلام. قال أبو محمد: وقعت له هرة في البئر. فدخلنا عليه فوجدناه واقفا وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فسألناه فما أخبرنا حتى ضرب الباب، فدخل إنسان، فجرد ثيابه، وائتزر بمئزر، وسلم. فقال له: لك حاجة، فأخبره، فنزل في البئر، فأخرجها. وذهب. فقلت له من هذا؟ قال: لا أدري. قلت: أرسلت فيه؟ قال: لا. قالوا: وأخذ الحاشد رجلا فقيرا، فحبسه وقيده، فمضى ابنه الى أبي إسحاق، فأخبره، فقال له: غدا يخرج أبوك إن شاء الله تعالى. قال: فأنا في الليل، إذ أسمع صائحا يقول: يخرج فلان، وتحل قيوده. ومضى بي الى الحاشد، فقال: امض لا سبيل عليك. فقلت: سألتك بالله ما السبب؟ قال: جاءني الليلة فارس بيده حربة. وقال لي: قم أخرج فلانا، وإلا نحرتك بها. قال القابسي: كنت عند أبي إسحاق السبائي، إذ أتاه رجل مذعور، فقال له: إن السلطان أمر بنهب طعامي، وعبيدي وماشيتي، وقد خرج رسوله لذلك. فقال له الشيخ: كفاكه الله. فخرج من عنده، فإذا بقوم من أهل المنزل، فسألهم. فقالوا: لما وصل رسول السلطان لمنزلك وفتح المطمر، أتاه آت فنهاه أن يتعرض لشيء، قال: واختلف رجلان أيهما أفضل: مروان الزاهد أو السبائي. فدخلا عليه. فوجداه في الصلاة. فلما أكملها، حول وجهه، وقال: ما بال قوم قعدوا بلا شغل، فلان أفضل من فلان، أما لهم في أنفسهم شغل؟ قال أبو سعيد خادمه: اشتريت سلعة، وأشركت فيها الشيخ، فربحت فيها ربحا. فجالت نفسي وأدركتني رغبة. فقلت: قد كان الشيخ مستغنيا عنها، وأنا ذو عيال، ثم حملت الى الشيخ حصته. فلما رآني تبسم، وقال: الناس يجولون على إخوانهم، ويتجرون فيما ابتدأوه من الجهل. امض بها. فأخذني أمر، وقلت: لا أفعل. ثم قلت له: هذا أمر ما علمه إلا الله عز وجل. فقال لي: للناس رؤى ومنامات. ودخل عليه في جملة الناس رجل لا يعرفه، من المشارقة. فلما سلم ودخل، رفع الشيخ رأسه، وقد احمر وجهه، وقام شعره.

---

(١) المؤتلف والمختلف لابن القيسراني = الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط ابن القيسراني ص/١٦٠

وقال: الشيطان في داري، ثلاث مرات، ففر المشرقي. وقال السبائي رضي الله تعالى عنه: قمت بين أبواب بيتي، فسمعت حسا دخل من الباب فضربت الأرض بكفي، وعيني مغلقة. وأنا يقظان. فذهب ناحية الجبانة. وأنا أسمعه يقول: ما ندع أحدا يقربك، لا نائما ولا يقظانا. رحمه الله تعالى. البوق. فقال لي الشيخ: اجلس. فقلت: الوالدة تظن أني أصبت. فقال لي: اصبر يا أخي. فوقفني بين يديه، وقرأ علي، وأقبل يشير عن جهاتي، وسمعته آخرا يقرأ بيس. ثم دعا، وقال لي: حفظك الله بين يديك، وخلفك، ويمينك، وشمالك، وفوقك، وتحتك.." (١)

"واقعة: لما وصل سباشي- الذي كان أمير خراسان من قبل السلطان مسعود بن محمود- مع مئة ألف فارس ومئتي فيل إلى خراسان التي كان فيها آنذاك قحط أدى إلى انعدام العلف والمحاصيل، وهاجمه الإخوة الثلاثة جغري وطغرل ويبغو، ذهب من هناك إلى جرجان لأجل الحصول على العلف، وقد ذكر أنه مرت سنوات على بيهق لم يكن فيها زراعة ولا حصاد، ثم إن سباشي هزم على يد جغري في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثمان وعشرين وأربع مئة، فأرسل السلطان مسعود حاجبا مع تمام العدة والعدد، فجاء هذا الحاجب وعسكر في أعلى رستاق بيهق، وكانت هناك أشجار كثيرة للفستق في قرى إيزي وجلين ونوقاريز، وكان الفصل شتاء، فاستخدم الحاجب خشب تلك الأشجار للوقود، وامتدت أيدي جنوده بالنهب والإغارة، بعد أن أصدر أوامره بقلع تلك الأشجار قائلا إن في خشبها دهنا يجعلها تحترق جيدا، ثم حملت حزم تلك الأخشاب على ظهور الإبل إلى غزنة، وقد أطلق أهل خراسان لقب الحاجب الكناس عليه.
[٢٧٤] حكاية: روى جدي شيخ الإسلام أميرك: ذهبت يوما إلى سباشي، وكان في دار الإمارة بشادياخ نيسابور وكان تحت إمرته مئة ألف فارس ومئتي فيل، فجاء صاحب الخبر وأنهى إليه أنه قد شوهد عشرة فرسان من التركمان في ناحية تكاب، فأمر سباشي بقرع الطبول والنفخ **في البوق الذهبي**، وترتيب الجيش، وحمل التعاويذ والمصاحف، وقراءة الأدعية والنفخ، ثم قال لي: أيها الشيخ الإمام لا تضن علي بالدعاء والتضرع لكي أعود بالسلامة ولا أراهم.
فقلت له: أيها الأمير! إن المبالغة في الحذر والتوجس لا يليقان بك، ولن يكون إلا ما فيه الخير ونفعك، ثم انصرفت من عنده، وقد قال الناس آنذاك: إن شمس تلك الدولة قد شارفت على الغروب.
حكاية: ذكروا أنه لدى نزول السلطان شهاب دين الله سيد سلاطين العرب." (٢)

"ذكر أبو بكر البلاذري حدثني عباس بن يزيد البصري عن عبد العزيز بن عبد الحميد عن عوانة قال وفد الوارع بن دوالة الكلبي على الحجاج بن يوسف وكانت عينه أصيبت يوم المرج فقال له الحجاج ما الشجاعة قال غرائز يجعلها الله في الناس قد نجد الرجل شجاعا لا رأى له فتلك الشجاعة الضارة لصاحبها لأنها تقدم به في حال الإقدام وتحجم به في وقت لا إحجام فيهلك ويهلك وقد تكون الشجاعة نافعة لصاحبها إذا أقدمت به في حين الإقدام وأحجمت به في حين الإحجام والله أصلح الله الأمير لقد رأيتني يوم مرج راهط وإن همام بن قبيصة النميري لواقف وقد انفض عنه اصحابه وإنه من شجاعته لواقف لا يدري ما يصنع ولو فر لكان الفرار يمكنه ولكن حمى أنفا (١) فحمل علي وحملت

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٦/٦٧

(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٤٨٧

عليه فبادرته بضربة على عاتقه فأرديته (٢) عن دابته ثم نزلت إليه لأحتز رأسه فتفل في وجهي ثم قال (٣) ألا يا ابن ذات النوف (٤) أجهز على امرئ (٥) * يرى الموت خيرا من فرار وأكرما ولا تتركني بالخساسة (٦) إنني * أكر (٧) إذا ما النكس مثلك أحجما * فأخذت رأسه فأتيت به مروان وقلت هذا رأس همام (٨) بن قبيصة قال أأنت قتلته قلت نعم قال فهل أعانك عليه أحد قلت نعم الله وفراغ مدته فقال هو والله كما قال الشاعر وفارس هيجا لا يقام لبأسه * له صولة تزور عنها الفوارس وشدة ليث يرهب الأسد وقعها * وتذعر منها العاويات العساعس (٩) جرئ على الإقدام ليس بناكل * ولا يزدهيه الأحوسي (١٠) المقامس (١١) *

---

(١) أي أخذته الحمية والانفة

(٢) كذا بالاصل وم و " ز ": فأرديته وفي المختصر: فأذريته

(٣) البيتان في الكامل لابن الاثير ٢ / ٦١٨ (حوادث سنة ٦٤)

(٤) في م: النوق وفي " ز ": البوق وفي الكامل فكالاصل

(٥) ابن الاثير: فتى

(٦) ابن الاثير: بالحشاشة

(٧) ابن الاثير: " صبور " بدلا من " أكر "

(٨) سماه ابن الاثير: هانئ بن قبيصة النميري

(٩) العساءس يقال عسعس الذئب إذا طاف بالليل

والعسعس الذئب أو هو الذئب الطلوب للصيد بالليل (تاج العروس)

(١٠) الاحوسي: الجرئ والذئب والشجاع عند القتال

(١١) المقامس: الذي يختفي مرة ويظهر أخرى." [١]

"(بعثت إليك أبا قاسم ... بعشر ترد فؤاد العميد)

(جنتها أكف المنى من غصون ... حكى لينهن انثناء القدود)

(تجللن من شفق حمرة ... منمنمة مثل وشي البرود)

(يذكرك المسك أنفاسها ... وحمرتها لون ورد الخدود)

(وإن لمست أي رمانة ... لعض تنسيك عض النهود)

(أتتك بعدة أبياتها ... فخذها إليك كنظم الفريد)

(وخذها على نزرها واصلا ... بذاك أخاك الصفي الودود)

(فلو كنت تهدى بمقدار ما ... يواتيك أهديت دار الخلود)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧١/٦٢

(بقيت على الدهر ما غردت ... على الأيك ورق وما اخضر عود) // المتقارب //

١٥٨٠ - وبخط السلفي أنشدني الشيخ أبو البقاء يعيش بن مفرج بن سعيد اللخمي اليابري نزيل حمص الأندلس قدم علينا الإسكندرية حاجا هذه الأبيات لنفسه وكتب لي بخطه

١٥٨١ - سمعت أبا منصور يلتكين بن قراتكين بن عبد الله التاجر الفضلوي بالثغر يقول سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي الفقيه يقول اجتاز أعرابي عدى مسجد والمؤذن يقول حي على الصلاة حي على الفلاح فدخل وصلى جماعة فحين أراد الخروج لم يجد مداسه فتعلق بالمؤذن وطالبه بالمداس وقال أنت الذي ناديت وجمعت اللصوص حتى سرقوه فكلموه ولم يفد الكلام معه ولم يخله حتى أخذ ثمنه

١٥٨٢ - يلتكين هذا كان أبوه من أتراك مصر ويعرف **بابن البوق وهو** فقد." (١)

"أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أحمد بن معروف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: أخبرنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سليمان القاري، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير.

قال محمد بن عمر: وأخبرنا عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير.

قال: وأخبرنا هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم.

قال: وأخبرنا معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب. قالوا [١] : كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم- قبل أن يؤمر بالآذان- ينادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة. فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالآذان، وكأن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أهمه أمر الآذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق. وقال بعضهم: الناقوس، فبينما هم على ذلك بات [٢] عبد الله بن زيد الخزرجي فأري في النوم [أن] [٣] رجلا عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس.

قال: فقلت: أتبيع الناقوس؟ فقال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب/ به للصلاة لجماعة الناس. قال: أحدثكم بخير لكم من ذلك، تقول: الله أكبر الله أكبر- فذكر الآذان.

فأتى عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له: «قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك فليؤذن بذلك» ففعل، وجاء عمر فقال: لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«فلله الحمد» . قال مؤلف الكتاب [٤] : فعلى هذه الرواية يكون الآذان قد وقع في السنة الثانية من

---

[١] الخبر في طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

[٢] في أ، وابن سعد: «إذ نام عبد الله» .

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/٤٦١

[٣] ما بين المعقوفتين: من ابن سعد.

[٤] في أ: «قال المصنف رضي الله عنه» .." (١)

"وصرف فيه القول مستترا بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه، وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشيء وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلبية المحلاة وغلامه يمسكه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا ... هـ أسلم هذا الرشا

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

وشا بيننا حاسد ... سيسأل عما وشا

ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشا

ومغن محسن يسايره فيها، فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائرا ومقبلا نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي، ولبس جبة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجا وبالآخر قفصا في بيض وتحين جلوس ألسم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده وقال: يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن أنت؟ فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وكان قد تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه فقال له:." (٢)

"- ١٣٤ -

أحمد بن كليب النحوي

: صاحب أسلم، الأندلسيين، ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في «المنتظم» ان أحمد بن كليب مات سنة ست وعشرين وأربعمائة، وذكر قصته التي أذكرها فيما بعد بعينها، ولا أدري من أين له هذه الوفاة، فإن الحميدي ذكره في كتابه ولم يذكر وفاته. قال الحميدي: هو شاعر مشهور الشعر ولا سيما شعره في أسلم، وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى الموت، وخبره في ذلك طريف رواه محمد بن الحسن المذحجي قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي [١] في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب: أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم وفارق صبره،

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣/٧٩

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/٢٠٣

وصرف فيه القول متسترا بـذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس وفيه زامر يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا ... هـ أسلم هذا الرشا

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى

ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى

فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس

---

[١٣٤]- ترجمة أحمد بن كليب في إنباه الرواة ١: ٩٦ والبداية والنهاية ١٢: ٣٨ والنجوم الزاهرة ٤: ٢٨١ والوافي ٧: ٢٩٩ وبغية الوعاة ١: ٣٥٤ وقصته في عشقه لأسلم في صورتها الكاملة إنما هي رواية ابن حزم كما أوردها الحميدي في الجذوة: ١٣٤ (وبغية الملتمس رقم: ٤٦٢) وقد نقلت في المنتظم ٨: ٨٣ ومصارع العشاق ١: ٢٩٧- ٣٠٠ وتزيين الأسواق ٢: ٣٣٩.

[١] محمد بن خطاب، له ترجمة في الجذوة: ٥٠ وبغية الوعاة ١: ٩٩.." (١)

"من لعين تجود بالهملان ... ولقلب مدله حيران

يا خليلي أقصرا عن ملامي ... وارثيا لي من نكبتي وارحماني

ومتى ما ذكرت دعوة أبنا ... ء [١] البغايا والعاهرات الزواني

فانتفا لحيتي وجزا سبالي ... وبنعل الكنيف فاستقبلاني

ما الذي ساقني لحيتي إلى حتفي ... وما غالني وماذا دهاني

من عذيري من دعوة أو هنت عظمي ... وهدت بوقعها أركاني

كنت في منظر ومستمع منها ... ومن ذا ينجو من الحدثان [٢]

فنزت بطنتي وهاجت على نفسي ... بلاء ما كان في حسباني

كان عيشي صاف فكدره أهل ... صفائي بنو أبي صفوان

فارثوا لي يا معاشر الناس من ضري ... ومن طول محنتي وامتحاني

ضرب البوق في دمشق ونادوا ... لشقائي في سائر البلدان

النفير النفير بالخيل والرجل ... إلى قفر ذا الفتى الواساني

جمعوا لي الجموع من جيل جيلا ... ن وفرغانة ومن ديلمان

ومن الروم والصقالب والتر ... ك وبعض البلغار واليونان

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤٢٢/١

ومن الهند والأعاجم و ا لبر ... بر والكيلجوج والبيلقان

لم يحاشوا ممن عددت من الآ ... فاق من مسلم ولا نصراني

والبوادي من الحجاز إلى نج ... د معديها مع القحطاني

كل شكل ما بين حدب وحول ... وأصم والعمي والعوران [٣]

وشيوخ قب البطون [٤] وشبا ... ن رحاب الأشداق والمصران

---

[١] اليتيمة: أولاد.

[٢] اليتيمة: يغتر بالحدثان.

[٣] روايته في اليتيمة:

كل ضرب فمن طوال ومن حد ... ب قصار والحول والعوران

[٤] اليتيمة: مثل الفراخ.." (١)

"[٨٨٤]

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد

بن عمرو بن عبد الله المدني المعروف بقالون القارىء، كنيته أبو موسى: صاحب نافع بن أبي نعيم، مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون، ومولده سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور. وكان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارىء ألقم أذنه فاه ليسمع قراءته، وهو مولى الأنصار.

حدث أبو موسى قالون: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين ويقول لي:

قالون، قالون، يعني جيد بالرومية، وإنما كان يكلمه بذلك لأن قالون أصله من الروم، جد جده عبد الله من سبي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدم به من أسره وباعه، فاشتراه بعض الأنصار فأعتقه، فهو مولى الأنصار.

[٨٨٥]

عيسى بن يزيد بن دأب الليثي:

هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وفي نسبه اختلاف هذا أظهره، أبو الوليد، الراوية النساب من أهل الحجاز، وكان يضعف في روايته، مات في سنة احدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد.

وحدث المرزباني قال، قال عبد الله بن جعفر: كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم، وكان معلما من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال: أنشد ابن دأب:

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٠٥٠/٣

(٨٨٤) – ترجمته في سير الذهبي ١٠: ٣٢٦ وعبر الذهبي ١: ٣٨٠ ومعرفة القراء الكبار ١: ١٢٨ وطبقات ابن الجزري ١: ٦١٥ والوافي للصفدي (خ) والنجوم الزاهرة ٢: ٢٣٥ والشذرات ٢: ٤٨ وقد ذكر الذهبي أنه توفي سنة ٢٢٠.

(٨٨٥) – ترجمته في الفهرست: ١٠٣ ونور القبس: ٣١٠ ومراتب النحويين: ٩٩- ١٠٠ وتاريخ بغداد ١١: ١٤٨ والوافي للصفدي (خ) .." (١)

"فكانوا مائتين، ثم سار فنهب قرية ميزران، ورأى فيها جمعا من الزنج ففرقهم على قواده ؛ ثم سار، فلقيه ستمائة فارس مع سليمان ابن أخي الزينبي، ولم يقاتله، فأرسل من ينهب، فأتوه بغنم وبقر، فذبحوا وأكلوا، وفرق أصحابه في انتهاب ما هناك.

ثم إن صاحب الزنج سار يريد البصرة، حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان فأعلموه أنهم رأوا في الرياحي بارقة، فلم يلبث إلا يسيرا حتى نادى السودان: السلاح السلاح، وأمر علي بن أبان بالعبور إليهم، فعبر في ثلاثمائة رجل، وقال له: إن احتجت إلى مدد فاستمدني، فلما مضى علي صاح الزنج: السلاح السلاح، لحركة رأوها في جهة أخرى، فوجه محمد بن سالم، (فرأى جمعا، فقاتلهم) من وقت الظهر إلى آخر وقت العصر، ثم حمل الزنوج حملة صادقة، فهزموهم، وقتلوا من أهل البصرة والأعراب زهاء خمسمائة، ورجعوا إلى صاحبهم.

ثم أقبل علي بن أبان في أصحابه، وقد هزموا من بإزائهم، وقتلوا منهم، ومعه رأس ابن أبي الليث البلالي القواريري من أعيان البلالية، ثم سار من الغد عن ذلك المكان، ونهى أصحابه عن دخول البصرة، فتسرع بعضهم، فلقيهم أهل البصرة في جمع عظيم، وانتهى الخبر إليه، فوجه محمد بن سالم، (وعلي بن أبان) ، ومشرقا، وخلقا كثيرا، وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريين، فأرسل إلى أصحابه ليتأخروا عن المكان الذي هم فيه، فتراجعوا، فأكب عليهم أهل البصرة فانهزموا، وذلك عند العصر، ووقع الزنوج في نهر كبير، ونهر شيطان، وقتل منهم جماعة، وغرق جماعة، وتفرق الباقون، وتخلف صاحبهم عنهم، وبقي في نفر يسير، فنجاه الله تعالى.

ثم لقيهم وهم متحيرون لفقده، وسأل عن أصحابه، فإذا ليس معه إلا خمسمائة رجل، فأمر بالنفخ **في البوق الذي** يجتمعون لصوته، فلم يأته أحد، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن الذي كانت للزنوج، وبها متاعهم، فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل، و أرسل محمد بن سالم إلى أهل البصرة يعظهم، ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج، فقتلوه.." (٢)

"وإقدامه، وشجاعة أصحابه ما سره، فأمر لؤلؤا بصرفهم إشفاقا عليهم، ووصلهم الموفق وأحسن إليهم.

وألح الموفق على هذا السكر، وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفعلة يعملون في قلعه،

---

(١) معجم ال أدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢١٤٤/٥

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٦٩/٦

ويحارب الخبيث وأصحابه في عدة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم، واستأمن إليه الجماعة، وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقية من أرضين بناحية النهر الغربي، لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان، وبه جماعة يحفظونه، فسار إليهم أبو العباس، وفرق أصحابه من جهاتهم، وجعل كمينا، ثم أوقع بهم فانهزموا، فكلما قصدوا جهة خرج عليهم من يقاتلهم فيها، فقتلوا عن آخرهم لم يسلم منها إلا الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حمله، وقطع القنطرتين، ولم يزل الموفق يقاتلهم على سكرهم، حتى تهيأ له فيه ما أحبه في خرقه.

فلما فرغ منه عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن، والآلات للماء والظهر، وتقدم إلى أبي العباس ابنه أن يأتي الخبيث من ناحية دار المهلبي، وفرق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل، وأمره بالجد في قتال الخبيث، وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتى يحرك علما أسود كان نصبه على دار الكرماني وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت.

وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم، فعجل بعض الناس، وزحف نحوهم، فلقيه الزنج، فقتلوا منهم، وردوهم إلى مواقفهم، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم، وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض، وأمر الموفق بتحريك العلم الأسود، والنفخ في البوق، فزحف الناس في البر والماء يتلو بعضهم بعضا، فلقيهم الزنج وقد حشدوا، واجترءوا، بما تهيأ لهم، على من كان يسرع إليهم، فلقيهم الجيش بنيات صادقة، وبصائر نافذة، واشتد القتال، وقتل من الفريقين جمع كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون، واختلط بهم ذلك اليوم أصحاب الموفق، فقتل منهم ما لا يحصى عددا، وغرق منهم مثل ذلك، وحوى الموفق المدينة بأسرها، فغنمها أصحابه، واستنقذوا من كان بقي من الأسرى من الرجال، والنساء، والصبيان، وظفروا بجميع عيال علي بن أبان المهلبي، وبأخويه: الخليل، ومحمد، وأولادهما، وعبر." (١)

"سار عند وفاة عمه (سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة فملكها، وسار) إلى نصيبين وجمع من أطاعه، وطالب إخوته بالإفراج عن والده وإعادته إلى منزله، فسار أبو تغلب، (إليه ليحاربه، فانهزم حمدان قبل اللقاء إلى الرقة، فنازله أبو تغلب) وحصره ثم اصطلحا على دخن، وعاد كل واحد منهما إلى موضعه.

وعاش ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي شهورا، ومات في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، (ودفن بتل توبة، شرقي الموصل) ، وقبض أبو تغلب أملاك أخيه حمدان، وسير أخاه أبا البركات إلى حمدان، فلما قرب الرحبة استأمن إليه كثير من أصحاب حمدان، فانهزم حينئذ، وقصد العراق مستأمنا إلى بختيار، فوصل بغداذ في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فأكرمه بختيار وعظمه، وحمل إليه هدية كثيرة جليلة المقدار ومعها كل ما يحتاج إليه مثله، وأرسل إلى أبي تغلب النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه، فاصطلحا، وعاد حمدان إلى الرحبة، وكان مسيره من بغداذ في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢١/٦

فلما سمع أبو البركات بمسير أخيه حمدان على هذه الصورة فارق الرحبة، ودخلها حمدان، وراسله أخوه أبو تغلب في الاجتماع به، فامتنع من ذلك، فعاد أبو تغلب وسير إليه أخاه أبا البركات، فلما علم حمدان بذلك فارقها، فاستولى أبو البركات عليها، واستناب بها من يحفظها في طائفة من الجيش، وعاد إلى الرقة ثم إلى عربان.
فلما سمع حمدان بعودته عنها، وكان ببرية تدمر، عاد إليها في شعبان، فوافاها ليلا، فأصعد جماعة من غلمانه السور، وفتحوا له باب البلد فدخله، ولا يعلم من به من الجند، فلما صار في البلد وأصبح أمر بضرب البوق، (فبادر من بالرحبة من الجند." (١)

"منقطعين يظنون أن صوت البوق) من خارج البلد، وكل من وصل إلى حمدان أسره، حتى أخذهم جميعهم، فقتل بعضا واستبقى بعضا، فلما سمع أبو البركات بذلك عاد إلى قرقيسيا، واجتمع هو وأخوه حمدان منفردين، فلم يستقر بينهما قاعدة، فقال أبو البركات لحمدان: أنا أعود إلى عربان، وأرسل إلى أبي تغلب يجيب إلى ما تلتمسه منه.
فسار عائدا إلى عربان، وعبر حمدان الفرات في مخاضة بها، وسار في أثر أخيه أبي البركات، فأدركه بعربان وهو آمن، فلقيهم أبو البركات بغير جنة ولا سلاح، فقاتلهم، واشتد القتال بينهم، وحمل أبو البركات بنفسه في وسطهم، فضربه أخوه حمدان فألقاه وأخذه أسيرا، فمات من يومه، وهو ثالث رمضان، فحمل في تابوت إلى الموصل، ودفن بتل توبة عند أبيه.
وتجهز أبو تغلب ليسير إلى حمدان، وقدم بين يديه أخاه أبا الفوارس محمدا إلى نصيبين، فلما وصلها كاتب أخاه حمدان ومالأ على أبي تغلب، فبلغ الخبر أبا تغلب، فأرسل إليه يستدعيه ليزيد في إقطاعه، فلما حضر عنده قبض عليه وسيره إلى قلعة كواشي، من بلد الموصل، وأخذ أمواله، وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار.
فلما قبض عليه سار إبراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة إلى أخيهما حمدان، خوفا من أبي تغلب، فاجتمعا معه، وساروا إلى سنجار، فسار أبو تغلب إليهم من الموصل في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة، ولم يكن لهم بلقائه طاقة، فراسله أخوه إبراهيم والحسين يطلبان العود إليه خديعة منهما ليؤمنهما ويفتكا به، فأجابهما إلى ذلك، فهربا إليه، وتبعهما كثير من أصحاب حمدان، (فعاد حمدان) حينئذ من سنجار إلى عربان، واستأمن إلى أبي تغلب، صاحب حمدان وأطلعه حيلة أخويه عليه، وهما إبراهيم والحسين، فأراد القبض عليهما فحذرا وهربا.
ثم إن غلام حمدان ونائبه بالرحبة أخذ جميع ماله وهرب إلى أصحاب أبي تغلب بحران، وكانوا مع صاحبه سلامة البرقعيدي، فاضطر حمدان إلى العود إلى الرحبة، وسار أبو تغلب إلى قرقيسيا، وأرسل سرية عبروا الفرات وكبسوا حمدان بالرحبة، وهو لا يشعر، فنجا هاربا، واستولى أبو تغلب عليها، وعمر سورها، وعاد إلى الموصل." (٢)

"أرادوا دخول البلد منعهم، وقال لهم: أنطاكية لكم تهبونها لي حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج، فقالوا له: من يحفظ أبناءنا ونساءنا؟ فقال: أنا أخلفكم فيهم، فأمسكوا، وأقاموا في عسكر الفرنج، فحصروها تسعة أشهر، وظهر من شجاعة ياغي سيان، وجودة رأيه، وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهد من غيره، فهلك أكثر الفرنج (موتا، ولو بقوا على كثرتهم

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٨٣/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٨٤/٧

التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الإسلام) ، وحفظ ياغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم، وكف الأيدي المتطرقة إليهم.

فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو زراد يعرف بروزبة، وبذلوا له مالا وأقطاعا، وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبني على شباك في الوادي، فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد، جاءوا إلى الشباك ففتحوه، ودخلوا منه، وصعد جماعة كثيرة بالجبال، فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق، وذلك عند السحر، وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة، فاستيقظ ياغي سيان، فسأل عن الحال، فقيل: إن **هذا البوق من** القلعة، ولا شك أنها قد ملكت، ولم يكن من القلعة، وإنما كان من ذلك البرج، فدخله الرعب، وفتح باب البلد، وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه، فجاء نائبه في حفظ البلد، فسأل عنه، فقيل إنه هرب، فخرج من باب آخر هاربا، وكان ذلك معونة للفرنج، ولو ثبت ساعة لهلكوا.

ثم إن الفرنج دخلوا البلد من الباب، ونهبوه، وقتلوا من فيه من المسلمين، وذلك في جمادى الأولى.

وأما ياغي سيان فإنه لما طلع عليه النهار رجع إليه عقله، وكان كالولهان، فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ، فقال لمن معه: أين أنا؟ فقيل: على أربعة فراسخ من أنطاكية، فندم كيف خلص سالما، ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل، وجعل يتلهف، ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين، فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه، فلما سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه مسكة [فإنه." (١)

"وأقام أبو يعقوب بها إلى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وهو في ذلك يجهز العساكر ويسيرها إلى غزو بلاد الفرنج في كل وقت، فكان فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها من العرب من الشجاعة ما لا يوصف، وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج، فلا يبرز إليه أحد، ثم عاد أبو يعقوب إلى مراكش.

ذكر نهب نهاوند

في هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند، وسبب ذلك أن شملة كان أيام إيلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند ؛ لكونها مجاورة بلاده، ويبذل فيها الأموال، فلا يجيبه إلى ذلك، فلما مات إيلدكز، وملك بعده ولده محمد البهلوان، وسار إلى أذربيجان لإصلاحها، أنفذ شملة ابن أخيه ابن سنكا لأخذ نهاوند، وبلغ أهل البلد الخبر، فتحصنوا، وحصرهم، وقاتلهم وقاتلوه، وأفحشوا في سبه، فلما علم أنه لا طاقة له بهم رجع إلى تستر، وهي قريبة منها، وأرسل أهل نهاوند إلى البهلوان يطلبون منه نجدة، فتأخرت عنهم، فلما اطمأنوا خرج ابن سنكا من تستر في خمسمائة فارس جريدة، وسار يوما وليلة فقطع أربعين فرسخا حتى وصل إلى نهاوند، **وضرب البوق وأظهر** أنه من أصحاب البهلوان، لأنه جاءهم من ناحيته، ففتح أهل البلد له الأبواب، فدخله، فلما توسط قبض على القاضي والرؤساء وصلبهم، ونهب البلد وأحرقه، وقطع أنف الوالي وأطلقه، وتوجه نحو ماسبذان قاصدا للعراق.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤١٧/٨

ذكر قصد نور الدين بلاد قلج أرسلان

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي إلى مملكة عز الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، وهي ملطية، وسيواس، وأقصرا وغيرها، عازما على حربه وأخذ بلاده منه.

وكان سبب ذلك أن ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج." (١)

"البقش دينا خيرا عادلا حسن السيرة حليما، فأحسن تربيته وتزوج أمه، فلما كبر الولد لم يمكنه النظام من مملكته لخبط وهوج فيه، وكان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم في دولته وحكم فيها، فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن مات الولد وله أخ أصغر منه لقبه قطب الدين، فرتبه النظام في الملك وليس له منه إلا الاسم، والحكم إلى النظام ولؤلؤ، فبقي كذلك إلى سنة إحدى وستمائة، فمرض النظام البقش فأتاه قطب الدين يعوده، فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضربه قطب الدين بسكين معه فقتله، ثم دخل إلى النظام وبيده السكين فقتله أيضا، وخرج وحده ومعه غلام له وألقى الرأسين إلى الأجناد، وكانوا كلهم قد أنشأهم النظام ولؤلؤ فأذعنوا له بالطاعة، فلما تمكن أخرج من أراد وترك من أراد، واستولى على قلعة ماردين وأعمالها وقلعة البارعية وصور، وهو إلى الآن حاكم فيها حازم في أفعاله.

ذكر عدة حوادث

[الوفيات] في هذه السنة توفي صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن شيخ الشيوخ إسماعيل بن شيخ الشيوخ أبي سعيد أحمد في شعبان، وكان قد سار في ديوان الخلافة رسولا إلى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم في معنى الصلح بينه وبين عز الدين صاحب الموصل، فوصلا إلى دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك، فأقاما إلى أن عاد فلم يستقر في الصلح أمر، ومرضا وطلبا العودة إلى العراق، فأشار عليهما صلاح الدين بالمقام إلى أن يصطلحا، فلم يفعلا وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة.

ومات صدر الدين بالرحبة، ودفن بمشهد البوق، وكان واحد زمانه، قد جمع." (٢)

"ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة وفيها في ربيع الآخر سار السلطان من دمشق للغزاة، وكتب إلى مصر فسارت عساكرها إليه، ونازل الكرك وحاصره وضيق على من به ربض الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربض غير خندق حبيب، وقصد السلطان طمه فلم تقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الإفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ولم يمكن السلطان إلا الرحيل، فرحل عن الكرك وسار إليهم فأقاموا في أماكن وعرة، وأقام السلطان قبالتهم، وسار من الإفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه وسار إلى نابلس ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبى فأكثر ثم نزل إلى سبصطية وبها مشهد زكرياء عليه السلام فاستنقذ ما بها من أسرى المسلمين ثم سار إلى جبنين ثم عاد إلى دمشق.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٨٣/٩

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٨٤/٩

وفي هذه السنة توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل ابن أبي سعيد أحمد وكان قد سار من عند الخليفة إلى السلطان في رسالة ومعه شهاب الدين بشير ليصلح بين صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم حال، واتفق أنهما مرضا بدمشق وطلبا المسير إلى العراق وسار في الحر ومات بشير في السخنة، ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق، وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا.
وفيها في محرم أطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن إليه.

ذكر حصار السلطان صلاح الدين الموصل
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وفيها حصر السلطان الموصل وهو حصاره الثاني فأرسل إليه عز الدين والدته وابنة عمه نور الدين بن زنكي وغيرهما من النساء، وجماعة يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم فردهم، واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لاسيما وفيهن بنت نور الدين، وحاصر الموصل وضايقها، وبلغه وفاة شاه أرمن صاحب خلاط في ربيع الآخر من هذه السنة فسار من الموصل إلى جهة خلاط باستدعاء أهلها ليملكها.." (١)

"ولقد مرض رحمه الله ونحن على الخرنوبة وكان قد تأخر عن تل الحجل بسبب مرضه فبلغ الإفرنج فخرجوا طمعا في أن ينالوا شيئا من المسلمين وهي نوبة النهر فخرجوا في مرحلة الآبار التي تحت التل فأمر رحمه الله بالثقل حتى يتجهز بالرحيل والتأخر عن جهة الناصرة. وكان عماد الدين صاحب سنجار متمرضا أيضا فأذن له أن يتأخر مع الثقل وأقام هو ثم رحل العدو في اليوم الثاني بطلبنا فركب على مضض ورتب العسكر للقاء القوم تعبية الحرب وجعل طرف الميمنة الملك العادل وطرف الميسرة تقي الدين وجعل ولده الملك الظاهر والملك الأفضل عز نصرهما في القلب ونزل هو وراء القوم يطلبهم وأول ما نزل من التل أحضر بين يديه أفرنجي قد أسر من القوم فأمر بضرب عنقه بين يديه بعد عرض الإسلام عليه وإبائه عنه وكلما سار العدو يطلب رأس النهر سار هو مستديرا إلى ورائهم حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويتظلل بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفا ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهر ونزل هو قبالتهم على تل مطل عليهم إلى أن دخل الليل ثم أمر العساكر المنصورة إن عادت إلى محل المصابرة وأن يبيتوا تحت السلاح وتأخر هو ونحن في خدمته إلى قمة الجبل فضربت له خيمة لطيفة وبتنا تلك الليلة أجمع أنا والطبيب نمرضه ونشاغله وهو ينام تارة ويستيقظ أخرى حتى لاح الصباح ثم ضرب البوق وركب هو وركبت العساكر وأحدقت بالعدو ورحل العدو عائدا إلى." (٢)

"وبقي الحلبيون عند تمرتاش يحثونه على التوجه إلى حلب، وهو يعدهم ولا يفعل، وهم يقولون له: نريد منك أن تصل بنفسك، والحلبيون يكفونك أمرهم.
فضاق الأمر بالحلبيين إلى حد أكلوا فيه الكلاب والميتات، وقلت الأقوات، ونفد ما عندهم، وفشا المرض فيهم، فكان

---

(١) النوادر السلطانية و ا لمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد /

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٥٨/١

المرضى يئنون لشدة المرض، فإذا **ضرب البوق لزحف** الفرنج قام المرضى كأنما أنشطوا من عقال، وزحفوا إلى الفرنج وردوهم إلى خيامهم، ثم يعودون إلى مضاجعهم.

فكتب جدي أبو الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم كتابا إلى والده يخبره بما آل أمر حلب إليه من الجوع وأكل الميتات والمرض، فوقع كتابه في يد تمرتاش فغضب وقال: انظروا إلى هولاء يتجلدون علي، ويقولون إذا وصلت فأهل حلب يكفونك أمرهم، ويغررون بي حتى أصل في قلة، وقد

بلغ بهم الضعف إلى هذه الحالة.

رابعا أق سنقر البرسقي

ثم أمر بالتوكيل والتضييق عليهم، فشرعوا في إعمال الحيلة والهرب إلى أق سنقر البرسقي، ليستصرخوا به فاحتالوا على الموكلين بهم، حتى ناموا وخرجوا هاربين، فأصبحوا بدارا.

وساروا حتى أتوا الموصل، فوجدوا البرسقي مريضا مدنفا، والناس قد منعوا من الدخول عليه إلا الأطباء، والفروج يدق له لشدة الضعف. ووصل إلى دبيس من أخبره بذلك، فضرب البشارة في عسكره، وارتفع عنده التكبير والتهليل، ونادى بعض أصحابه أهل حلب: قد مات من أملتم نصره. فكادت أنفس الحلبيين تزهق.

واستؤذن للحلبيين على البرسقي فأذن لهم، فدخلوا إليه، واستغاثوا به، وذكروا له ما أهل حلب فيه من الضر، فأكرمهم رحمه الله وقال لهم: ترون ما أنا فيه الآن من المرض، ولكن قد جعلت لله علي نذرا إن عافاني من مرضي هذا لأبذلن جهدي في أمركم، والذب عن بلدكم، وقتال أعدائكم.

قال القاضي أبو غانم قاضي حلب: فما مضى ثلاثة أيام بعد ذلك حتى فارقته الحمى، فأخرج خيمته، ونادى في العساكر بالتأهب للجهاد إلى حلب.

وبقي أياما وعمل العسكر أشغاله وخرج رحمه الله في عسكر قوي، فوصل." (١)

"ولقد مرض ونحن على الخروبة وكان قد تأخر عن تل الحجل بسبب مرضه فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعا في أن ينالوا من المسلمين شيئا بسبب مرضه وهي نوبة النهر فخرجوا في مرحلة إلى الآبار التي تحت التل ثم رحل العدو في اليوم الثاني يطلبنا فركب رحمه الله على مضض ورتب العساكر للحرب وجعل أولاده في القلب ونزل هو وراء القوم بطلبه وكلما سار العدو يطلب رأس النهر سار هو يستدير إلى ورائهم حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو رحمه الله يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويظلل بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس ولا تنصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفا ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهر ونزل هو على تل قبالتهم مطل عليهم إلى أن دخل الليل

ثم أمر العساكر أن تعود إلى محل المصابرة وأن يبيتوا تحت السلاح وتأخر هو إلى قمة الجبل وضربت له خيمة لطيفة وبت تلك الليلة أجمع أنا والطبيب نمرضه ونشاغله وهو ينام تارة ويستيقظ أخرى حتى لاح الصباح ثم **ضرب البوق**

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٢٩٤

وركب رحمه الله وركبت العساكر وأحدقت بالعدو ورحل العدو عائدا إلى خيمه من الجانب الغربي للنهر وضايقه المسلمون مضايقة شديدة." (١)

"والأنثى من أولاد الضأن والمعز من حين يولد، هكذا قاله الجمهور. قال الزبيدي في ''مختصر العين'': البهمة اسم لولد الضأن والمعز والبقر، وجمعها بهم وبهام هذا كلامه. وقال الجوهري: البهام جمع بهم والبهم جمع بهمة وهي أولاد الضأن، ويقع على الذكر والأنثى والسخال أولاد المعز، فإذا اجتمعت البهام والسخال قلت لهما جميعا بهام وبهم. قال الزبيدي في ''مختصر العين'' البهيمة كل ذات أربع من دواب البر والبحر.

بوز: البازي مخفف الياء ولا يجوز تشديدها، وقد أولع كثير من الناس بتشديدها، وهو هذا الطائر المعروف، ويقال فيه: باز ياء وهو مذكر.

قال أبو حاتم السجستاني في كتابه ''المذكر والمؤنث'': الباز مذكر لا اختلاف فيه، يقال البازي والباز، فمن قال البازي قال في التثنية بازيان وبزاة في الجمع كقاضيان وقضاة، ومن قال باز قال: بازان، وأبواز، وبيزان، قال أبو زيد: يقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور واحدها صقر مذكر والأنثى صقرة، هذا آخر كلام أبي حاتم.

قال الجوهري: الباز لغة في البازي وذكر ابن مكي: فيه ثلاث لغات بازي بالتخفيف، قال وهي أعلاهن، وباز، وبازي بالتشديد.

ورطن: قوله في ''الوسيط'' في باب بيع الأصول والثمار اللفظ الثاني الباغ هو بالباء الموحدة والغين المعجمة وهو البستان، وهي لفظة فارسية.

وذكر أبو عمرو في ''شرح الفصيح'': عن الأصمعي أنه كان يأبى أن يقول بغداد بالذال المعجمة ويقول داذ شيطان، وبغ بستان. قال الكسائي وغيره: هي بغداذ، وبغداد، وبغدان، ومغدان، وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

بوق: البوق المذكور في حديث الأذان بضم الباء وهو معروف وفي "المهذب": فقالوا: البوق فكرهه من أجل اليهود فجعله من شعار اليهود، وقد قال الجوهري في "الصحاح": أنشد الأصمعي: زمر النصارى زمرت في البوق. وهذا يدل على أن البوق عندهم للنصارى والذي جاء في صحيح مسلم: "فقال بعضهم: ناقوسا مثل ناقوس النصارى". وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، وفي صحيح البخاري: "وقال بعضهم بوقا مثل قرن اليهود".

بين: قال أهل اللغة: يقال بان الأمر واستبان بمعنى، وأما قولهم بينا زيد جالس جرى كذا، ويقال بينما بزيادة ميم، فأصله." (٢)

"التخنيث والكيد حتى صار يضرب به المثل وهو الذي لما حصل في الأسر كتب له إخوانه يتفجعون من شأنه فجاوبهم يا سخفاء العقول ولأي شيء تتفجعون من شأني وهناك وهنا وزيادة ختانة لم تقطع خير كثير

قال وليس بالأندلس بلد قد شهر بكثرة القطماء مثل قرطبة وخاصة منه درب ابن زيدون فيقولون في التعريض هو من

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/٣٩٦

(٢) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٣/٣٤

درب ابن زيدون كما يقولون رطب الذراع

قال وكان في درب ابن زيدون رجل مشهور بهذا الشأن ينام في أسطوان داره ويترك القفل على الباب يتمكن فتحه فإذا رآه سارق على تلك الحال عالج الباب ودخل فيمسكه القطيم وكان له عبدان يريحهما بهذا الشأن فيقول للسارق أيها الملعون جسرت على بابي وفتحته وأردت الدخول على حرمي ما بقى لك إلا أن والله وتالله لا زلت حتى تفعل فتم لك النادرة في ثم ينبطح فيرى السارق أنه يفعل ذلك لئلا يفتضح ثم يطلقه

١١٦ – البحبضة الحكيم

كان خفيف الروح قصدته يوما عجوز وهو في دكانه فقالت له وهو بين جلسائه يا سيدي أنت هو الحكيم البحبوضي فقال لها في الحين يا ستي وأنت هي العجوزة سو القوادة وكان في قرطبة طبيب يقال له رأس قدح فجاءته عجوز يوما وقالت له يا سيدي أنت هـ الرأس خيبة فقال من عاش كبر

١١٧ – يحيى بن عبد الله بن البحبضة

كان في المائة السابعة يشتغل بأعمال السلطان وله أزجال على طريقة البداوة التي يغنون بها على البوق من ذلك زجله

الطيار ... دعن نشرب قطيع صاح

من ذنا ست الملاح ...." (١)

"ذكر غزو السلطان الكرك في هذه السنة في ربيع الآخر، سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزو، وكتب إلى مصر، فسارت عساكرها إليه، ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض الكرك، وبقيت القلعة، وليس بينها وبين الربض غير خندق خشب، وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر، لكثرة المقاتلة، فجمعت الفرنج فارسها وراجلها، وقصدوه، فلم يمكن السلطان إلا الرحيل، فرحل عن الكرك وسار إليهم، فأقاموا في أماكن وعرة، وأقام السلطان قبالتهم، وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك، فعلم بامتناعه عليه، فسار إلى نابلس وأحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبى فأكثر، ثم سار إلى صبصطية وبها مشهد زكريا، فاستنقذ ما بها من أسرى المسلمين، ثم سار إلى جنبتين ثم عاد إلى دمشق.

ذكر وفاة صاحب ماردين

في هذه السنة مات قطب الدين أيلغازي بن نجم الدين ألبي بن تمرتاش بن أيلغازي بن أرتق صاحب ماردين، أقول إنه قد تقدم في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ذكر ملك ألبي ولد أيلغازي المذكور، وبقي ألبي في ملك ماردين حتى مات، وملك بعده ابنه أيلغازي المذكور، ولم يقع لي وفاة ألبي، وملك أيلغازي المذكورين متى كان لأثبته، ولما مات أيلغازي المذكور، كان له أولاد أطفال، فأقيم في الملك بعده ولده حسام الدين بولق أرسلان، وقام بتدبير المملكة وترتيبها مملوك والده نظام الدين البقش، حتى كبر بولق أرسلان، وكان به هوج وخبط، فمات بولق أرسلان وأقام البقش بعده أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان بن قطب الدين أيلغازي، ولم يكن له حكم، بل الحكم إلى البقش وإلى مملوك للبقش اسمه

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١٧٧/١

لؤلؤ، كان قد تغلب على أستاذه البقش، بحيث كان لا يخرج البقش عن رأي لؤلؤ المذكور، ولم يكن لناصر الدين أرتق أرسلان صاحب ماردين من الحكم شيء، وبقي الأمر كذلك إلى سنة إحدى وستمائة، فمرض النظام البقش وأتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده، فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه ناصر الدين بسكين فقتله، ثم عاد إلى البقش فقتله وهو مريض، واستقل أرتق أرسلان بملك ماردين من غير منازع.

وفي هذه السنة توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعيد أحمد، وكان قد سار من عند الخليفة إلى السلطان صلاح الدين في رسالة، ومعه شهاب الدين بشير الخادم، ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل، فلم ينتظم حال، واتفق أنهما مرضا بدمشق وطلبا المسير إلى العراق، وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة، ودفن بمشهد البوق، وكان أوحد زمانه، قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا.

وفيها في المحرم أطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس، وأحسن إليه.

ثم دخلت." (١)

"عبور الإفرنج خليج القسطنطينية إلى أنطاكية:

وقيل: إنهم عبروا خليج القسطنطينية وقدموا إلى بلاد قليج أرسلان بن سلمان بن قتلمش السلجوقي، فالتقاهم، فهزموه في رجب سنة تسعين. واجتازوا ببلاد ليون الأرمني فسلكوها. وخرجوا إلى أنطاكية فحاصروها، فخاف ياغي سيان من النصارى الذين هم رعيته، فأخرج المسلمين خاصة لعمل الخندق أيضا، فعملوا فيه إلى العصر، ومنعهم من الدخول، وأغلق الأبواب، وأمن غائلة النصارى. وحاصرته الإفرنج تسعة أشهر، وهلك أكثر الإفرنج قتلا وموتا بالوباء وظهر من شجاعة ياغي سيان وحزمه ورأيه ما لم يشاهد من غيره، وحفظ بيوت رعية النصارى بما فيها. ثم إن الإفرنج راسلوا الزراد أحد المقدمين، وكان متسلما برجا من الوادي، فبذلوا له مالا، فعامد على المسلمين يطلعوا إلى أن تكاملوا خمسمائة، **فضربوا البوق وقت** السحر، ففتح ياغي سيان الباب، وهرب في ثلاثين فارسا، ثم هرب نائبه قي جماعة.

استباحة الإفرنج أنطاكية:

واستبيحت أنطاكية فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك في جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين. وأسقط في يد يغيسيان صاحبها، وأكل يديه ندما حيث لم يعد ويقاتل عن حرمه حتى يقتل. فلشدة ما لحقه سقط مغشيا عليه، وأراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه حيل يتماسك به، بل قد خارت قوته فتركوه ونجوا. فاجتاز به أرمني حطاب، فرآه بآخر رمق، فقطع رأسه وحمله إلى الإفرنج.

رواية سبط ابن الجوزي:

وقال صاحب "المرآة": وكثر النفير على الإفرنج، وبعث السلطان بركياروق إلى العساكر يأمرهم بالميسر إلى عميد الدولة

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٦٨/٣

للجهاد. وتجهز سيف الدولة فمنعه ابن مزيد. فجاءت الأخبار إلى بغداد بأن أنطاكية أخذت، وأن الإفرنج صاروا إلى المعرة،." (١)

"صاحب نافع بن أبي نعيم.

واسم قالون عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقي، مولى الزهريين.

أبو موسى المدني النحوي، معلم العربية. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون بجودة قراءته.

وقالون معناه جيد، وهي لفظة رومية [١] .

حدث عن شيخه نافع، وعن محمد بن جعفر بن أبي كثير، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وغيرهم.

وعنه: أبو زرعة الرازي، وإبراهيم بن ديزيل، وإسماعيل القاضي، وموسى بن إسحاق القاضي، وجماعة.

وقرأ عليه القرآن طائفة كبيرة، منهم: ابنه أحمد، وأحمد بن يزيد الحلواني، وأبو نشيط محمد بن هارون، وأحمد بن صالح المصري الحافظ.

وانتهى إليه رئاسة الإقراء في زمانه بالحجاز. ورحل إليه الناس، وطال عمره، وبعد صيته.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم [٢] : سمعت علي بن الحسن الهسنجاني يقول: كان قالون شديد الصمم. فلو رفعت صوتك حتى لا غاية، لا يسمع، فكان ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ [٣] .

وقال عثمان بن خرزاذ الحافظ: ثنا قالون قال: قال لي نافع: كم تقرأ [علي] [٤] ، اجلس إلي أسطوانة حتى أرسل إليك.

وقال أبو عمرو الداني: عرض أيضا على عيسى بن وردان الحذاء.

[()] القراء الكبار ١/ ١٥٥، ١٥٦ رقم ٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٦، ٣٢٧ رقم ٧٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٢٧ رقم ٦٦٢١، ودول الإسلام ١/ ١٣٣، ومرآة الجنان ٢/ ٨٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٣، والوفيات لابن قنفذ ١٦٦، وغاية النهاية ١/ ٦١٥، ٦١٦ رقم ٢٥٠٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ٤٨.

[١] معجم الأدباء ١٦/ ١٥٢.

[٢] في الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٠.

[٣] وقال ياقوت: «كان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ ألقم أذنه فاه ليسمع قراءته» . (معجم الأدباء ١٦/ ١٥٢) .

[٤] إضافة من «معرفة القراء الكبار ١/ ١٥٦، وغاية النهاية ١/ ٦١٥» .." (٢)

"ثم إن الإفرنج راسلوا الزراد أحد المقدمين، وكان متسلما برجا من الوادي، فبذلوا له مالا، فعامد على المسلمين يطلعوا إلى أن تكاملوا خمسمائة، **فضربوا البوق وقت** السحر، ففتح ياغي سيان [١] الباب، وهرب في ثلاثين فارسا،

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٤/٣٤

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥١٣/١٥

ثم هرب نائبه [٢] في جماعة [٣] .

[استباحة الإفرنج أنطاكية]

واستبيحت أنطاكية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وذلك في جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين. وأسقط في يد يغيسيان [٤] صاحبها، وأكل يديه ندما حيث لم يعد ويقاتل عن حرمه حتى يقتل. فلشدة ما لحقه سقط مغشيا عليه، وأراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه حيل يتماسك به، بل قد خارت قوته، فتركوه ونجوا. فاجتاز به أرمني حطاب، فرآه بآخر رمق، فقطع رأسه، وحمله إلى الإفرنج [٥] .

[رواية سبط ابن الجوزي]

وقال صاحب «المرآة» : وكثر النفير على الإفرنج، وبعث السلطان بركياروق إلى العساكر يأمرهم بالمسير إلى عميد الدولة للجهاد.

وتجهز سيف الدولة، فمنعه ابن مزيد. فجاءت الأخبار إلى بغداد بأن

[()] الأرب ٢٨/ ٢٥١، دول الإسلام ٢/ ١٩، تاريخ ابن الوردي ٣/ ١٠، الإعلام والتبيين ٩.

[١] في الأصل: «سنان» ، والتصحيح من: زبدة الحلب ٢/ ١٣٠.

[٢] في الأصل: «هرب في أمية» .

[٣] تاريخ حلب للعظيمي (تحقيق زعرور) ٣٥٩ و (تحقيق سويم) ٢٥، ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٣٥ و ١٣٦، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٤، ٢٧٥، تاريخ الزمان لابن العبري ١٢٤، زبدة الحلب ٢/ ١٣٣، ١٣٤، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٢، دول الإسلام ٢/ ١٩، الإعلام والتبيين ٩، الحروب الصليبية لوليم الصوري ١/ ٣٣٤، ٣٣٥، أعمال الفرنجة (لمؤرخ مجهول) ٦٦ وما بعدها، الألكسياد لأنا كومينا ١٥٦.

[٤] في الأصل: «يغيسنان» ، وفي البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥ «باغيسيان» .

[٥] الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٥، تاريخ الزمان لابن العبري ١٢٤، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٢، ٢٥٣، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٠، العبر ٣/ ٣٣٠، دول الإسلام ٢/ ١٩، ٢٠، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٦ و ١٤٧، الإعلام والتبيين ٩، تاريخ الأزمنة ٨٥، الحروب الصليبية لوليم الصوري ٣٥٩، ٣٦٠، أعمال الفرنجة (لمؤرخ مجهول) ٧٠.." (١)

"وتوفي في جمادى الآخرة، وله بضع وستون سنة.

- حرف الهاء-

٢٧- هبة الله بن يحيى بن الحسن [١] .

أبو جعفر بن البوقي [٢] الواسطي، العطار، الفقيه الشافعي.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩/٣٤

كان عارفا بالمذهب والخلاف والفرائض [٣] .

تفقه على أبي علي الفارقي.

وسمع: أبا نعيم الجماري، وأبا نعيم بن زبزب، وخميسا الحوزي.

وببغداد: أبا بكر الأنصاري، وغيره.

وبرع في المذهب، وناظر الفقهاء. ثم استقدمه الوزير عون الدين فحدث ببغداد [٤] .

وروى عنه: ابن الأخضر، وأبو إسحاق الكاشغري، وجماعة.

وتوفي في ذي القعدة بواسط، وله ٨٣ سنة [٥] .

- حرف الياء-

٢٨- يحيى بن سعيد بن أبي الأسود.

[(-)] (تلخيص مجمع الآداب) .

[١] انظر عن (هبة الله بن يحيى) في: التاريخ المظفري لابن أبي الدم الحموي (مخطوطة مكتبة البلدية بإسكندرية، رقم ١٢٩٢ ب) ورقة ٢٠٧، وتلخيص مجمع الآداب- ج ٥/ رقم ٥٦٥، والمختصر المحتاج إليه ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩ رقم ١٣٠١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٢٢، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٦٤، ٢٦٥ رقم ٢٤٣.

[٢] في الأصل: «العوقي» ، والتصحيح من المصادر، وهي نسبة إلى قرية من أعمال أنطاكية.

وفي (اللباب) : وهو أيضا نسبة إلى عمل البوق.

[٣] زاد الإسنوي: بارعا، مناظرا، غزير الفضل، حسن الأخلاق.

وكان له ولد يقال له: أبو علي الحسن، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وتفقه على أبيه، وبرع في المذهب وصارت الفتوى إليه ببلده، وسمع وحدث.

قال ابن النجار: بلغني أنه توفي في سادس شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

[٤] قال ابن الدبيثي: وحدثنا عنه جماعة، وكان صحيح السماع، ثقة، دينا.

[٥] وكان مولده سنة ٤٨٨ هـ.." (١)

"كبر وشاخ. توفي سنة سبع.

[حرف القاف]

٤٩٠- قشتمر، الأمير [١] ، جمال الدين.

الناصري، المستنصري. مقدم الجيوش الإمامية.

كان أميرا، جليل القدر، مهيبا، وقورا، كثير الصدقات والمعروف.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩٢/٤٠

توفي في ذي القعدة، وكان يوما مشهودا، غسله الإمام نجم الدين عبد الله الباذرائي الشافعي وساعده على غسله المقرئ عبد الصمد بن أبي الجيش. وشيعه الكافة. ودفن بتربته.
وكان أكبر الدولة المستنصرية، كان حوله من الغلمان والخدم المحللين الشعور نحو خمسمائة نفس.
[حرف اللام]
٤٩١- ليث بن علي [٢] بن محمود بن أبي نصر بن خليل.
أبو الفرج، ابن السقاء، البغدادي، البوقي، السمسار.
كان يصنع البوق.
سمع من: أحمد بن المبارك بن درك، وعبيد الله بن شاتيل، ونصر الله القزاز.
أبو الفرج [٣] .
توفي في ثامن ربيع الأول.
ويقال له: سبط خليل السقاء.

---

[١] انظر عن (قشتمر الأمير) في: الحوادث الجامعة ٦٩، ٧٠، ودول الإسلام ٢/ ١٤٣ وفيه تصحف إلى: «قشتم» ، والعبر ٥/ ١٧٢، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٩٧.
[٢] انظر عن (ليث بن علي) في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٢٦، ٥٢٧ رقم ٢٩٢١، وتوضيح المشتبه ١/ ٤٦٥.
[٣] كتبها المؤلف- رحمه الله- في الأصل موصولة بنصر الله القزاز. وقد أصاب الدكتور بشار حين نبه إلى هذا الوهم ففصل الكنية عن القزاز. (انظر المطبوع من تاريخ الإسلام- ص ٣١٧ الحاشية ٢) .." (١)

"فلما وردت أخبار أخذ دمشق فارق الملك الصالح سائر الأمراء والجند وطلبوا بلدهم وأهاليهم، وترحل هو إلى بيسان، وفسدت نيات من معه، وعلموا أن لا ملجأ له، وأنه قد تلاشى بالكلية، وقال له حتى أعمامه وأقاربه:
لا يمكننا المقام معك، أهالينا بدمشق. فأذن لهم فترحلوا بأطلابهم وهو ينظر إليهم، حتى فارقه طائفة من مماليكه، ولم يبق معه إلا أستاذ داره وزين الدين أمير جاندار ونحو سبعين مملوكا له [١] . فلما جنه الليل أمر أن لا تشعل الفوانيس، ثم رحل في الليل ورد إلى جهة نابلس. فحكى لي الأمير حسام الدين قال: لما رحل السلطان من منزلته اختلفت كلمة من بقي معهم، وأشار بعضهم بالرجوع إلى الشرق فخاف أن يؤخذ لبعد المسافة وقال: ما أرى إلا التوجه إلى نابلس فألتجئ إلى ابن عمي الملك الناصر. فتوجه إلى نابلس، فلما طلعت الشمس ورأى مماليكه ما هو فيه من القلة واقعهم البكاء والنحيب. واعترضهم جماعة من العربان فقاتلوهم وانتصروا على العرب، ونزلوا بظاهر نابلس [٢] .
وقوي أمر الصالح إسماعيل، وجاءته الأمراء وتمكن. وكان وزيره أمين الدولة سامريا أسلم في صباه. وكان عمه وزيرا للأمجد صاحب بعلبك، ومات على دينه [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٦/٣٣٩

وأما العادل بمصر فإنه استوحش من الناصر داود وتغير عليه، فخلاه الناصر، ورد إلى الكرك ومعه سيف الدين علي بن قليج [٤] فوافق ما تم على الصالح. فبعث إلى الصالح يعده النصر، وأشار عليه بالنزول بدار الملك المعظم بنابلس. ثم نزل الناصر بعسكره. ثم أمر يوما بضرب البوق، وأوهم أن الفرنج قد أغاروا على ناحيته، فركب معه جماعة الصالح الذين معه، فحينئذ أمر الناصر بتسيير الملك الصالح إلى الكرك في الليل. فلم يصحب الصالح من غلمانه سوى

---

[١] مفرج الكروب ٥/ ٢٣٣، ٢٣٤.

[٢] مفرج الكروب ٥/ ٢٣٥، ٢٣٦.

[٣] مفرج الكروب ٥/ ٢٣٦.

[٤] في مفرج الكروب ٥/ ٢٣٩ (قلج) ، وهو سواء بكسر اللام.." (١)

"فأحرق بيسان، وشن الإغارات على تلك النواحي، وأرسل إلى نائبه أخيه العادل بمصر أن يلاقيه إلى الكرك، فاجتمعا عليها وحصراها، ثم رحلا عنها، وأرسل ابن أخيه المظفر عمر نائبا إلى مصر موضع العادل، ووصل دمشق وأعطى العادل حلب وقلعتها وأعمالها في رمضان منها، وأحضر الظاهر منها.

وفيها: في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبد الله الشاعر المعروف بالأبله.

وفيها: توفي شاهر بن سكمان بن ظهير الدين إبراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وعمره أربع وستون سنة وملكها بعده بكتمر مملوك أبيه صاحب ميافارقين اختاره أكثر أهل خلاط وكاتبوه فحضر وملك.

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة فيها: سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في جمع عظيم وحصر شنترين ومرض فمات في ربيع الأول وحمل إلى أشبيلية ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وشهور، استقام ملكه لتدبيره الجيد، وبويع بعده ابنه يعقوب، وكنيته أبو يوسف يوم وفاة أبيه لقربهم من العدو، فأقام راية الجهاد.

وفيها: غزا صلاح الدين الكرك، وأحضر عساكر مصر معه، وملك ربضها، فاجتمع الفرنج وقصدوه، فخرج عنها بالعسكر ليتلقاهم فوجدهم في وعر، فسار وأحرق نابلس، ونهب تلك النواحي، وأسر وقتل وسبى فأكثر ثم استنفذ ما في سبصطية التي بها مشهد زكريا من أسرى المسلمين ثم سار إلى جينين ثم إلى دمشق.

وفيها: مات قطب الدين إيلغازي بن نجم الدين البي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين، وقام بعده ابنه حسام الدين بولق أرسلان وكان هو وأخوته صغارا ودبره مملوك أبيه نظام الدين البقش حتى كبر وكان به هوج فمات بولق وأقام البقش بعده أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان بن إيلغازي صورة، وكان لؤلؤ مملوك البقش قد تغلب عليه إلى سنة إحدى وستمائة فمرض البقش وأتاه ناصر الدين يعوده، فلما خرج خرج معه لؤلؤ فقتله ناصر الدين بسكين، ثم عاد إلى البقش فقتله وهو مريض واستقر بماردين بلا منازع.

وفيها: توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعيد أحمد سار برسالة الخليفة ومعه شهاب

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٤٣/٤٧

الدين بشير ليصلحا بين صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل، فلم ينتظم حالهما ومرضا بدمشق، ثم سارا إلى العراق في الحر، فمات بشير في السبخة، ومات شيخ الشيوخ في الرحبة، ودفن بمشهد البوق، وكان أوحد عصره، جمع بين رياسة الدين والدنيا.

وفيها: في المحرم أطلق مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن إليه.." (١)

"أعفاء، يبغضون الرشاء والخيانة، فيجعلهم على الناس رءوس ألوف، ورءوس مئين، ورؤس خمسين، ورؤس عشرة، فيقضوا بين الناس، فإذا أشكل عليهم أمر جاءوك، ففصلت بينهم ما أشكل عليهم، ففعل ذلك موسى عليه السلام. قالوا: ودخل بنو إسرائيل البرية، عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر، وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم، وهي أول فصل الربيع. فكأنهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف. والله أعلم. قالوا: ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء، وصعد موسى الجبل، فكلمه ربه، وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أنعم الله به عليهم من إنجائه إياهم من فرعون وقومه، وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده وقبضته، وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا إلى اليوم الثالث، فإذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل، ولا يقتربن أحد منهم إليه، فمن دنا منه قتل، حتى ولا شيء من البهائم، ما داموا يسمعون صوت القرن، فإذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترتقوه، فسمع بنو إسرائيل ذلك، وأطاعوا، واغتسلوا، وتنظفوا، وتطيبوا، فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة، وفيها أصوات وبروق، وصوت الصور شديد جدا، ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدا، وخرجوا فقاموا في سفح الجبل، وغشي الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور، وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة، واستمر صوت الصور، وهو البوق، واشتد، وموسى، عليه السلام، فوق الجبل، والله يكلمه ويناجيه، وأمر الرب، عز وجل، موسى أن ينزل، فيأمر بني." (٢)

"عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم إلى الصلاة، **فذكروا البوق فكرهه** من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس، فكرهه من أجل النصارى، فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد. وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن به» . قال الزهري: «وزاد بلال في نداء صلاة الغداة: الصلاة خير من النوم. مرتين فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، رأيت مثل الذي رأى، ولكنه سبقني.» وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب " الأحكام الكبير " إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده، من طريق البزار، حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد، ثنا أبي، عن زياد بن المنذر، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب، فذكر حديث الإسراء، وفيه فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان، وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه، فأم بأهل السماء، وفيهم آدم ونوح، ثم قال السهيلي: وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا؛ لما يعضده

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٩٢/٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٣٢/٢

ويشاكله من حديث الإسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح، بل هو منكر، تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية، وهو من المتهمين. ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، لأوشك أن يأمر به بعد." (١)

"الطويل، عن أنس به ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن حميد، عن أنس به نحوه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن عبد الأعلى بن حماد عن معتمر عن حميد، عن أنس به نحوه (١) .

[فصل في] (٢) دخول بني إسرائيل التيه وما [جرى لهم] (٢) فيه من الأمور العجيبة

قد ذكرنا نكول بني إسرائيل عن قتال الجبارين، وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه، وحكم بأنهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة، ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين، ولكن فيها: أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار، وأن موسى وهرون وخور جلسوا على رأس أكمة، ورفع موسى عصاه، فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم، وكلما مالت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هرون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس، فانتصر حزب يوشع عليه السلام.

وعندهم أن " يثرون "كاهن مدين وختن موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفره الله بعدوه فرعون، فقدم على موسى مسلما ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه، جرشون وعازر فتلقاه موسى وأكرمه، واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظموه وأجلوه.

وذكروا أنه رأى كثرة اجتمع بني إسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم، فأشار على موسى أن يجعل على الناس رجالا أمناء أتقياء أعفاء، يبغضون الرشاء والخيانة، فيجعلهم على الناس رؤس مئين، ورؤس خمسين، ورؤس عشرة، فيقضوا بين الناس، فإذا أشكل عليهم أمر جاؤك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم، ففعل ذلك موسى عليه السلام.

قالوا ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم وهي أول فصل الربيع فكأنهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف والله أعلم.

قالوا ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أنعم الله به عليهم من إنجائه إياهم من فرعون وقومه، وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده، وقبضته، وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا،

ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم، وليستعدوا إلى اليوم الثالث، فإذا كان في اليوم الثالث، فليجتمعوا حول الجبل، ولا يقتربن أحد منهم إليه، فمن دنا منه قتل حتى ولا شئ من البهائم، ما داموا يسمعون صوت القرن (٣) ، فإذا سكن القرن، فقد حل لكم أن ترتقوه فسمع بنو إسرائيل ذلك

---

(١) وأخرجه مسلم بنحوه في ٣٢ كتاب الجهاد والسير ٣٠ باب غزوة بدر ح ٨٣ / ١٤٠٣ - ١٤٠٤ وأخرجه البيهقي

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٧٦/٤

في الدلائل بنحوه ج ٣ / ٤٧.
(٢) سقطت من النسخ المطبوعة.
(٣) القرن البوق.
[*]."(١)

"وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا، فلما كان اليوم الثالث ركب (١) الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جدا ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدا، وخرجوا فقاموا في سفح الجبل، وغشي الجبل دخان عظيم، في وسطه عمود [من] (٢) نور، وتزلزل الجبل كله، زلزلة شديدة واستمر صوت الصور **وهو البوق واشتد** وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه، وأمر الرب عزوجل موسى أن ينزل، فأمر بني إسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله ويأمر الأحبار - وهم علمائهم - أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص في كتابهم على وقوع النسخ لا محالة فقال موسى: يا رب إنهم لا يستطيعون أن يصعدوه، وقد نهيتهم عن ذلك، فأمره الله تعالى أن يذهب، فيأتي معه بأخيه هرون وليكن الكهنة - وهم العلماء - والشعب - وهم بقية بني إسرائيل غير بعيد - ففعل موسى وكلمه ربه عزوجل فأمره حينئذ بالعشر كلمات.

وعندهم إن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى بلغنا أنت عن الرب عزوجل فإنا نخاف أن نموت، فبلغهم عنه، فقال: هذه العشر الكلمات: وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن الحلف بالله كاذبا، والأمر بالمحافظة على السبت، ومعناه تفرغ يوم من الأسبوع للعبادة * وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي

نسخ الله به السبت.

أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض، الذي يعطيك الله ربك، لا تقتل.

لا تزن.

لا تسرق.

لا تشهد علي صاحبك شهادة زور، لا تمد عينك إلى بيت صاحبك، ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا من الذي لصاحبك.

ومعناه النهي عن الحسد.

وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الأنعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٢٥/١

يبلغ أشده.

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون.

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية) [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وذكروا بعد العشر الكلمات وصايا كثيرة، وأحكاما متفرقة عزيزة، كانت فزالت، وعمل بها حينا من الدهر * ثم طرأ عليها عصيان من المكلفين بها ثم عمدوا إليها فبدلوها وحرفوها، وأولوها.

ثم بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة، بعد ما كانت مشروعة مكملة، فلله الأمر من قبل ومن بعد،

---

(١) في نسخة: ركبت الجبل.

(٢) سقطت من النسخ المطبوعة.

وفي نسخة عمود نار.

[*]."(١)

"الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

وقد روى ابن ماجه هذا الحديث: عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن إسحاق كما تقدم (١) .

ثم قال: قال أبو عبيد: وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك: الحمد لله ذي الجلال وذي الإ *كرام حمدا على الأذان كبيرا إذ أتاني به البشير من الل * ه فأكرم به لدي بشيرا في ليال والى بهن ثلاث * كلما جاء زادني توقيرا قلت: وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم.

ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق قال: وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي، ثنا أبي، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم من الصلاة، **فذكروا البوق فكرهه** من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى.

فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن به.

قال الزهري: وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٢٦/١

عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سبقني، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن

شاء الله تعالى وبه الثقة.

فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البزار: حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبي، عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الإسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح.

ثم قال السهيلي وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء.

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية (٢) وهو من المتهمين.

ثم لو كان هذا قد سمعه

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ح ٤٩٩ وابن ماجة ح ٧٠٨ والامام أحمد في مسنده ٤ / ٤٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٧ / ١٧ - ١٨ والسنن الكبرى ١ / ٣٩٠ وابن إسحاق دون ذكر حديث الاقامة في السيرة ٢ / ١٥٤.

(٢) قال الاسفرايني في الفرق بين الفرق: ص ٢٢: الجارودية فرقة من الفرق الزيدية من اتباع المنذر بن عمرو المعروف بأبي الجارود كفروا الصحابة لتركهم بيعة علي، وقالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بالنص دون = (*)."(١)

"فصل في دخول بني إسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة

قد ذكرنا نكول بني إسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم بأنهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهارون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم وكلما مالت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هارون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس فانتصر حزب يوشع عليه السلام وعندهم أن يثرون كلهن مدين وختن موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفره الله بعدوه فرعون فقدم على موسى مسلما ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه جرشون وعازر فتلقاه موسى وأكرمه واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظموه وأجلوه. وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بني إسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم فأشار على موسى أن يجعل على الناس رجالا أمناء أتقياء أعفاء يبغضون الرشى والخيانة فيجعلهم على الناس رءوس ألوف ورءوس مئين ورءوس خمسين ورءوس عشرة فيقضوا بين الناس فإذا أشكل عليهم أمر جاءوك ففصلت

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٨٥/٣

بينهم ما أشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام. قالوا ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم وهي أول فصل الربيع فكأنهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف والله أعلم. قالوا ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أنعم الله به عليهم من إنجائه إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا إلى اليوم الثالث فإذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقتربن أحد منهم إليه فمن دنا منه قتل حتى ولا شيء من البهائم ما داموا يسمعون صوت القرن فإذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترتقوه فسمع بنو إسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جدا ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدا وخرجوا فقاموا في سفح الجبل وغشي الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور **وهو البوق واشتد** وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فأمر بني إسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله ويأمر الأحبار وهم علمائهم أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص في كتابهم على وقوع." (١)

"سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم من الصلاة، **فذكروا البوق فكرهه** من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن به. قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سبقني، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة. فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الإسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح. ثم قال السهيلي وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين. ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة والله أعلم [[١]] .
قال ابن هشام: وذكر ابن جريج. قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى وقد جاء النبي صلى الله

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١/٢٨٠

عليه وسلم الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك «قد سبقك بذلك الوحي» وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى ثم قال: اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت ثم يؤذن، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة- يعني هذه الكلمات- ورواه أبو داود من حديثه منفردا به.

---

[١] هذا الحديث مقدم في النسخة المصرية ومؤخر في الحلبية.." (١)

"ذكرناه. ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها من قطعتين منفردتين [١] كذلك بأبخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها إليها وتصوت بنغمة حادة يجرى فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأبخاش بالأصابع مثل ما يجري في الشبابة. ومن أحسن آلات الزمر لهذا **العهد البوق وهو** بوق من نحاس أجوف في مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم. وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم إليه فيخرج الصوت ثخينا دويا وفيه أبخاش أيضا معدودة. وتقطع نغمة منها كذلك بالأصابع على التناسب فيكون ملذوذا. ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها إما على شكل قطعة من الكرة مثل المربط [٢] والرباب أو على شكل مربع كالقانون توضع الأوتار على بسائطها مشدودة في رأسها إلى دسر جائلة لي‌أتي شد الأوتار ورخوها عند الحاجة إليه بإدارتها. ثم تقرع الأوتار إما بعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد أن يطلى بالشمع والكندر. ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إمراره أو نقله من وتر إلى وتر. واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على أطراف الأوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الأصوات متناسبة ملذوذة. وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض على توقيع مناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع. ولنبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء. وذلك أن اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم والمحسوس إنما تدرك منه كيفية. فإذا كانت مناسبة للمدرك وملاءمة كانت ملذوذة، وإذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة. فالملائم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لأنه

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٣٣/٣

[١] وفي نسخة أخرى: متفوذتين.

[٢] وفي نسخة أخرى: البربط.." (١)

"العساكر والحروب، وضمت إليه الربانيين، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الربانيون في الأخذ بثأرهم من القراءين خلقا كثيرا. وجاء القراءون إلى ابنها الكهنون ينكرون ذلك وأنه إذا فعل بهم ذلك، وقد كانوا شيعا لأبيه الإسكندر، فقد تحدث النفرة من سائر الناس. وسألوه أن يلتمس لهم اذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة، وخرج معهم وجوه العسكر. ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها، ويقال إن ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها. وكان ابنها أرستبلوس قائد العسكر لما شعر بموتها خرج إلى القراءين يستدعيهم إلى نصرته فأجازوه، وتقبضت هي على ابنيه وامرأته، واجتمعت عليه العساكر من النواحي **وضرب البوق وزحف** لحرب أخيه هرقانوس والربانيين، وحاصرهم أرستبلوس ببيت المقدس، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعيان اليهود والكهنونية ساعين في الصلح بينهما، وأجاب على أن يكون ملكا ويبقى هرقانوس على الكهنونية، فتم ذلك واستقر عليه أمره.

ابتداء أمر انظفتر [١] أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما انظفتر أبو هيردوس، وكان من عظماء بني إسرائيل من الذين جمعوا مع العزير من بابل، وكان ذا شجاعة وبأس، وله يسار وقنية من الضياع والمواشي. وكان الإسكندر قد ولاه على بلاد أروم [٢] وهي جبال الشراة، فأقام في ولايتها سنين، وكثر ماله وأنكحوه منهم، فكان له منها أربعة من الأبناء وهم فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف، وبنت اسمها سلومث. وقيل أن أنظفتر لم يكن من بني إسرائيل، وإنما كان من أروم وربي في جملة بني خشمناي وبيوتهم. فلما مات الإسكندر وملكت زوجته الاسكندرة عزلته عن جبال الشراة، فأقام بالقدس. حتى إذا استبد بالأمر أرستبلوس، وكان بين هرقانوس وأنظفتر مودة وصحبة، فغص أرستبلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفتر وهم بقتله، فانفض عنه وأخذ في التدبير على أرستبلوس. وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه، ويذكر لهم أن هرقانوس أحق بالملك منه، ثم حذر هرقانوس من أخيه وخيل إليه أنه يريد قتله،

---

[١] وهو معروف في التاريخ باسم انتيباتر.

[٢] وفي نسخة ثانية أدوم.." (٢)

"يسلم منهم إلا الشريد. ثم غلبهم على السكر وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدم ابنه أبا العباس إلى دار المهلب وأضاف المستأمنة إلى شبل بن سالم وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نفخ البوق، ونصب علمه الأسود على دار الكرماني. ثم صمد إليهم وزحف الناس في البر والنهر، ونفخت الأبواق وذلك لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين. واشتد القتال وانهزم الزنج ومات منهم قتلا وغرقا ما لا يحصى، واستولى الموفق على المدينة واستنقذوا الأسرى وأسروا الخليل

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٣٥/١

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٤٤/٢

وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما، ومضى الخبيث ومعه ابنه أنكلاي وابن جامع وقواد من الزنج إلى موضع بنهر السفياني كانوا أعدوه ملجأ إذا غلب على المدينة، واتبعه الموفق في السفن ولؤلؤ في البر. ثم اقتحم النهر بفرسه واتبعه أصحابه فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان [١] واعتصموا بجبل وراءه، ورجع لؤلؤ عنهم وشكر له الموفق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح. وجمع الموفق أصحابه فوبخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا بأنهم ظنوا انصرافه. ثم تحالفوا على الإقدام والثبات حتى يظفروا وسألوه أن ترد المعابر التي يعبرون فيها ليستميت الناس في حرب عدوهم، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبى المراكب وبعثهم إلى المراكز ورد المعابر التي عبروا فيها وتقدم سرعان العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا، وافترقوا كل ناحية. وثبت مع الخبيث لمة من أصحابه فيهم المهلبي وذهب ابنه أنكلاي وابن جامع واتبع كلا منهم طائفة من العسكر بأمر أبي العباس ابن الموفق. ثم أسر إبراهيم بن جعفر الهمذاني فاستوثقوا منه. ثم كر الخبيث والمنهزمون معه على من اتبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقفهم. ثم رجعوا ومضى الموفق في اتباع الخبيث إلى آخر نهر أبي الخصيب فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار أنكلاي نحو الديناري ومعه المهلبى وبعث الموفق أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبمن معهم، وكانوا زهاء خمسة آلاف، فاستوثق منهم ثم استأمن إليه ورمونة [٢] وكان عند البطيحة قد اعتصم بمغايض وآجام هنالك يخيف السابلة، ويغير على تلك النواحي وعلى الواردين إلى مدينة الموفق. فلما علم بموت الخبيث سقط في يده وبعث يستأمن فأمنه الموفق فحسنت توبته ورد الغصوبات إلى أهلها ظاهرا،

[١] نهر السفياني: ابن الأثير ج ٧ ص ٤٠٣.

[٢] درمويه الزنجي: المرجع السابق ص ٤٠٤.." (١)

"خراسان وأزال الخوارج نظر فيمن يوليه خوارزم وكان نائبها أكنجي قد قتله كما مر فوقع اختياره على محمد بن أبي شكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع محله وأقره السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعه وغاب في بعض الأيام عن خوارزم فقصدها بعض ملوك الأتراك وكان طغرلتكين محمد الذي كان أبوه أكنجي نائبا بخوارزم وبادر محمد بن أبي شكين الى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر وسار بالعساكر مددا له وتقدم محمد بن أبي شكين فتأخر الأتراك الى منقشلاع ورحل طغرلتكين الى جرجان وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر ولما توفي ولى ابنه بعده أقسر وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاع ولما توفي اختصه السلطان سنجر وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه واتصل الملك في بني محمد أبي شكين خوارزم شاه وكانت لهم الدولة وتمت دولة بني ملك شاه وعليها كان ظهور الططر [١] بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما سيأتي في أخبارهم.

استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشام

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٠٩/٣

كان الافرنج قد ظهر أمرهم في هذه السنين وتغلبوا على صقلية واعتزموا على قصد الشام وملك بيت المقدس وأرادوا المسير اليها في البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية أن يسهل لهم الطريق الى الشام فأجابهم على أن يعطوه انطاكية فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب مرقيه وبلاد الروم لمدافعتهم فهزموه ثم مروا ببلاد ابن لبون الارمني ووصلوا الى انطاكية فحاصروها تسعة أشهر وصاحبها يومئذ باغي سيان فأحسن الدفاع عنها ثم تبوءوا البلد بمداخلة بعض الحامية أصعدهم السور بعد أن رغبوه بالأموال والاقطاع وجاءوا الى السور فدلهم على بعض المخادع ودخلوا منه **ونفخوا البوق فخرج** باغي سيان هاربا حتى إذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه وندم فسقط مغشيا عليه ومر به أرمني فحمل رأسه الى انطاكية وذلك سنة احدى وتسعين وأربعمائة واجتمعت عساكر المسلمين وزحفوا الى انطاكية من كل ناحية ليرتجعوها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا الى الشام واجتمعت عليه العساكر بمرج دابق فكان معه دقاق بن تتش وطغرلتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق

---

[١] وهي التتر أو التتار، كما في كتب التاريخ.." (١)

"الحلواني و"ج ف ك" إسماعيل بن إسحاق القاضي و"ج ف ك" الحسن بن على الشحام و"ج ك" الحسين بن عبد الله المعلم و"مب ج ف ك" سالم بن هارون أبو سليمان و"ف" عبد الله بن عيسى المدني و"ج" عبيد الله بن محمد العمري وعثمان بن خرزاذ و"ج" محمد بن عبد الحكم القطري و"مب ج ك" محمد بن عثمان أبو مروان العثماني و"ع" محمد بن هارون المروزي و"ج ك" مصعب بن إبراهيم وموسى بن إسحاق القاضي و"غا ك" الزبير بن محمد بن عبد الله الزبيري و"ك" عبد الله بن فليح، قرأت على أحمد بن محمد بن الحسين عن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي اليمن قال: حدثني أبو محمد البغدادي قال: كان قالون أصم لا **يسمع البوق وكان** إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه، وقال ابن أبي حاتم: كان أصم يقرئ القرآن ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة قال: وسمعت علي بن الحسين١ يقول: كان عيسى بن مينا قالون أصم شديد الصمم وكان يقرأ عليه القرآن وكان ينظر إلى شفتي القارئ ويرد عليه اللحن والخطأ، قال الداني: توفي قبل سنة عشرين ومائتين وقال الأهوازي وغيره: سنة خمس ومائتين وقال الذهبي: هذا غلط وأثبت وفاته سنة عشرين قلت وهو الأصح والله أعلم.

٢٥١٠- "س غا ج ف ك" عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، عرض على "س غا ك ف" أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع وهو من قدماء أصحابه قال الداني: هو من جلة أصحاب نافع وقدمائهم وقد شاركه في الإسناد وقال ابن مجاهد: حدثنا عبد الله بن محمد الحربي ثنا أبو إبراهيم ثنا زيد بن بشر الحضرمي ثنا ابن وهب أخبرني ابن زيد ابن أسلم قال: كان أبي يقول لعيسى بن وردان أقرأ على أخوتك كما كان أبو جعفر وشيبة بن نصاح يقرآن على كل رجل عشر آيات عشر آيات، عرض عليه "ج" اسماعيل بن جعفر و"س غا ف

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٣/٥

ك" قالون ومحمد بن عمر الواقدي، مات فيما أحسب في حدود الستين ومائة.

---

١ علي بن الحسن ق.." (١)

"الحال فوض نيابة الحكم الحمراوي، كالإنكاء للمالكي، لكونه أغلظ للحمراوي حتى في حضرته، ولكونه فارقهم على ضغين، فشاط المالكي وكاد أن يسافر، فركب الحمراوي إلى الشهاب المحوجب وقاضي الحنابلة النجم بن مفلح، وهم ساعون في الصلح.

وفي يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر منها أتى رجل أعجمي من بلاده، وقد أثبت أنه شريف، وأنه من ذرية سيدي أحمد الرفاعي، فدل على زاوية السيوفية بالصالحية الموقوف عليها، وعلى ذرية السيوفي شيخها، قرية الفيجة وقرية دير مقرن، لإتنهى للسلطانت أنها شاغر، ليس لها ناظر، فأخرج له مربعة باستقراره في النظر والمشيخة بها، وأتى بذلك إلى النائب بحضرة القضاة ومفتية دار العدل، فقال الشافعي: يرجع إلى كتاب الوقف فيعمل بما تضمنه.

والحال أن سيدي أحمد بن الرفاعي ولم يكن له عقب، ولم يكن شريفا، وليست بشاغرة، بل أحد نظارها عمي العلامة جمال الدين بن طولون الحنفي الصالحي، مفتي دار العدل الشريف، وهو حاضر وعنده كتاب الوقف؛ فلم يساعد القاضي الشافعي أحد من الحاضرين، بل اتفق الحال على أن النائب يأتي إلى الزاوية وينظر في أحوالها، فأتى وحده إليها، ولم يعلم أحدا، فأكرمه هذا الرجل الأعجمي وجماعته، وأظهروا أن ناظرها مقصر، وأنه قد خرب ما بجوارها من العمارة، وأنه من جملتها.

والحال أنها عامرة والخراب إلى جانبها بتربة بناها الملك الناصر يوسف، بنيت قبلها بدهر وأما هذه الزاوية فبنيت في أيام ابن قلاوون، ومساعد على ذلك، مراعاة لخاطر النائب، العواني عبد الله بن القوعوني، واستمر هذا الأعجمي فيها واستولى على الوقف المذكور باليد، وأظهر الانتصار، وأراد أن يغتصب كتاب الوقف من عمي ابن طولون المذكور، فلم يطلع من يده.

وفي ليلة السبت سادس عشره فوض القاضي الشافعي لبرهان الدين إبراهيم بن محيي الدين بن يحيى بن أحمد بن ماط الزرعي، الذي اشتهر بالإخنائي، وهو شاب عار من الفضل، ولا قوة إلا بالله، وصارت جملة نواب الشافعي به أربعة عشر نائبا. وفي يوم الأحد رابع عشريه توفي البرهاني الأكتع أحد الشهود بباب مسجد البوق، كان يكتب بشماله.

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه، وهو آخر حضور الشامية البرانية، قرأ أخونا الشاب الصالح نجم الدين بن شكم الصالحي، ما كتبه بالأمس، عند ضريح الواقفة، على الأربعين مسألة التي سأله عنها مدرسها الشيخ تقي الدين ابن قاضي عجلون، فظهر عن استحضار حسن، وفضيلة تامة، فالله يجعله من العلماء العاملين.." (٢)

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري ٦١٦/١

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٤٨

".. وكم له معجزات كالشموس سنا ... بها لاشراق وجه الحق تهليل

لا حد يحصرها لا عد يضبطها ... وليس يجهلها إلا المجاهيل

ما مس بالكف ذا داء أضر به ... إلا وزند يمين الداء مشلول

ومن يسير سقى جيشا واطعمه ... وفاض من بعد مشروب ومأكول

والعود أورق والعرجون في يده ... مهند من سيوف الله مسلول

والبدر شق له نصفين أي بمنى ... وأشهد الناس طه وهو مجذول

به شرائع كل الرسل قد نسخت ... وما لشرعته نسخ وتبديل

لذاك لو عاش موسى لم يسعه سوى ... اتباعه عنه هذا القول منقول

بخاتم الرسل صرنا أمة وسطا ... لنا على الأمم الماضين تفضيل

وفي القيامة من نور الوضوء لنا ... دون الورى غرر زهر وتحجيل

كتابنا احكمت آياته فكذا ... لسان كل بليغ عنه مسلول

هو القديم فلا يبلى محاسنه ... من الجديدين دع ما قال ضليلي

أخبار من قبلنا فيه محررة ... وفيه وللدين تفريع وتأصيل

به الرسول تحدى كل ذي لسن ... وهل تقوم م ع الحق الأباطيل

هل بعث أحمد إلا رحمة شملت ... وظلها أبدا فيه لنا طول

لنا عن البوق والناقوس أي غنى ... إذ جاء آذان وتكبير وتهليل

ومزق الله جيش الملحدين به ... وكل من حجة الإسلام مجذول

بسيفه دمر الأعداء فلم يقهم ... من نسج داود في الهيجاء سرابيل

وقد أمد بصحب كالنجوم هم ... السعر المغاوير والصيد البهاليل

هم الليوث العبوس الشوس ليس لهم ... سوى القنا السمر أو بيض الظياغيل

وبالمليك والرغب العظيم على ... شهير وللريح في الأعداء تنكيل

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... فلي عليك غدا في الحشر تعويل

يا أصدق الناطقين الصادقين لدى ... قول وفعل ويا من قيله القيل

يا من علا ورقى السبع الطباق إلى ... مقام قرب تناءى عنه جبريل

كقاب قوسين أدناه وكلمه ... مولاه في حيث لا أين وتمثيل

وهذه رتبة ما نالها ملك ... أو مرسل حبله بالله موصول

هذا حديثك يا فتح الجواد قرأناه ... ومسك الختام اليوم تكميل
الفاظه كربيع زاهر أنق ... زاه بهتان ماء المزن مطلول ...." (١)

"فقالوا: لو أمرت بالبوق فنفخ فيه، فقال: «فعل اليهود؟ لا» ، فرجعت إلى أهلي وأنا مغتم لما رأيت من اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله، حتى إذا كان اليل قبل الفجر غشيني النعاس، فرأيت رجلا عليه ثوبان أخضران أنا بين النائم واليقظان، فقام على سطح المسجد فجعل أصبعيه في أذنيه ونادى.

وعنده أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: كانت الصلاة إذا حضر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى رجل في الطريق فنادى: الصلاة، الصلاة؛ فاشتد ذلك على الناس وقالوا: لو اتخذنا ناقوسا – فذكر الحديث. كذا في الكنز (٤٢٦٣ و٢٦٥) .

المناداة بالصلاة جامعة في عهده عليه السلام قبل الاهتداء للأذان

وأخرج ابن سعد عن نافع بن جبير وعروة وزيد بن أسلم وسعيد بن المسيب قالوا: كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس – فذكر الحديث وفي آخره قالوا: وأذن بالأذان، وبقي ينادي في الناس: الصلاة جامعة للأمر يحدث، فيحضرون له يخبرون به مثل فتح يقرأ، أو أمر يؤمرون به، فينادي: الصلاة جامعة وإن كان في غير وقت صلاة.

أذان سعد القرظ للنبي عليه السلام في قباء

وأخرج الطبراني في الكبير عن سعد القرظ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أي ساعة أتى قباء أذن بلال رضي الله عنه بالأذان لأن يعلم الناس أن." (٢)

"فتضرع إلى رولان أن ينفخ في بوقه ليدعو شارلمان إلى نجدته، فأبى رولان، وانقض الجيش المهاجم على مؤخرة الفرنج، ونشبت بينهما عدة معارك هائلة. واستمر رولان يأبى طلب النجدة حتى مزق جيشه ولم يبق منه سوى ستين رجلا، وعندئذ نفخ في بوقه يدعو شارلمان: ثم قتل بقية أصحابه، ولم يبق سوى رولان وأوليفر واثنين آخرين. ولما شعر العرب أن شارلمان سيرتد بجيشه لقتالهم، قرروا الانسحاب. وكان زملاء رولان الثلاثة قد قتلوا، وأثخن رولان نفسه جراحا حتى أشرف على الموت. ولكنه استطاع أن ينفخ في بوقه مرة أخرى قبل أن يموت، وأن يسمع صرخة شارلمان الحربية، وسمع شارلمان **صوت البوق على** بعد مراحل عديدة. فعاد مسرعا وطارد جيش العدو وسحقه. ودفن الفرنج قتلاهم، وعوقب جانلون الخائن أروع عقاب. وتوفيت ألده، خطيبة رولان حينما علمت بموته ".

هذه هي خلاصة القصة التي ترددها أنشودة رولان الشهيرة. وهي أبعد ما يكون عن وقائع التاريخ الحق. بيد أنها تتخذ

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٤٠٥

(٢) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ١٥١/٤

مادتها من بعض هذه الوقائع، ومن الذكريات والروايات الشفوية المتناقلة، والأناشيد الحربية المعاصرة. وهي نورمانية الأصل، ظهرت لأول مرة في القرن الحادي عشر، أعني بعد الموقعة بنحو ثلاثة قرون، ودونت أولا في بعض القصص اللاتينية، ثم دونت بالنظم في ملحمة طويلة تبلغ أربعة آلاف بيت بعنوان " أنشودة رولان " Chanson de Roland ولبثت تعتبر مدى عصور من أعظم الآثار الأدبية، ومن روائع القريض الحربي.

وكانت حوادث هذه الموقعة الشهيرة مستقى خصبا لكثير من الكتاب والشعراء، وكانت بالأخص مستقى لقصص الفروسية والملاحم الحماسية المغرقة، التي تملأ فراغا كبيرا في الأدب الفرنجي في العصور الوسطى (١).

ومما يلفت النظر في حوادث الموقعة أن شارلمان، لم يحاول بعد أن أفاق من الصدمة الأولى، أن يعجل بالانتقام لنكبة جيشه ومقتل فرسانه، وأن يعود فيطارد تلك العصابات التي تحدته واجترأت عليه سواء من المسلمين أو البشكنس.

---

(١) راجع حوادث هذه الموقعة الشهيرة في أخبار مجموعة ص ١١٢ و١١٣، وابن الأثير ج ٦ ص ٥ و٢١، وابن خلدون ج ٤ ص ١٢٤، وراجع أيضا Bouquet ; Vol.V.R.M. Pidal: La Chanson de Roland.Cap. VI.p. 171 - 215;p. 14,26,42. & 208 و Reinaud: ibid: p. 95,96 و Hodgkin: Charles the Great p. 141-152.." (١)

"وكان النصارى العرب يتقربون إلى رجال دينهم ويتبركون بهم ويحترمونهم حتى قيل إن الصبيان منهم كانوا إذا رأوا الراهب ينزل ليذهب إلى بيت المقدس أو غيره خرجوا له فتمسحوا به ولثموا ثيابه، حتى يمزقوا أثيابه. وإلى ذلك أشير كما يقول أهل الأخبار – في شعر امرئ القيس:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ... كما شبرق الولدان ثوب المقدس١

ولبس رجال الدين ملابس خاصة لتميزهم عن غيرهم، غلب عليها السواد. وقد اختصت لفظة "المسح" و"المسوح" بالملابس التي كان يلبسها الزهاد والرهبان.

ومن أهم العلامات الفارقة التي ميزت معابد النصارى عن معابد اليهود والوثنيين: "الناقوس"، الذي ينصب فوق سطح الكنائس وفي منائرها، للإعلان عن أوقات العبادات ولأداء الفروض الدينية، وهو عند الجاهليين خشبة طويلة يقرع عليها بخشبة أخرى قصيرة يطلقون عليها لفظة "الوبيلة" و"الوبيل". وهو في **مقابل البوق عند** يهود يثرب، إذا أرادوا الإعلان عن موعد العبادة. وقد عرف **هذا البوق بين** عرب يثرب بـ "القنع" أيضا٢، وبـ"الشبور"٣. وقد ذكر علماء اللغة أن الشبور "شيء يتعاطها النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقربون به". وقال بعضهم: هو القربان بعينه، وذكروا أن الشبور شيء ينفخ فيه، **فهو البوق عند** اليهود، وهو معرب وأصله عبراني٤.

وقد وردت كلمة "الناقوس" في الشعر الجاهلي: وردت في بيت للشاعرالمتلمس٥،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٨٢/١

١ المعاني الكبير "٢/ ٧٦٤".

٢ القنع، وورد القبع والقتع والقثع، اللسان "١٠/ ١٣١"ز

٣ عمدة القاري "٥/ ١٠٢ وما بعدها"، اللسان "٨/ ١٢٦".

٤ اللسان "٦/ ٥٩"، تاج العروس "٣/ ٢٨٩"، "شبر"، وقد نقس بالوبيل الناقوس"، تاج العروس "٤/ ٢٦٢ وما بعدها".

٥

حنت قلوصي بها والليل مطرق ... بعد الهدو وشاقتها النواقيس

ديوان المتلمس "١٧٨"، "طبعة فولرس" "لايبزك ١٩٠٣".." (١)

"تحققون الفتح فلتبقوا حيث انتم إن هذه الحرب ليست حربكم واذا ماكنتم تبغون طرد الايطاليين فقط فلتذهبوا الى بيوتكم إنما يتوجب عليكم هو طرد الشيطان ودولته من بلادنا، وأن تعيدوها الى رحمة الواحد القهار ... ولكن يجدر بكم ألا تتوقعوا ليالي ملاحا وأياما لطيفة، انكم الآن خدم عقيدتنا، انها نار حامية في النهار، ومسيرات طويلة في الليل، إنه الجوع والعطش، كل هذا ينتظركم، على أن المجد والشرف ينتظرانكم أيضا. فلتودعوا خيمتكم، وإذا ماأراد الله فلن ترو ذويكم ثانية، .... ولاتخافوا شيئا.

إن المعركة حسب مشيئة الله، انها ستغسل ذنوبكم بالدم، وإذا ماوضعت الشهادة يوم الحساب سينظر الى ماقمتم به من إعمال، عندئذ ستكون الجنة بانتظاركم، ... فلتأتوا معي باسم الله) (١).

يقول الضابط التركي امين بك: إن وقع صوت الشيخ في نهاية الخطبة كان مثل وقع البوق، لقد كانت عيون ألف من العرب (المجاهدين) تتوقد حماسا وهي تنظر إليه وقد وقفوا جميعا في صف الجهاد (٢).

يقول عن المجاهدين: إن جرأة هؤلاء الناس لا يعلى عليها، وأما دوافعهم الى الاستهانة بالموت فهي ذات أساس فلسفي: (أرغب أن أموت في الحرب شابا على أن أموت على فراشي شيخا فما من مجد في الموت الناجم عن مرض الشيخوخة) (٣).

هكذا كان تأثر الضباط الاتراك بالمجاهدين الليبيين الذين حركتهم عقيدتهم، وحبهم لدينهم، وحرصهم على الشهادة في سبيل الله تعالى.

ولقد تفاعل العالم الاسلامي مع أخبار الانتصارات التي حققها المجاهدون، فأنشدوا القصائد الجميلة؛ فمنها قول الشاعر:

---

(١) انظر: الشهيد، العدد الخامس، ص١٩٨،١٩٧.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٣٤/١٢

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٩٨.

(٣) انظر: الشهيد، العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ص٢٠٠.." [١]

"وكانت قصور بني أمية تشهد حفلات زواج، ولا توجد لدينا معلومات عنها، ولكن يمكن تكوين صورة عنها من خلال معرفتنا لما كان يجري في حفلات زواج العامة أو بعض وجهاء الدولة.

فقد كانت الأسر الموسرة تتفاخر في تجهيز بناتها، حتى أن الأمر يكلف بعضهم ما لا يطيق، فقد روى ابن حيان عن أبيه أن محمد بن أفلح غلام الخليفة الحكم المستنصر بالله، اضطر عند تجهيزه لابنته إلى بيع لجام محلى ثقيل الوزن كان يستخدمه لزينته أيام المواكب١.

وكانت حفلة الزواج تستمر أسبوعا كاملا٢، يمر فيه موكب الزفاف في أحد شوارع قرطبة، ومع موكب الحفل جماعة من الملهين ومعهم أحد المشهورين بالزمر، يكون في وسط الحفل، وعلى رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه٣، وتقام الولائم في منزل والد العروس، ويصاحب ذلك سماع **ضرب البوق أو** ضرب الكير أو المزهر أو الطنبور أو العود، إلى جانب غناء المغنيِن والمغنيات والراقصات٤.

١- الذخيرة، ق٤ م١ ص ٦٣.

٢- د. محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي-الخامس الهجري- الحياة الاقتصادية والاجتماعية، (تونس الدار التونسية ١٩٨٤) ص٢٨٢.

٣- جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢٤٤.

٤- قرطبة الإسلامية ص ٢٨٤.." [٢]

"السنة اسم الصحيفة

المعهد، شمس المعارف، تاج المعارف، الحظ، الراعي الصالح، نور الإسلام، الجهاد الأدبي، الإخلاص، الخبراء، النفس البريئة، لسان العرب، جرية الشعوب، أسيوط، الرشديات، النبراس، الأمم، القرن **العشرين، البوق القبطي**، الرضا، الفنار، البلاج، الملاكم، النادي، الإخلاص المصري، المصلح، الغرف التجارية، المؤيد الجديد، الضحى، المنبر، القليوبية، بناء النيل، المدن، الميتكر، النشرة الشهرية لشركة القديس منصور دي بول، البصير، الميزان، رسالة القديسة تريزا، الطفل يسوع، الرقيب، الأنيس، العلوم الطبيعية، بحر يوسف، الأخبار، الفيوم، المرآة، النهضة الفكرية، بريد العاصمة، الفلاح، عنوان السلام، القاهرة المصورة، المنزلة، أبو الهول الأسبوعي، على عيني، القصص، العفريت، التاج، البشري، لواء السلام، الوادي، بريد الصباح، الأرياف، السحاب، روضة المعارف، المصري، صوت مصر، التجديد، الهدير ، حوش عيسى، الإدارة والبوليس القضائي، مصر الاقتصادية، حنفي عامر، الجامعة، كوكب السينما، أنت وهو، البورصة، زقزوق وظريفة،

(١) الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا علي محمد الصلابي ٣٣٢/٢

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٣٠٤/١

نهضة مصر، مسامرات كامل، العواطف، الستار، الأرواح، الشعب، المدرسة والحياة، المجلة الكيمائية المصرية، الشيخ، مسامرات أنيس الجلوس، السندباد البري، الإيجارات، المصور الفني الرياضي، الزمن، النهضة القومية.

١٩٣١ الأحرار الدستوريون، الشمس المنيرة، الاستقلال العربي، نشرة المعرض، الأمير، المعرفة، الراديو، الإعلانات المنزلة، نهضة مصر، الفتح والنصر، ممفيس الجديدة، الحقيقة، الجمهور المصري، الجرنال، الزهور اليانعة، إسلامي دنيا الشرائع، القانون والاقتصاد، الفردوس الزاهي، النصوح، الخواطر الحديثة، نقد التشريع والقضاء، العائلة، المعلومات، صديق الشعب، الدولة الأسبوعية، المسرح المصري، المختار، العزيبات، البوليس السري، البهاء، الطب الحديث، الظريف، الأحد المصور، الراوي الجديد، رقي المعارف، رسمي، الميزان، الدقهلية، المفيد، الطلبة، التجارة، الفصول، القنال، عالم الطفولة، السمير، الكشافة الإسلامية، العلم الأخضر، الرياضيين، الدولة، الملاهي المصورة، القادسية، الشفق، النهضة، دليل الملاهي.." [١]

"بصحته وعدم أخذ قسط كاف من الراحة، فكان يرد عليهم بقوله: إذا ركبت للجهاد زال عني الألم حتى أنزل (١) وكان الطبيب الخاص لا ينفرد بعلاج السلطان، بل يعالج كبار قادته وأمراء جيشه أيضا، فحين مرض صاحب أربيل زين الدين يوسف نيالتكين بالحمى التي أودت بحياته في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م أثناء حصار عكا، ذهب طبيب صلاح الدين لمعالجته (٢). وكان السلطان يشرف بنفسه أحيانا على معالجة الجرحى، كما حصل بعد هزيمة المسلمين في موقعة أرسوق في شعبان ٥٨٧هـ/أيلول ١١٩١م حين جلس وطلب بإحضار الجرحى، فقام بمداواتهم (٣).

ت- فرقة الموسيقى العسكرية: بعد أن ينادي الجاويش بالعسكر أن يستعدوا، تشد الرايات، وتبدأ الكوسات (٤) بالضرب وكان هذا بمثابة الموسيقى العسكرية، أو المارشات في الوقت الحاضر كجزء من عملية إثارة حماس المقاتلين (٥). وتثبت وقائع التاريخ الأيوبي أن الموسيقى العسكرية كان لها شأن كبير في الجيش حتى خصص لها مكان خاص يسمى "الطبلخاناه" أي "مكان الطبل" ويذكر المقريزي بهذا الصدد أنه بعد استقرار صلاح الدين في مصر وانتهاء الدولة الفاطمية "رتب نوبه الطبلخاناه " (٦) ونظم شؤونها ويشرح القلقشندي معنى هذا المصطلح ويقول "ومعناه بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلآت" وقد كانت هذه الآلآت تضرب في أوقات القتال، وفي بقية الأيام "ثلاث مرات في كل يوم" (٧) وكان الذي ينفر على الطبل يسمى "دبندار" والنافخ **في البوق يسمى** "منفر" أما الذي يضرب بالضوج النحاس بعضها على بعض، فكان يسمى "كوسى" (٨)، وكانت العادة أن تضرب على الكوسات أيضا لدى قدومه شخصية عسكرية هامة، وتنشر معها الأعلام والبيارق وتنعر البوقات، كما كان لكل مناسبة إيقاعها الخاص، تمرن على عزفها العازفون، وعلى سماعه المقاتلون، فثمة ضربات خاصة حين تدعو الحالة إلى عدم التوقف على القتال، رغم الهزيمة

---

(١) تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٩٨١ إبراهيم عبده ص/٣٤٢

(١) الجيش الأيوبي ص ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٦.

(٣) مفرج الكروب (٢/ ٣٦٨) الجيش الأيوبي ص ١٦٦.

(٤) الكوسات: ضوج تشبه الترس الصغير يدق بأحدهما على الآخر بايقاع مخصوص.

(٥) النوادر ص ١٤٩ الجيش الأيوبي ص ١٦٦.

(٦) الجيش الأيوبي ص ١٦٧.

(٧) المصدر نفسه ص ١٦٧.

(٨) صبح الأعشى (٤/ ١٣).." [1]

"عمه سنجر فأكرمه وصفح عنه وسامحه على بدر منه، وعامله معاملة حسنة وقبل شفاعته في آخرين، واستقر الرأي على أن يبقى محمود بن محمد شهرا في خدمة عمه السلطان سنجر بالري وألا يدق **له البوق** (١) في حالة ركوبه أو نزوله، وأن يسير مترجلا في ركاب عمه، وأن يترك كل ما يتعلق بشعائر السلطنة ورسومها (٢).

وأطاع محمود عمه السلطان سنجر ونفذ ما استقر عليه الرأي بينهما، فقرر السلطان سنجر اختياره وليا لعهده ونائبا عنه في العراق سنة ٥١٣هـ، وسمح السلطان سنجر له بأن يلقب بلقب سلطان؛ وبتلك يعتبر أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة بالعراق هو السلطان محمود بن محمد، وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية خاضعا وتابعا لسلطنة السلطان الأعظم سنجر في خراسان، بمعنى أن سلطنة العراق في عهد السلطان سنجر لا تكون إلا لمن ارتضاه وأقره سنجر، وكان سلاطين العراق يخضعون للسلطان سنجر ويذكرون اسمه في الخطبة قبل أسمائهم، وقد اعترف الخليفة العباسي المسترشد بالله بمحمود بن محمد سلطانا على سلاجقة العراق رغم صغر سنه (٣)، وفي سنة ٥١٤هـ خطب للسلطان سنجر وابن أخيه السلطان محمود معا (٤)، وبذلك أصبح هناك سلطانان في آن واحد إلا أن محمودا كان يحكم بأمر من السلطان سنجر ومن ثم فهو خاضع له خضوعا كاملا في جميع أمور السلطنة، وقد أعاد السلطان سنجر لابن أخيه محمود بن محمد جميع البلاد التي كانت تحت سلطانه وحوزته ما عدا الري التي كان يراقب منها السلطان سنجر أعمال محمود خشية أن يخرج عليه ويعصيه مرة أخرى، وفي واقع الأمر فإن سلطان محمود الفعلي كان مقصورا على العراقين العربي والعجمي، وظل يحكم أربعة عشر عاما حاملا لقب سلطان حتى توفي عام ٥٢٥هـ (٥). قال عنه ابن كثير: كان من خيار الملوك وكان فيه حلم وأناة وبر وصلابة وجلسوا لعزائه ثلاثة أيام، سامحه الله (٦).

١ - بسط نفوذ سنجر على بقية أقاليم الدولة السلجوقية: وافق الخليفة العباسي المسترشد بالله في سنة ٥١٣هـ على تنصيب سنجر سلطانا أعظم للسلاجقة وإقامة الخطبة باسمه بعد الخليفة في جميع أقاليم الدولة السلجوقية (٧)، وبناء على ذلك اتسع نفوذه وسلطانه وشمل بالإضافة إلى خراسان أكثر أقاليم إيران والعراق. هذا وقد أكرم سنجر -بعد أن أصبح سلطانا أعظم للدولة السلجوقية- أبناء أخيه محمد فوزع عليهم حكم مدن وأقاليم إيران والعراق، واستطاع السلطان

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٧٩

سنجر أن يعيد بسط نفوذه وسلطانه على أراضي

---

(١) البوق: هي أداة مجوفة ينفخ فيها ويزمر.

(٢) دول الإسلام (٢/ ٤١).

(٣) الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، ص ٩٤.

(٤) دول الإسلام (٢/ ٤١).

(٥) العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٦١٧.

(٦) البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٠).

(٧) الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، ص ٩٧.." [(١)]

"ملكشاه سنة ٥٠٠هـ منحه ثلاثة ألقاب هي: قوام الدين، نظام الملك، صدر الإسلام (١).

ويبدو أن السلطان محمد قد منح أحمد بن نظام الملك هذه الألقاب الثلاثة وفاء لحق والده نظام الملك وتقديرا لإخلاصه في خدمة دولة السلاجقة، كما يظهر في النص التالي: استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا، فذكر له جماعة، فقال السلطان إن آبائي رأوا على نظام الملك البركة، وله عليهم الحق الكثير، وأولاده أغذياء نعمتنا، ولا معدل عنهم (٢).

خامسا: امتيازات وشارات الوزير العباسي:

نال الوزير العباسي امتيازات واسعة بعد نيله دست الوزارة، ومن أول هذه الامتيازات تمليكه دارا يقيم فيها ولإنجاز مهامه الإدارية (٣)، وأصبح للوزير الحق في الجلوس في صدر الرواق، ويجلس بين يديه الحجاب والقواد، وعندما ينال الوزير دست الوزارة يقوم الخليفة العباسي بتعيين مجموعة من الحرس يقفون على بابه ويكون واجبهم هو حماية الوزير و المحافظة عليه (٤)، وإذا حضر الوزير مجلسه فسرعان ما يحضر معه عدد من الغلمان المسلحين لحمايته، وإذا خرج الوزير فسرعان ما يخرج معه الغلمان شاهرين أسلحتهم، وقد نال وزراء العباسيين مكانة مرموقة لدى خلفائهم بحيث زادت امتيازاتهم ومنها أن الخليفة سمح لهم بأن **يضرب البوق عندما** يخرجون لأداء أعمالهم (٥)، ومن امتيازات الوزير أنه سمح له حضور مجلس الخليفة في أيام محددة من الأسبوع أو في المناسبات وإذا حضر المجلس فإنه لابد أن يجلس في المكان المخصص له، وغالبا ما يكون مواجها للخليفة ومعه دواته (٦). أما من حيث شارات الوزير، فقد كان الوزير العباسي يلبس الملابس السوداء وهو اللباس الرسمي له لأنه يعبر عن شعار الدولة العباسية، فلباسه يتكون من الجبة على العادة والفرجية والعمامة السوداء (٧)،وكان الوزير العباسي يلبس في الاحتفالات الرسمية ملابس خلعة الوزارة التي خلعها عليه الخليفة حينما ولى دست الوزارة، وهي ملابس رسمية مكونة من قباء وسيف بمنطقة وقميص وعمامة سوداء (٨)،

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/١٥٤

وحينما يخرج الوزير لاستقبال الوفود الآتية إلى حضرة الخليفة أو لأداء فريضة الحج كان يخرج في موكب فخم ويمشي بين يديه أصحاب المناصب العالية، ففي عهد الخليفة القائم بأمر الله عندما خرج الوزير رئيس الرؤساء أبو القاسم على بن أحمد بن المسلمة لاستقبال السلطان السلجوقي طغرل بك، خرج في موكب فخم ومعه أصحاب المناصب العالية والمراتب وقاضي القضاة والشهود

---

(١) الكامل في التاريخ نقلا عن نظام الوزارة، ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(٣) الوزارة العباسية، ص ٦٥.

(٤) الوزارة العباسية، ص ٦٥.

(٥) المنتظم (١٠/ ٢٧٣).

(٦) الوزارة العباسية، ص ٦٦.

(٧) الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٢.

(٨) المنتظم (١٠/ ٢٢٢).." [(١)]

"الوثنية كانت قائمة هناك، وغير القرآن من الكتب يشير أيضاً إلى ذلك. إذاً فالهياكل وطيدة الأركان قائمة الدعائم ضخمة البنيان هنالك من أزمان متوغلة في القدم، ولا يناطح الزمان إلا مثله في القوّة والبأس. ولقد اكتشف الألمان في هذا الزمان الآثار الموجودة في بعلبك وأمكنهم أن يصلوا إلى السرّ الّذي عجز عنه الأوّلون، ولو كان انكشف لهم في سالف الزمان ما كانوا قضوا أجيالاً كثيرة وأحقاباً طويلة وهم ملازمون للوثنية عاكفون على الأصنام، وما كانوا نازعوا رسل الله نزاعاً شديداً ولا جحدوا رسالة ربّهم وكفروا به، وما كان تأخّر العمران وانتشار الحضارة في الأرض. لقد علم الألمانيون بالبحث الدقيق أن جوف الصنم بعل أجوف، وفيه فتحتان فتحة من أمام وفتحة من وراء وأن رئيس الكهنة كان يسيطر على الأمّة كلّها، ملكها ومملوكها، وكانت له الكلمة النافذة التي لا يستطاع ردّها ولا يمكن معارضتها. وذلك أنّه كان إذا استشير في أمر خطير يهمّ الملك والمملكة قال حتّى نتقرّب إلى الصنم وندعوه ويأذن لنا في هذا، فإن لم يأذن فلا يكون هذا الأمر. ثمّ يذهب بعد ذلك إلى خادم خاص بالصنم، منعزل عن الناس، عاكف على الصنم واقف في خدمته، ويقول في غد آتي إلى هنا مع الملك وأشياعه ونقرّب القربان إلى الصنم وندعوه أن يبيّن لنا ما نحن بصدده، أنمضي في الأمر أم لا نمضي فيه. فإذا نحن جئنا وخشعنا أمام الصنم ودعوناه، فهنالك تكون قد **وضعت البوق الطويل** في الفتحة التي من خلفه قائلاً كذا وكذا. فما يكون من ذلك الخادم إلا أن يصدع بأمره، ويقوم بما أوحى إليه رئيس الكهنة، ولا يقول إلا ما أذن له في قوله، حين وقوفهم بين يدي الصنم واستشارتهم إيّاه، فلا يحصل أمر الملك والمملكة إلا كما يسمعون من الصنم. وعلى هذا النمط كانت أمور الكهنة مع الأمم في سائر الأرض الوثنية. ومن هنا تعلم أنّ الوثنية كانت

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/١٨٨

جرثـومـة الفساد في الأرض وأصل الظلم العظيم، ولذلك حاربها الله تعالى محاربة شديدة حتّى يرجع الناس إلى الاعتماد على عقولهم التي ركبت فيهم وعلى أنفسهم، وحتى لا يخدعهم خادع ولا يصرفهم عن مصالحهم الّتي بين أيديهم صارف، فينتظم الكون وينتشر العمران في الوجود. ولقد بالغ محمد، صلى الله عليه وسلم، في التنفير من الكهانة والابتعاد عنها كثيراً، وما حكمة ذلك إلا أن تجري الناس على سنن الطبيعة وِفاق الفطرة والمصلحة. تلك سنّة الله في خلقه فهو يردّهم." (١)

"جبله [١] بيده حتى جعله كالثريد، ثم قال: يا واثلة، ادع عشرة من أصحابك، وخلف عشرة. ففعلت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلسوا بسم الله.

فجلسوا. [فقال: كلوا بسم الله من حواليها، واعفوا رأسها فإن البركة تأتي من فوقها] .

قال: فرأيتهم يأكلون حتى تملوا [٢] شبعا. ثم قال لهم: انصرفوا إلى مكانكم، وابعثوا أصحابكم. فأمرهم بمثل الذي أمر به الأولين. فأكلوا حتى ملوا [٣] شبعا، وإن فيها لفضلة وقمت متعجبا مما رأيت.

٦٣٥- وكان عباد بن خالد الغفاري من أهل الصفة. ومات أيام معاوية. وكان مهم ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحبه قديما.

وبقي إلى آخر أيام الحرة. وكان منهم جرهد بن رزاح الأسلمي أبو عبد الرحمن، بقي إلى زمن معاوية. ويقال: إلى زمن يزيد. ويعيش بن طخفة الغفاري.

باب الأذان:

٦٣٦- قالوا: وائتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يجعلوا شيئا للاجتماع للصلاة. فقال بعضهم: الناقوس. وقال بعضهم: البوق. فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رأى في نومه أن لا يجعلوا شيئا من ذلك، وأن يؤذنوا بالصلاة. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد بلالا يؤذن. [فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قص رؤياه: سبقك الوحي يا عمر] .

٦٣٧- وقد روي أيضا أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي رأى في النوم أنه مر به رجل ومعه ناقوس، فقال له: أتبيع الناقوس؟ فقال الرجل: وما تصنع به؟ قال: أضرب ليجتمع المسلمون للصلاة. فقال: أجيئك بخير من ذلك؟

تقول: الله أكبر الله أكبر حتى تختم الأذان بلا إله إلا الله. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد الوحي قد سبقه بذلك. فأمر بلالا، فأذن.

٦٣٨- قالوا: وكانت بالمدينة تسعة مساجد. فكانوا يصلون فيها، ويجمعون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] جبله: لينه.

---

(١) الرحلة الشامية، الأمير محمد علي ص/٩٥

[٢] كذا مرة «تـمـلوا» ومرة «ملوا» .

[٣] كذا مرة «تملوا» ومرة «ملوا» .." (١)

"(البوق) الذي ينفخ فيه مما يدخرونه.

وفي هذا البحر اذا ركب الى سرنديب جزائر ليست بالكثيرة، غير انها واسعة لا تضبط، منها: جزيرة يقال لها الرامني «١» فيها عدة ملوك، وسعتها يقال ثمانمائة أو تسعمائة فرسخا، وفيها معادن الذهب، وفيها معادن تدعى فنصور «٢» يكون الكافور الجيد منها.

ولهذه الجزائر جزائر تليها منها:

جزيرة يقال لها النيان «٣» لهم ذهب كثير واكلهم النارجيل، وبه يتأدمون ويدهنون، واذا أراد أحد منهم أن يتزوج لم يزوج إلا بقحف رأس رجل من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زوج اثنتين، وكذلك ان قتل خمسين زوج خمسين امراة بخمسين قحفا، وسبب ذلك أن أعدائهم كثير، فمن أقدم على القتل أكثر كان رغبتهم فيه أوفر.

وفي هذه الجزائر أعنى الرامنى فيلة كثيرة، وفيها البقم «٤»." (٢)

"الصين يهدي إليه وبلادهم واسعة وإذا دخلت رسل المابد بلاد الصين حفظوا مخافة أن يغلبوا على بلادهم لكثرتهم، وليس بينهم وبين بلاد الصين إلا جبال وعقاب.

ويقال أن لملك الصين من أمهات المدائن أكثر من مائتي مدينة، ولكل مدينة ملك وخصى «١» وتحت كل مدينة مدائن

فمن مدائنهم خانفو وهى مرسى السفن تحتها عشرون مدينة، وانما تسمى مدينة اذا كان لها الجادم.

[الجادم]

والجادم «٢» **مثل البوق ينفخ** فيه وهو طويل وغلظة ما يجمع الكفين جميعا، وهو مطلي بدواء الصينيات «٣» وطوله ثلاث أو أربع أذرع، ورأسه دقيق بقدر ما يلتقمه الرجل، ويذهب صوته نحوا من ميل، ولكل مدينة أربعة، فعلى كل باب منها من الجادم خمسة تنفخ في أوقات من الليل والنهار، وعلى كل [باب] «٤» مدينة عشرة طبول تضرب معه، وانما يفعل ذلك لتعلم طاعتهم للملك، وبه يعرفون أوقات الليل والنهار، ولهم علامات ووزن للساعات.

[معاملات أهل الصين]

ومع املاتهم بالفلوس، وخزائنهم كخزائن الملوك، وليس لأحد من الملوك فلوس سواهم، وهى عين البلاد، ولهم الذهب والفضة." (٣)

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ١/٢٧٣

(٢) رحلة السيرافى السيرافي، أبو زيد ص/٢٠

(٣) رحلة السيرافى السيرافي، أبو زيد ص/٣٨

"وتأخذ من قاين الى تون مرحلة وتأخذ من قاين الى ينابد [١] مرحلتين تم الى كندر مثلها ثم الى طريثيث [٢] بريدين، ومن ينابد الى سنكان [٣] مرحلة ثم الى جايمن [٤] مرحلة ثم الى مالن كواخرز [٥] مرحلة ثم الى بوزجان [٦] مرحلتين ثم الى الملاحة مرحلة ثم الى القصر مرحلة [٧] ، وتأخذ من نيسابور الى بيسكند [٨] مرحلة ثم الى حسيناباذ مرحلة ثم الى خسروجرد [٩] مرحلة ثم الى النوق أو الى [١٠] يحيى اباذ مرحلة ثم الى مزينان وبهمن اباذ مرحلة ثم الى أسداباذ مرحلة ثم الى هفدر [١١] مرحلة وتأخذ من نيسابور الى قصر الريح [١٢] مرحلة ثم الى الرمادة [١٣] مرحلة ثم الى صاهه [١٤] مرحلة ثم الى مزدوران مرحلة ثم الى اوكينة [١٥] مرحلة ثم الى سرخس مرحلة، وتأخذ من قصر الريح الى فرهاكرد [١٦] مرحلة ثم الى نوكده [١٧] مرحلة ثم الى مالايكرد [١٨] مرحلة ثم الى بوزجان مرحلة [١٩] ثم الى كلنا مرحلة ثم الى البق [٢٠] مرحلة ثم الى

[١)] . ببابد et بياوذ، بنايذ ،C, et mox سابابدB [؟]

[2. B alteruma, QainadKondor ruma, betduoitineraria] طرسث؟

. ثم الى قلعة مرحلة ثم الى يناوذ مرحلة ومن ينابذ الى سكان بنQainadTun

[٣] . سكانBetC

[٤] . حاتمن ،C جاتمنB

[٥] . مالر كواخر ،C كواخونB

[٦] . يوزجان ،C نورحبانB

[7 .Com]

[8، .cf] ببيب كند ،C نيسكند B 177 p, etEdrlslII بيشكند ٦ بن ، 9, IbnKhord.23 Edrlsl IbnRosteh 171 etann.k.سنكردر.quamceteri, esideraturstatio بهش كند.appellant نهناباذ

[9 .deest] الى.InC مرحلة etom.جسر وجودB

[10، .Com] يحمى باذ ،IbnRostehl.1.DeindeB, v.IbnKhord.l.7 البوق.Bhabet يحياباذC

[11، det 216.vidIst.p, tationemnonaddit] هقدر.B هفتكندIbnKhord.e 170 IbnRosteh.

[12، Male.2, 279, Jaqubl] دزباد.Sive دزباز ١٤ بن ٥٧٢ بنJaqutII

[13 apud] خاكساران ،Jaqubll.٣ .cf,خاكسار Sive.Jaqut

[١٤] . صاصهB

[١٥] . ابكينه ٥ بن24.IbnKhord, Bsinepunctis

.Ibn [١٦] فرهاذ جرد ٧ بن172 Rosteh

[17 .Bsinepunctis]

.Pro [١٨] بالاركرد.C, SicB سنبوسجردIbnR.praeced.hacet.

[Bom. [19

.utvid [٢٠] التو C, SicB.BinitessopigelcisB." (١)

"الحصر وكلها ملك السلطان اذ ليس لأحد ان يملك عقارا او بيتا غير المنازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه وسمعت أن للسلطان ثمانية ألف بيت في القاهرة ومصر وأنه يؤجرها ويحصل أجرتها كل شهر يؤجرونها للناس برغبتهم ثم يتقاضون الأجر فلا يجبر شخص على شيء

ويقع قصر السلطان في القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أي بناء وقد مسحه المهندسون فوجدوه مساويا لمدينة ميافارقين وكل ما حوله فضاء ويحرسه كل ليلة ألف رجل خمسمائة فارس وخمسمائة رجل وهم **ينفخون البوق ويدقون** الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب ويدورون حول القصر حتى الصباح ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره وقيل إن به اثني عشر ألف خادم مأجور ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجواري إلا أنه يقال إن به ثلاثين ألف آدمي وهذا القصر يتكون من اثني عشر ج وسقا وله عشرة أبواب فوق الأرض لكل منها اسم على هذا التفصيل وذلك فضلا عن أبواب أخرى تحت الأرض باب الذهب باب البحر باب السريج باب الزهومة باب السلام." (٢)

"ويتوجه المصريون نحو مطلع الحمل حين يولون وجوههم شطر القبلة وبين مدينتي مصر والقاهرة أقل من ميل والأولى في الجنوب والثانية في الشمال ويمر النيل بهما وبساتينهما وبيوتهما متصلة أما البقية فتحت مستوى الماء وتغمر المياه الوادي بأجمعه في الصيف كأنه بحر عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع أما البقية فتحت مستوى الماء

وصف فتح الخليج

حين يبلغ النيل الوفاء أي من العاشر شهر يور أغسطس وسبتمبر إلى العشرين من آبان (أكتوبر ونوفمبر) ويبلغ ارتفاع الماء ثمانية عشر ذراعا عن مستواه في الشتاء وتكون أفواه الترع والجداول مسدودة في البلاد كلها يحضر السلطان راكبا ليفتح النهر الذي يسمى الخليج والذي يبدأ قبل مدينة مصر ثم يمر بالقاهرة وهو ملك خاص للسلطان وفي ذلك اليوم يوم ركوب السلطان لفتح الخليج تفتح الخلجان والترع الأخرى في الولايات كلها

وهذا اليوم أعظم الأعياد في مصر ويسمى عيد ركوب فتح الخليج

حينما يقترب ينصب للسلطان على رأس الخليج سرادق عظيم التكاليف من الديباج الرومي وموشى كله بالذهب ومكلل بالجواهر ومعد أعظم إعداد بحيث يتسع ظله لمائة فارس وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسرادق آخر كبير وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل **وينفخون البوق ويضربون** الكوس في الاصطبل لتألف الخيل هذه الأصوات وحين يركب السلطان يصطف عشرة آلاف فارس على خيولهم سروج." (٣)

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٥١

(٢) سفر نامه ناصر خسرو ص/٨٩

(٣) سفر نامه ناصر خسرو ص/٩٣

"في اليوم الذي ذهب السلطان في صباحه لفتح الخليج استأجروا عشر آلاف رجل أمسك كل واحد منهم إحدى الجنائب التي ذكرتها وساروا مائة مائة وأمامهم الموسيقيون **ينفخون البوق ويضربون** الطبل والمزمار وسار خلفهم فوج من الجيش مضى هؤلاء من قصر السلطان حتى رأس الخيول أتت الجمال وعليها المهود والمراقد ومن بعدها البغال وعليها العماريات

وقد ابتعد السلطان عن الجيش والجنائب وهو شاب كامل الجسم طاهر الصورة من أبناء أمير المؤمنين حسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما كان حليق شعر الرأس يركب على بغل ليس في سرجه أو لجامه حلية فليس عليه ذهب أو فضة وقد ارتدى قميصا أبيض عليه فوطة فضفاضة كالتي تلبس في بلاد المغرب والتي تسمى في بلاد العجم دراعة وقيل أن اسم هذا القميص الدبيقي وإنه يساوي عشر آلاف دينار وكان على رأسه عمامة من لونه ويمسك بيده سوطا ثمينا وأمامه ثلثمائة راجل ديلمي عليهم ثياب رومية مذهبة وقد حزموا خصورهم وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر ومعهم النشاب والسهام وقد عصبوا سيقانهم

ويسير مع السلطان حامل المظلة راكبا حصانا وعلى رأسه عمامة مذهبة مرصعة وعليه حلة قيمتها عشرة آلف دينار ذهبي مغربي والمظلة التي بيده ثمينة جدا وهي مرصعة ومكللة وليس مع السلطان فارس غير حامل المظلة وقد سار أمامه الديالمة وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم." (١)

"ثم أنهم أحمع رأيهم على صرفه وأن لا يمكنوه إلى ما سأل طلب منهم، وقالوا: مان حب ان ينزل هذا العربي معنا، فيضيق علينا أرضنا وبلادنا، فلا حاجة لنا في قربه وجواره. فلما وصل جوابهم إلى مالك بن فهم، ارسل إليهم: انه لا بد من المقام في قطر من عمان، وان تواسوني في الماء والمرعى، فإن تركتموني طوعا نزلت في قطر من البلاد وحمدتكم، وإن ابيتم أقمت على كرهكم، وإن قاتلتموني قاتلتكم. ثم ان ظهرت قتلت المقاتلة وسبيت الذراري، ولم أترك احدا منكم ينزل عمان أبدا.

فأبت الفرس أن تتركه طوعا، وجعلت تستعد لحربه وقتاله، وأن مالك بن فهم قام في مدته تلك بناحية الجوف، حتى أراح واستراح واستعد لحرب الفرس وتأهب للقائهم. وحفر بناحية الجوف الفلج الذي بمنح اليوم، بفلج مالك، وكان معسكره هناك، إلى ان اس تعدت الفرس لحربه وقتاله.

ثم أن المرزبان أمر أن ينفخ في البوق، الذي يؤذن فيه بالحرب، وأن ضرب الطبل وركب في جنوده وعساكره. وخرج من صحار في معسكر جم يقال انه كان زهاء أربعين ألفا، ويقال ثلاثون ألفا. وخرج معه بالفيلة، وسار يريد الجوف في لقاء مالك بن فهم الأزدي ومن معه من الأزد. فجمع عسكره وأصحابه من الأزد، وغيرهم من أحياء قضاعة، وكان في زهاء ستة الآف فارس وراجل على مقدمته إبنه هناة بن مالك في الفي فارس من صناديد الأزد وفرسانها. واقبل نحوهم في تلك الهيئة حتى أتى صحراء سلوت، فعسكر بإزاء عسكر المرزبان، فمكثوا يومهم ذلك إلى الليل، ولم يكن بينهم حرب ولا قتال.

---

(١) سفر نامه ناصر خسرو ص/٩٦

ثم ان مالك بن فهم، بات ليلته تلك يعبئ أصحابه، يمنة ويسرة وقلبا، ويكتب الكتائب، ويوقف فرسان الأزد مواقفهم. فولى الميمنة هناة ابن مالك، وولى الميسرة ابنه فراهيد بن مالك. وصار هو في القلب، في أهل بالنجدة والشدة من أصحابه. وبات المرزبان يعبئ ويكتب كتائبه.

حتى إذا أصبحوا توافقوا للحرب، وقد استعد كلا الفريقين. وركب مالك بن فهم فرسا له أبلق، وظاهر بين درعين، ولبس عليها غلالة حمراء وتكمم على رأسه بكمة حديد، وتعمم عليها بعمامة صفراء. وركب معه ولده وفرسان الأزد على تلك التعبئة، وقد تقنعوا بالدروع والبيض والجواش، فلا يبصر منهم الا الحدق.

فلما توافقوا للحرب جعل مالك بن فهم يدور على أصحابه راية راية، وكتيبة كتيبة، ويقول يا معشر الأزد، أ÷ل النجدة والحفغاظ، حاموا عن أحسابكم، وذبوا على مآثر أبائكم، وقاتلوا، وناصحوا ملككم وسلطانكم، فإنكم إن انكسرتم وهزمتم، اتبعكم العجم في كافة جنودهم، فاختطفوكم، واصطادوكم بين كل حجر ومدر، وباد عنكم ملككم، وزال عنكم عزمكم وسلطانكم، فوطنوا أنفسكم على الحرب، وعليكم بالصبر والحفاظ فهذا اليوم له ما بعده. فجعل يحرضكم ويأمركم بالصبر والجلد، ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة، حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره.

ثم ان المرزبان زحف بعسكره، وجميع قواده، وجعل الفيلة أمامه. واقبل نحو مالك بن فهم، واصحابه. ونادى، ونادى مالك بن فهم أصحابه بالحملة عليهم. فقال: يا معشر فرسان الأزد احملوا معي، فداكم أبي وأمي على هذه الفيلة فاكتنفوها بأسنتكم وسيوفكم. ثم حمل وحملوا معه على الفيلة، بالرماح والسيوف وزرقوها بالسهام فولت الفيلة راجعة بحميتها على عسكر المرزبان، فوطئت منهم خلقا كثيرا.

وحمل مالك بن فهم بالنبل في كافة أصحابه من فرسان من الأزد على المرزبان وأصحابه، فانتقصت تعبئة المرزبان، وجالوا حوله. ثم باءت العجم ورجعت إلى بعضها بعضا، واقبلت في حدها وحديدها. وصاح المرزبان واصحابه وكافة جنوده وامرهم بالحملة فحملوا.

والتقى الجميع، واختلط الضرب، واشتد القتال. فمل يكن تسمع الا صليل الحديد، ووقع السيوف. فاقتتلوا يوم ذلك اشد ما يكون القتال. وثبت بعضهم لبعض، إلى ان حال ظلام الليل فانصرفوا، وقد انتصف بعضهم من بعض.

وابتكروا من غد للحرب، فاقتتلوا قتالا شديدا. وقتل في اليوم الثاني من الفرس خلق كثير، وثبت لهم الأزد، فلم يزالوا كزذلك إلى ان حال بينهم الليل، فانصرف بعضهم عن بعض وقد كثر القتل والجراح في الجميع.." (١)

"٦١٩- البونى

بفتح الباء الموحدة وسكون الواو [١] وفي آخرها النون، هذه النسبة الى بون وهي بليدة من باذغيس هراة عند بامئين ويقال لها بينة [٢]

[(-)] في كتب الفتوح وهو بلد بأرض السند ... وأهل البوقان اليوم مسلمون ... » (٣٥٤- البوقي) استدركه اللباب

---

(١) الأنساب للصحاري الصحاري ص/٢٦٠

وقال «بضم الباء وسكون الواو وبعده قاف نسبة الى قرية من اعمال انطاكية منها ابو يعقوب إسحاق بن عبد الله الجزري البوقي روى عن مالك وابن عيينة وغيرهما، روى عنه هلال بن العلاء وغيره. وهو أيضا نسبة الى **عمل البوق نسب** اليه جماعة من المتأخرين» راجع الإكمال بتعليقه ١/ ٤٨٤- ٤٨٥.

(٣٥٥- البونتي) ذكره في المشتبه وقال «وبونت بليدة بالمغرب» قال في التوضيح «هي بضم الموحدة وفتح الواو وسكون النون تليها مثناة فوق، ويقال لها: بنت بحذف الواو» ينسب اليها «ابو طاهر إسماعيل بن عمر البونتي علق عنه السلفي» هكذا في المشتبه زاد في التوضيح «قلت ذكره [السلفي] في معجم السفر وقال:

وكان خيرا من أهل الأدب والمعرفة بعلوم القرآن» وفي معجم البلدان (بونت) «ينسب اليه ابو طاهر إسماعيل بن عمران (كذا) بن إسماعيل الفهري البونتي قدم الإسكندرية حاجا ذكره السلفي، وكان أديبا أريبا قارئا. وعبد الله بن فتوح ابن موسى بن ابى الفتح بن عبد الله الفهري البونتي ابو محمد كان من أهل العلم والمعرفة وله كتاب في الوثائق والأحكام وله أيضا رواية، توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٢» . (٣٥٦- البونسي) بموحدة مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وسين مهملة نسبة الى بونس من اعمال شريش إبراهيم بن على البونسي الشريشى من العلماء له تصانيف، مات سنة ٢٥١. ذكر في المشتبه وراجع التعليق على الإكمال ١/ ٥٢٥.

[١] وفي معجم البلدان «بون- بفتحتين، ويروى بسكون الواو»

[٢] راجع ما تقدم في الرسم (٣٧٠) .." (١)

"بلد الخابور

مدينة عربان:

بها قبر هانئ من الصحابة رضى الله عنهم.

مدينة قرقيسيا:

بها مشهد فيه كف على بن أبى طالب رضى الله عنه، وبها قبر جرير بن عبد الله البجلى، واختلف فيه.

القعف:

قرية من بلد الخابور قبليها جبل مرد به مشهد الرامس، يقال: عمره أحد العمرين، والله أعلم بالصحيح، وفضيلته ظاهرة.

مدينة الرحبة:

بها قبر عبد الله بن المبارك، وقيل: إنه مات بهيت، وهو الذي كتب إلى الفضيل بن عياض الأبيات المشهورة، وكان بينهما أخوة فى الله تعالى، وكان الفضيل قد لزم العبادة بحرم مكة، وابن المبارك قد لزم الجهاد والرباط بأرض الشام، والأبيات هذه:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعب

من كان يتعب خيله فى باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٣٦٣/٢

أو كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأشهب

ولقد أتانا عن مقال بيننا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوى وغبار خيل الله فى ... أنف امرئ ودخان نار تلهب

فلما بلغته الأبيات بكى الفضيل وقال: «صدق أخى ونصحنى» .

وبظاهر الرحبة **مشهد البوق وهو** موضع كان على بن أبى طالب نازلا به لما توجه إلى قتال معاوية، وبها مشهد يانس ولؤلؤ صاحبى أبى محمد البطال، كما ذكروا، وبهذا المشهد عظم الفخذ لبعض الجبابرة طوله مقدار ثلاثة أذرع وعرضه مقدار شبر، وقيل: وزنه خمسة وثلاثون رطلا بالرحبى، كما ذكروا، والله أعلم، وذكر بعض العلماء أن الرحبة لم يكن لها أثر وإنما أحدثها مالك بن طوق، وليس بصحيح، وإنما الرحبة بناها النمرود بن كوش، وهى مدينة مذكورة فى التوراة فى السفر الأول فى الجزء الثانى، والله أعلم.

مدينة الأنبار:

بها الإمام السفاح بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه، وبها ربيعة بن عبد الرحمن الرأى، والله أعلم.." (١)

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيار ا ت الهَرَوي، أبو الحسن ص/٦١

ابن مصعب– أبو محمد.

مصلى عبد الجبار: ٧٠.

مطار: ٧٠.

المطرية: ٣٨، ٤٢.

المطهر– أبو على.

مطيراباذ: ٧١.

المطبع:

قبر: ٦٦.

معاذ بن جبل:

قبر: ٢٧، ٣٩، ٦٠، ٨٢.

مقام:." (١)

"العظيم المنذري، وسألته عن مولد أبيه فلم يعرفه إلا أنه قال: مات بعد أن نيف على التسعين بسنتين أو ثلاث، أخبرني الحافظ زكي الدين المنذري أنه ظفر بمولده محققا بخط أبيه وأنه يظن أنه في سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦.

وبوصير السدر:

بليدة في كورة الجيزة. وبوصير دفدنو: من كورة الفيوم. وبوصير بنا:

من كورة السمنودية، ولا أدري إلى أيها ينسب أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن عيسى الفقيه المالكي وأبو عبد الله محمد بن الحسين بن صدقة البوصيري، مات سنة ٥١٩.

ظة:

هكذا وجدته بالظاء المعجمة، قال: هو نقب في عارض اليمامة.

بوغ:

الغين معجمة: من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها، ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي البوغي الضرير، إمام عصره صاحب كتاب الصحيح، ذكر في ترمذ.

بوقاس:

بالقاف، وآخره سين مهملة: بلد بين حلب وثغر المصيصة، وربما قيل له بوقا بإسقاط السين.

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/١٢٨

بوقان:

آخره نون، قال ا لحازمي: بوقان، بالباء، من نواحي سجستان، ينسب إليها أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان البوقاني صاحب التصانيف المشهورة، روى عن أبي حاتم بن حبان وأبي يعلى النسفي وأبي علي حامد بن محمد بن عبد الله الرفاء وأبي سليمان الخطابي روى عنه ابنه أبو سعيد عثمان وغيره، قلت: وهذا غلط لا ريب فيه، إنما هو النوقاتي، بالنون في أوله والتاء المثناة من فوقها في آخره، كذا قرأته بخط أبي عمر النوقاتي المذكور، وكذا ضبطه أبو سعد في تاريخ مرو الذي قرأته بخطه، وقد ذكر في موضعه. وأما بوقان فذكره في كتب الفتوح، وهو بلد بأرض السند، قال أحمد بن يحيى البلاذري: ولى زياد ابن أبيه المنذر بن الجارود العبدي، ويكنى بأبي الأشعث، ثغر الهند فغزا البوقان والقيقان فظفر المسلمون وغنموا، ثم ولى عبيد الله بن زياد بن حري الباهلي ففتح الله تلك البلاد على يده وقاتل به قتالا شديدا، وقيل: إن عبيد الله ابن زياد ولى سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي وكان حري بن حري معه على سراياه، وفي حري يقول الشاعر:

لولا طعاني بالبوقان ما رجعت ... منه سرايا ابن حري بأسلاب

وأهل البوقان اليوم مسلمون، وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سماها البيضاء في خلافة المعتصم، ولعل الحازمي بهذا اغتر.

بوق:

بالقاف، نهر بوق: كورة بغداد نفسها في بعضها، وقد ذكرت في نهر. **ومشهد البوق قرب** رحبة مالك بن طوق، به مات شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل في سنة ٥٨٠.

بوقة:

من قرى أنطاكية، وفي كتاب الفتوح: بنى هشام بن عبد الملك حصن بوقة من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثا، ينسب إليها أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله الجزري البوقي، روى عن مالك ابن أنس وهشيم بن بشير وسفيان بن عيينة، روى عنه هلال بن العلاء الرقي ومحمد بن الخضر مناكير، قاله أبو عبد الله بن مندة ونسبه كذلك، وأبو سليمان داود بن أحمد البوقي سكن أنطاكية، سمع أبا عبد الرحمن معمر بن مخلد السروجي، ذكره أبو أحمد في الكنى. وبوقة: من قرى الصعيد، عن الأمير." (١)

"أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن شداد البوغي الترمذي الضرير إمام عصره بلا مدافعة توفي بهذه القرية سنة خمس وسبعين ومائتين فإما أنه كان منها أو أقام بها

قلت فاته

البوقي بضم الباء وسكون الواو وبعده قاف - نسبة إلى قرية من أعمال أنطاكية منها أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٥١٠

الجزري البوقي روى عن مالك وابن عيينة وغيرهما روى عنه هلال بن العلاء وغيره وهو أيضا نسبة إلى **عمل البوق نسب** إليه جماعة من المتأخرين

البوني بفتح الباء الموحدة وسكون الواو وفي آخرها النون – هذه النسبة إلى بون وهي بليدة من باذغيس ويقال لها ببنة أيضا منها أبو عبد الله محمد ابن بشر بن بكر الفقيه البوني يروي عن أبي جعفر محمد بن طريف البوني وأبي العباس الأصم وغيرهما

البوني بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفي آخره النون – هذه النسبة إلى بونة وهي مدينة بساحل إفريقية ينسب إليها أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني الفقيه المالكي من كبار أصحاب أبي الحسن القابسي كان من اهل الأندلس وانتقل إلى أفريقية وأقام ببونة إلى أن مات قبل سنة أربعين وأربعمائة وهي أيضا نسبة إلى جد المنتسب إليه وهو الوليد بن ابان بن بونة الأصبهاني البوني نسب إلى جده يروي عن يونس بن حبيب بن عبد القاهر وعباس الدوري وصنف التفسير والمسند وغيرهما توفي سنة عشر وثلثمائة

قلت فاته

البولاني بفتح الباء وسكون الواو وبعدها لام ألف ونون – هذه النسبة إلى بولان واسمه غصين حصنه بولان عبد فغلب عليه وهو غصين بن عمرو بن الغوث بن طييء بطن من طيء ينسب إليه كثير منهم خالد بن." (١)

"إن الرشاد وإن الغي في قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان

لا تأمنن وإن أصبحت في حرم ... إن المنايا بجنبي كل إنسان

ولا تقولون لشيء: سوف أفعله ... حتى تبين ما يمنى لك الماني

ومنهم أبو العيال: وكان مسلما. ومن قوله يرثى أبن عم له قتل بالروم زمن معاوية من قصيدة طويلة:

ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرأس والوصب

كما يعتاد **ذات البوق** ... وبعد سلوها الطرب

فدمع العين من برحا ... ء ما في القلب ينسكب

على عبد بن زهرة طو ... ل هذا الليل أكتئب

أخ لي دون من لي ... من بني عم ولو قربوا

طوى من كان ذا نسب ... إلي وزاده نسب

أبو الأيتام والأضيا ... ف ساعة لا يعد أب

له في كل ما رفع ال ... فتى من صالح سبب." (٢)

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير، أبو الحسن ١٨٨/١

(٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة محمد البري ٢٤٦/١

"(بوقاس)

بالقاف، وآخره سين مهملة: بلد بين حلب وثغر المصيصة، وربما أسقطت السين.

(بوقان)

آخره نون، من نواحى سجستان «١» .

(بوق)

بالقاف. نهر بوق: كورة ببغداد [وبغداد نفسها] «٢» فى بعضها. ومشهد البوق: قرب رحبة مالك بن طوق.

(بوقة)

من قرى أنطاكية، وحصن بوقا: من عمل أنطاكية أيضا. وبوقة: من قرى الصعيد.

(بولان)

بفتح أوله. قاع بولان: قريب من النباج، فى طريق الحاج من البصرة «٣» .

(بولة)

بالضم: موضع فى شعر «٤» .

(بومارية)

بعد الألف راء مكسورة «٥» وياء خفيفة: بليد. قلت: بل قرية من نواحى الموصل قرب تل يعفر.

(بونا)

بفتح أوله وثانيه وتشديد نونه والقصر: ناحية قرب الكوفة يقال لها تل بونا يأتى فيه.

(البونت)

بالضم، والواو والنون ساكنان، والتاء فوقها نقطتان: حصن بالأندلس.

وربما قالوا البنت.

(بو نفاط)

بكسر النون وفاء وألف وطاء مهملة، مدينة فى وسط جزيرة صقلية.

(بون)

مدينة باليمن، زعموا أنها ذات البئر المعطلة والقصر المشيد «٦» . وبون بفتحتين.." (١)

"ناصر الدين «١» ولم يكن له الحكم بل الحكم إلى ألبقش وإلى مملوك لألبقش اسمه لؤلؤ كان قد تغلب على أستاذه ألبقش بحيث كان لا يخرج ألبقش عن رأي لؤلؤ المذكور، وبقي الأمر كذلك إلى سنة إحدى وست مئة «٢» فمرض النظام ألبقش، وأتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده، فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه ناصر الدين

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الْحَق ٢٣١/١

بسكين فقتله وعاد إلى ألبقش فضربه بسكين فقتله أيضا، واستقل ناصر الدين أرتق أرسلان بملك ماردين من غير منازع. وفيها، سار شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم «٣» من عند الخليفة إلى صلاح الدين في رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم «٤» ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم (٨٥) حالهما، واتفق أنهما مرضا بدمشق وطلبا المسير إلى العراق وسارا في الحر، فمات بشير بالسخنة «٥» ، ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق، وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا.

وفيها في المحرم، أطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز." (١)

"السلاح داريه [١] والجمداريه [٢] ، ومن حكمه بين أرباب الأشغال الخاصة حكمهم، وأرباب الوظائف على منازلهم ولا يجلس إلا على الخانات وصدر جهان والدبيران [٣] يعني كتاب السر، بين يديه، والحجاب وقوف، وينادى مناداة عامة أنه من كان له شكوى يحضر، فيحضر كل من له شكوى أو حاجة يسأل السلطان فيها، فإذا حضر أو وقف «١» بين يديه، لا يضرب، ولا يمنع حتى ينهى إليه شكواه، ويأمر السلطان فيه بأمره.

وأما بقية الأيام فإنه يجلس في طرقى كل نهار ويركب في الخانات والملوك والأمراء جميعهم إلى بابه ومن رسمه أن أحدا لا يدخل عليه بسلاح كبيرا «٢» ولا سكين صغيرة ومن جاء اعتبر قبل دخوله ودون المكان الذي يجلس فيه سبعة أبواب بعضها داخل بعض وعلى الباب الأول البراتي [٤] منها رجل منها معه بوق فإذا جاء أحد من الخانات أو الملوك أو اكابر الأمراء نفخ **في البوق اعلاما** للسطان بأنه قد جاء كبير ليكون دائما على تيقظ واستعداد من أمره ومن جاء بابه كائنا من كان يترجل من الباب الأول البراني ويمشي إلى أن يدخل السبعة الأبواب إلى حضرة السلطان وثم من شرف بالإذن له بأن يعبر راكبا إلى الباب السادس ولا **يزال البوق عمالا** إلى أن يقارب الداخل الباب السابع ويجلس على ذلك الباب كل من دخل إلى أن يجتمعوا فإذا تكامل المجيء أذن لهم في الدخول إذا دخلوا جلس حوله من له أهلية الجلوس ووقف سائرهم وقعد القضاة والوزراء والدبيران وكتاب السر.

---

[١] حملة السلاح.

[٢] حملة الملابس والأقمشة.

[٣] الكتاب- وهنا تعني كتاب السر.

[٤] وهي من كلمة برون أو بيرون الفارسية بمعنى خارج، ودخلت العامية العربية، وصار منهابره وبراني.." (٢)

"قال: فأنت ترى الطبع كيف حمل هذا المعنى، كما تحمل الأرواح الأجسام، ولو وضع بين فسطاط المحرزين، وحمل على مذاهب المتعصبين، لرأيته أثقل من العذل، وأقتل من الجهل، لأن التصنع تكلف، والتكلف مغصوب مكره، غير أن القسم الآخر منقول بذاته من شعر ابن هانيء في وصف فرس.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٣٣/٢٧

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٧٩/٣

ومن أبيات ابن أبي البوق: [الطويل]

فمت تسترح يا قلب إن كنت عاشقا ... فإنك فيها بالممات خليق

ومن لم يمت في إثر إلف مودع ... فليس له بالعاشقين لحوق

ومما أنشد له أيضا قوله «١» : [البسيط]

يحمل المرهقين الطائعين له ... في منتهى الحط أو في منتهى الفتن

حتى إذا انكشفت عن عارض حسن ... سحب تصدى لها بالمنصل الخشن

أراه ضربا يريه أهله معه ... ويقدح النار بين الرأس والبدن

تركت أهلي وأوطاني لقصد فتى ... يداه أخصب من أهلي ومن وطني

علي «٢» الماجد الحر الجواد ومن ... في حزمه جمع الأشتات للحسن

ومن إذا استمطر العافون راحته ... سقتهم فوق سقي الوابل الهتن

ومن حوى رتبا لم يحوها بشر ... إلا الذي ولدوه معدن المنن

والفرع عن جده ينمي ومحتده ... والخير والشر مشروبان في اللبن

تجري النجابة طبعا في شمائله ... والمجد والبشر جري الماء في الغصن." (١)

"الجون فلم تغرق. فعلم أنها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن بكفتار. فأمر بإحراقها بالنار. وأتى أهل البلد رجالا ونساء فأخذوا رمادها. وزعموا أنه من تبخر به أمن في تلك السنة من سحر كفتار.

وقد بعث إلي السلطان يوما وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤوسهم لأنهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس أباطهم فأمرني بالجلوس فجلست. فقال لهما: إن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره. فقالا: نعم. فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعا. فعجبت منه وأدركني الوهم فوقعت إلى الأرض فأمر السلطان أن أسقى دواءا عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع فأخذ صاحبه نعلا له من شكارة كانت معه فضرب بها الأرض كالمغتاظ فصعدت إلى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جلس معنا. فقال السلطان: إن المتربع هو تلميذ صاحب النعل. ثم قال: لولا أني أخاف على عقلك لأمرتهم أن يأتوا بأعظم مما رأيت فانصرفت عنه وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربة اذهبت ذلك عني.

ولنعد لما كنا بسبيله فنقول: سافرنا من مدينة برون إلى منزل أمواري. ثم منزل كجرا، وبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الأصنام قد مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الأبعة أربع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت في طولهم وغلبت عليهم صفرة الألوان من الرياضة وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم ويذكرون أن من كانت به عاهة من برص أو

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٦٧/٩

جذام يأوي إليه مدة طويلة فيبرأ بإذن الله تعالى. وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طرمشيرين ملك تركستان وكانوا نحو خمسين فحفر لهم غار تحت الأرض وكانوا مقيمين به لا يخرجون إلا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن١ يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة وشأنهم كله عجب. ومنهم الرجل الذي صنع للسلطان غياث الدين الدامغاني

١ القرن: البوق.." (١)

"وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل، النصف من ذلك منها، ما هو برسم الخاص، ومنها ما يخرج برسم العواري لأرباب الرتب، والمستخدمين دائما، ومنها ما يخرج أيام المواسم، وهي التغيرات المتقدم ذكر إرسالها لأرباب الرتب، والخدم، والمرتب لكل اصطبل منها لكل: ثلاثة أرؤس سائس واحد ملازم، ولكل واحد منها: شداد برسم تسييرها، وفي كل اصطبل بئر بساقية، تدور إلى أحواض، ومخازن فيها الشعير، والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد إليها، ولكل عشرين رجلا من السواس: عريف يلتزم دركهم بالضمان لأنهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي، ويعيدونها إليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطبلين: رائض كأمير أخور، ولهما ميرة، وجامكية متسعة، وللعرفاء على السواس ميرة، وللجماعات الجرايات من القمح، والخبز خارجا عن الجامكيات، فإذا بقي لأيام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع أخرج إلى كل رائض في الإصطبل مع أستاذ مظلة ديبقي مركبة على قنطارية مدهونة، ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة إما فرسين أو ثلاثة، وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة، فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج، ويركب الأستاذ بغلة مظلة، ويحمل تلك المظلة، ويسير في براح الاصطبل، وفيه سعة عظيمة مارا، وعائدا **وحولها البوق والطبل**، فيكرر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الأسبوع، ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك، ولا ينفر منه في حال الركوب عليه، فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطبلين، والدواب البغلة التي تتهيأ، هي التي يركبها الخليفة، وصاحب المظلة يوم الموسم، ولا يختل ذلك.

ويقال: إنه ما راثت دابة ولا بالت، والخليفة راكبها، ولا بغلة صاحب المظلة أيضا إلى حين نزولهما عنهما، وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في البساتين المنسوبة إلى ملك صارم الدين حللبا: شونتان مملوءتان تبنا معبيتان كتعبيته في المراكب كالجبلين الشاهقين، ولهما مستخدمون حام، ومشارف، وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة المؤهلة له، من موظف الأتبان بالبلاد الساحلية وغيرها، مما يدخل إليه في أيام النيل، ولها رؤساء، وأمرها جار في ديوان العمائر، والصناعة، والإنفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الأواسي الديوانية، وعوامل بساتين الملك، وإذا جرى بين المستخدمين خلف في الشنف التبن المعتبر، عادوا إلى قبضه بالوزن، فيكون الشنف التبن: ثلثمائة وستين رطلا بالمصري، نقيا وإذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورة قته كان عن القتة اثنا عشر رطلا، ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقته، ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط، ولا يرون إضافته إلى دوابهم بالاصطبلات،

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٤٢٢/٢

وقال ابن عبد الظاهر:

اصطبل الطارمة: كان اصطبلا للخليفة، فلما زالت تلك الأيام اختط وبنى آدرا.." (١)

"الاخوان (١)

منزل بين القيروان والمهدية فيه قتل أبو يزيد (٢) النكاري ميسرة الفتى في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، قال علي ابن علي بن ظفر يمدح أبا يزيد هذا:

هذا وكم من وقعة مشهورة ... أبقيتها مثلا لكل ممثل

بثنية الأخوين يوم تركتهم ... متوسدين وسائدا من جندل

أذرعات (٣)

من بلاد دمشق بالشام يصرف ولا يصرف، والتاء في الحالين مكسورة ويقال لها يذرعات بالياء، وقال الخليل: من كسر الألف لم يصرف.

ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه أبو عبيدة رضي الله عنه، فبينما هو يسير تلقاه المقلسون من أهل أذرعات بالسيوف والريحان، فقال عمر رضي الله عنه: مه ردوهم، فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم، إنك إن منعتهم منها يرون أن في نفسك نقضا لعهدهم، فقال عمر رضي الله عنه: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة، وتنسب إليها الخمر الجيدة، ومر سحيم بن المخرم وهو شاعر بدوي نجدي بأذرعات فتذكر وطنه وحن إليه فقال:

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ... ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا

وهيجتني في أذرعات ولا أرى ... بنجد على ذي حاجة طرب بعدا

ألم تر أن الليل يقصر طوله ... بنجد وتزداد الرياح به بردا ومن أهل أذرعات أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الأذرعي من أهل أذرعات (٤) مدينة بالبلقاء، وهو أحد الثقات وعباد الله الصالحين قال: خلوت في بعض الأوقات ففكرت وقلت: ليت شعري إلى ما نصير؟ فسمعت قائلا يقول: إلى رب كريم. وكان به إدرار البول فكانت القارورة لا تفارقه (٥) فأعطاها مرة إلى من يغسلها أو يريق ما فيها واحتاج إليها ولم يحضره من يناوله إياها، فقال: أسأل من حضر من إخواننا المسلمين والجيران (٦) يناولونيها، فنوولها. وقال: سألت الله تعالى أن يقبض بصري فعميت فاستضررت في الطهارة، فسألته إعادته فأعاده بفضله.

قال ابن عساكر: ولي دمشق في أيام المعتمد على الله في سنة ست وخمسين ومائتين وال يقال له ماحوز وكان صارما شجاعا لا يقطع في عمله الطريق فوجه مرة فارسا إلى أذرعات فمر باليرموك فصادفه أعرابي، فنتف من سبال الجندي خصلتين من شعره، فلما رجع الفارس واتصل بماحوز وأخبره ما فعل الأعرابي، حبس الفارس وقال لكاتبه: اطلب لي معلما يعلم الصبيان، فجاءه معلم، فقال له: ها أنا أعطيك نفقة واسعة واخرج إلى اليرموك فقل إني معلم صبيانكم، فإذا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٥٤/٢

تمكنت فارصد الأعرابي وارتقب بها مدة طويلة، فإذا وافى الأعرابي القرية فخذ هذا الكتاب الذي أعطيك وادفعه لأهل القرية حتى يقرأوه، وأعطاه طيورا وقال له: أرسل إلي بهذه الطيور بالخبر، ففعل المعلم ذلك، وأقام باليرموك ستة أشهر حتى وافى الأعرابي القرية، فلما رآه المعلم أخرج الكتاب إلى أهل القرية وفيه: " الله الله في أنفسكم اشغلوا الأعرابي حتى أوافيكم، فإن جئت ولم أوافه خربت القرية وقتلت الرجال "، وأطلق المعلم الطيور إلى دمشق بالخبر، فلما وصل الخبر إلى ماحوز **ضرب البوق وخرج** من وقته حتى وافى اليرموك في أسرع وقت، فأخذ الأعرابي وأردفه خلف بعض غلمانه ووافى به دمشق، فلما أصبح دعا به فقال: ما حملك على ما فعلت برجل من أولياء السلطان لم يؤذك ولم يعارضك؟ قال: كنت سكران أيها الأمير لم أعقل ما فعلت، فدعا بحجام وقال له: لا تدع في وجه هذا الأعرابي ولا في رأسه ولا في سائر بدنه شعرة إلا نتفتها، فبدأ بأشفار عينيه ثم بحاجبيه ثم بلحيته ثم بشاربه ثم برأسه ثم بذقنه فما ترك عليه شعرة إلا نتفها، ثم قال: هاتوا الجلادين، فضربه أربعمائة سوط ثم

---

(١) قارن بما عند البكري: ٣١.

(٢) في النسختين أبو أيوب؛ ولا يلتئم مع ما بعده.

(٣) أوله عن معجم ما استعجم ١: ١٣١ حتى قوله: ((وفي طاعة أبي عبيدة)) ؛ وصبح الأعشى ٤: ١٠٥.

(٤) تهذيب ابن عساكر ٢: ٤٢٧، وكانت وفاة الأذرعي سنة ٣٤٤ وهو ابن نيف وتسعين سنة.

(٥) زيادة من ص.

(٦) التهذيب: من الجن.." (١)

"ما فيها. (ووقع القول عليهم بما ظلموا) أي وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم. (فهم لا ينطقون) أي ليس لهم عذر ولا حجة. وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون، قاله أكثر المفسرين. قوله تعالى: (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أي يستقرون فيناموا. (والنهار مبصرا) أي يبصر فيه لسعي الرزق. (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بالله. ذكر الدلالة على إلهيته وقدرته أي ألم يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا.

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٩

(٩٠)

قوله تعالى: (ويوم ينفخ في الصور) أي واذكر يوم أو ذكرهم يوم ينفخ في الصور. ومذهب الفراء أن المعنى: وذلكم يوم ينفخ في الصور، وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل قال مجاهد: **كهيئة البوق** **وقيل**: **هو البوق بلغة** أهل اليمن وقد مضى في" الأنعام" «١» بيانه وما للعلماء في ذلك. (ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله) قال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله لما فرغ من خلق السماوات خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة" قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال:

---

(١). راجع ج ٧ ص ٢٠ طبعه أولى أو ثانية.." [(١)]

"" قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين" وذكر الحديث. ذكره علي بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم، وصححه ابن العربي. وقد ذكرته في كتاب" التذكرة" وتكلمنا عليه هنالك، وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأمرين لا زمان لهما، أي فزعوا فزعا ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي يحيون فزعين يقولون:" من بعثنا من مرقدنا"، ويعاينون من الأمور ما يهولهم ويفزعهم، وهذا النفخ **كصوت البوق لتجتمع** الخلق في أرض الجزاء. قاله قتادة وقال الماوردي:" ويوم ينفخ في الصور" هو يوم النشور من القبور، قال وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن، لأنهم أزعجوا من قبورهم وخافوا. وهذا أشبه القولين. قلت: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث، خرجهما مسلم وقد ذكرناهما في كتاب" التذكرة" وهو الصحيح إن شاء الله تعالى أنهما نفختان، قال الله تعالى:" ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله" فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة. وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها كل ميت" فإن قيل: فإن قوله تعالى:" يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة" إلى أن قال:" فإنما هي زجرة واحدة" وهذا يقتضي بظاهره أنها ثلاث قيل له: ليس كذلك، وإنما المراد بالزجرة النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم، كذلك قال ابن عباس ومجاهد." [(٢)]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٩/١٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٠/١٣

"قوله تعالى: (فإذا نقر في الناقور) إذا نفخ في الصور. والناقور: فاعول من النقر، كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، والنقر في كلام العرب: الصوت، ومنه قول امرئ القيس.

أخفضه بالنقر لما علوته ... ويرفع طرفا غير خاف غضيض

وهم يقولون: نقر باسم الرجل إذ دعاه مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق، ويعني به النفخة الثانية. وقيل: الأولى، لأنها أول الشدة الهائلة العامة. وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في" النمل" «١» و" الأنعام" «٢» وفي كتاب" التذكرة"، والحمد لله. وعن أبي حبان قال: أمنا زرارة بن أوفى فلما بلغ فإذا نقر في الناقور خر ميتا. (فذلك يومئذ يوم عسير) أي فذلك اليوم يوم شديد (على الكافرين) أي على من كفر بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم (غير يسير) أي غير سهل ولا هين، وذلك أن عقدهم لا تنحل إلا إلى عقدة أشد منها، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تنحل إلى ما هو أخف منها حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى. و (يومئذ) نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ. وقيل: جر بتقدير حرف جر مجازه: فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أن يكون رفعا إلا أنه بني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن.

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١١ الى ١٧]

ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥)

كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧)

قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيدا) (ذرني) أي دعني، وهي كلمة وعيد وتهديد. ومن خلقت أي دعني والذي خلقته وحيدا، ف- وحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف، أي خلقته وحده، لا مال له ولا ولد، ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته.

---

(١). راجع ج ١٣ ص ٣٣٩.

(٢). راجع ج ٧ ص ٣٠.." (١)

"السلام، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره، وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم. هذا قول الربيع وابن إسحاق، وفي هذا القول ضعف. ومن قال: إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ، وأذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم. وقد قال السدي وغيره: لم يطيقوا سماعه، واختلطت أذهانهم ورغبوا أن يكون موسى يسمع ويعيده لهم، فلما فرغوا وخرجوا بدلت طائفة منهم ما سمعت من كلام الله على لسان نبيهم موسى عليه السلام، كما قال تعالى:" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله" «١». فإن قيل: فقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن قوم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٠/١٩

موسى سألوا موسى أن يسأل ربه أن يسمعهم كلامه، فسمعوا صوتا كصوت الشبور: «٢» " إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم أخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديدة". قلت: هذا حديث باطل لا يصح، رواه ابن مروان عن الكلبي وكلاهما ضعيف لا يحتج به، وإنما الكلام شي خص بـه موسى من بين جميع ولد آدم، فإن كان كلم قومه أيضا حتى أسمعهم كلامه فما فضل موسى عليهم، وقد قال وقوله الحق:" إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي" «٣». وهذا واضح. الثالثة- واختلف الناس بماذا عرف موسى كلام الله ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه، فمنهم من قال: إنه سمع كلاما ليس بحروف وأصوات، وليس فيه تقطيع ولا نفس، فحينئذ علم أن ذلك ليس هو كلام البشر وإنما هو كلام رب العالمين. وقال آخرون: إنه لما سمع كلاما لا من جهة، وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست، علم أنه ليس من كلام البشر. وقيل: إنه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام، فعلم أنه كلام الله. وقيل فيه: إن المعجزة دلت على أن ما سمعه هو كلام الله، وذلك أنه قيل له: ألق عصاك، فألقاها فصارت ثعبانا، فكان ذلك علامة على صدق الحال، وأن الذي يقول له:" إني أنا ربك" «٤» هو الله عز وجل. وقيل: إنه قد كان أضمر في نفسه شيئا لا يقف عليه

---

(١). راجع ج ٨ ص ٧٥.

(٢). الشبور (على وزن التنور): البوق.

(٣). راجع ج ٧ ص ٢٨٠.

(٤). راجع ج ١١ ص ١٧٢.." [(١)]

"سرعة الحساب وقرئ بالتحتية وهو الصواب.

(وله الملك يوم ينفخ في الصور) أي له الملك في هذا اليوم وقيل هو بدل من اليوم الأول أخبر عن ملكه يومئذ وإن كان الملك له خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لأنه لا منازع له يومئذ يدعى الملك، والصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء، وهو لغة أهل اليمن، وكذا قال الجوهري: أن الصور القرن أي المستطيل وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبها ووصلت لجسدها فتحله الحياة.

قال مجاهد: الصور **كهيئة البوق وقرئ** الصور جمع صورة والمراد الخلق وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملا يرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى: (ثم نفخ فيه أخرى).

وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبد الله ابن عمرو قال سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصور فقال: " قرن ينفخ فيه " (١)، وأجمع عليه أهل السنة، والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها ههنا.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/٢

(عالم الغيب والشهادة) صفة للذي خلق السموات والأرض أو هو يعلم ما غاب من عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم) في جميع ما يصدر عنه (الخبير) بكل شيء.

---

(١) رواه الإمام أحمد في " المسند " ١٠/ ١٠، ١١، والترمذي: ٣/ ٢٩٥، وصححه، وأبو داود في " سننه " ٤/ ٣٢٦، ورواه الحاكم في " المستدرك " ٢/ ٤٣٦، ٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠، وصححه ووافقه الذهبي.." [١]

"طائر أبيض بالحجاز يقال له المكاء، والتصدية التصفيق يقال صدى يصدي تصدية إذا صفق، وقيل المكاء الضرب بالأيدي والتصدية الصياح، وقيل المكاء أدخالهم أصابعهم في أفواههم والتصدية الصفير. وقيل التصدية صدهم عن البيت.

ومعنى الآية أن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت الذي هو موضع للصلاة والعبادة، فوضعوا ذلك موضع الصلاة قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة، وعن عكرمة قال: "كان المشركون يطوفون بالبيت على الشمال فالمكاء مثل **نفخ البوق والتصدية** طوافهم على الشمال.

وقال السمين: التصدية فيها قولان " أحدهما " أنها من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة، يقال منه صدى يصدي تصدية، والمراد بها هنا ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى، وقيل مأخوذ من التصدد وهو الضجيج والصياح والتصفيق، ويدل عليه قراءة [إذا قومك منه يصدون] بالكسر أي يضجون ويلغطون " والثاني " أنها من الصد وهو المنع، ويؤيده قراءة يصدون بالضم أي يمنعون انتهى، والمكاء الصفير وهو الصوت الخالي عن الحروف.

والمعنى أنهم فوتوا ما حقهم أن يشتغلوا به في هذا المكان من الصلاة وشغلوه بهذا اللعب والخراف والهوس، واستثنى المكاء والتصدية مع أنهما ليسا من جنس الصلاة تقريعا للمشركين بتركهم ما أمروا به في المسجد الحرام، فإن ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض كقصد المدح والذم؛ فعلى هذا يكون التقدير وما كان موضع صلاتهم أي عوضها إلا مكاء وتصدية.

(فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) هذا التفات إلى مخاطبة الكفار تهديدا لهم ومبالغة في إدخال الروعة في قلوبهم، والمراد به عذاب الدنيا كيوم بدر، وعذاب الآخرة، قال الضحاك: يعني أهل بدر عذبهم الله بالقتل والأسر.." [٢]

"والمراد بالقول كل ما يدل على مراد الله تعالى وقضائه في يوم الحشر، وهو يوم يقول كن، من أمر تكوين، أو أمر ثواب، أو عقاب، أو خبر بما اكتسبه الناس من صالح الأعمال وأضدادها، فكل ذلك من قول الله في ذلك اليوم وهو حق.وخص من بين الأقوال أمر التكوين لما اقتضاه التقديم من تخصيصه بالذكر كما علمت.

وللمفسرين في إعراب هذه الآية وإقامة المعنى من ذلك مسالك أخرى غير جارية على السبل الواضحة.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٣/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٠/٥

وقوله: ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ جملة مستقلة وانتظامها كانتظام جملة ﴿ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ إلا أن في تقديم المسند إليه على المسند قصر المسند إليه على المسند، أي الملك مقصور على الكون له لا لغيره لرد ما عسى أن يطمع فيه المشركون من مشاركة أصنامهم يومئذ في التصرف والقضاء.والمقصود من هذا الظرف تهويل ذلك اليوم.

والنفخ في الصور مثل ضرب للأمر التكويني بحياة الأموات الذي يعم سائر الأموات، فيحيون به ويحضرون للحشر كما يحضر الجيش بنفخ الأبواق ودق الطبول.والصور: البوق.وورد في الحديث: "أن الملك الموكل بنفخ الصور هو إسرافيل، ولا يعلم كنه هذا النفخ إلا الله تعالى".ويوم النفخ في الصور هو يوم يقول: كن فيكون، ولكنه عبر عنه هنا بـ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ لإفادة هذا الحال العجيب، ولأن اليوم لما جعل ظرفا للقول عرف بالإضافة إلى جملة ﴿يقول كن فيكون﴾ .ولما جعل اليوم ظرفا للملك ناسب أن يعرف اليوم بما هو من شعار الملك والجند.

وقد انتصب ﴿يوم ينفخ﴾ على الظرفية، والعامل فيه للاستقرار الذي في قوله: ﴿وله الملك﴾ .ويجوز أن يجعل بدلا من ﴿يوم يقول كن فيكون﴾ ويجعل ﴿وله الملك﴾ عطفا على ﴿قوله الحق﴾ على أن الجميع جملة واحدة.

وعن ابن عباس: "الصور هنا جمع صورة"، أي ينفخ في صور الموجودات.

ولما انتهى المقصود من الإخبار عن شؤون من شأن الله تعالى أتبع بصفات تشير إلى المحاسبة على كل جليل ودقيق ظاهر وباطن بقوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ .وجاء أسلوب الكلام على طريقة حذف المخبر عنه في مقام تقدم صفاته.فحذف المسند إليه في مثله تبع لطريقة الاستعمال في تعقيب الأخبار بخبر أعظم منها يجعل فيه المخبر عنه مسندا." (١)

"**والصور: البوق الذي** ينفخ فيه النافخ للتجمع والنفير، وهو مما ينادى به للحرب وينادى به للصلاة عند اليهود كما جاء في حديث بدء الأذان من صحيح البخاري. وتقدم ذكر الصور عند قوله تعالى: ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ في سورة الأنعام.

وأسند نفخ إلى الجمهور لأن المعتنى به هو حدوث النفخ لا تعيين النافخ. وإنما ينفخ فيه بأمر تكوين من الله تعالى، أو ينفخ فيه أحد الملائكة وقد ورد أنه الملك إسرافيل.

والمقصود التفريع الثاني في قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ إلى آخره لأنه مناط بيان الرد على قول قائلهم: ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾ المردود إجمالا بقوله تعالى: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ فقدم عليه ما هو كالتمهيد له وهو قوله: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ إلى آخره مبادرة بتأييسهم من أن تنفعهم أنسابهم أو استنجادهم.

والأظهر أن جواب إذا هو قوله الآتي: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ كما سيأتي وما بينهما كله اعتراض نشأ بعضه عن بعض.

وضمير بينهم عائد إلى ما عادت عليه ضمائر جمع الغائبين قبله وهي عائدة إلى المشركين.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٦

ومعنى نفي الأنساب نفي آثارها من النجدة والنصر والشفاعة لأن تلك في عرفهم من لوازم القرابة. فقوله: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ كناية عن عدم النصير.

والتساؤل: سؤال بعضهم بعضا. والمعنى به التساؤل المناسب لحلول يوم الهول، وهو أن يسأل بعضهم المعونة والنجدة، كقوله تعالى: ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ .

وأما إثبات التساؤل يومئذ في قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ فلذلك بعد يأسهم من وجود نصير أو شفيع. وفي البخاري: أن رجلا هو نافع بن الأزرق الخارجي قال لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وقال: ﴿وأقبل بعضهم على." (١)

"سورة الطور [٤٨] وقوله: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ في سورة الإنسان [٢٤] فيناسب نداءة ب ﴿ياأيها المدثر﴾ [المدثر:١] لأنه تدثر من شدة وقع رؤية الملك، وترك ذكر المضاف لتذهب النفس إلى كل ما هو من شأن المضاف إليه مما يتعلق بالمخاطب.

ويجوز أن تكون اللام للتعليل، وحذف متعلق فعل الصبر، أي اصبر لأجل ربك على كل ما يشق عليك.

وتقديم ﴿لربك﴾ على "اصبر" للاهتمام بالأمور التي يصبر لأجلها مع الرعاية على الفاصلة، وجعل بعضهم اللام في ﴿لربك﴾ لام التعليل، أي اصبر على أذاهم لأجله، فيكون في معنى: إنه يصبر توكلا على أن الله يتولى جزاءهم، وهذا مبني على أن سبب نزول السورة ما لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين.

والصبر تقدم عند قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ في [البقرة: ٤٥]

وفي التعبير أن الله بوصف "ربك" إيماء إلى أن هذا الصبر بر بالمولى وطاعة له.

فهذه ست وصايا أوصى الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في مبدأ رسالته وهي من جوامع كلامه أراد الله بها تزكية رسوله وجعلها قدوة لأمته.

[٨-١٠] ﴿فإذا نقر في الناقور، فذلك يومئذ يوم عسير، على الكافرين غير يسير﴾ .

الفاء لتسبب هذا الوعيد عن الأمر بالإنذار في قوله: ﴿فأنذر﴾ [المدثر:٢]، أي فأنذر المنذرين وأنذرهم وقت النقر في الناقور وما يقع يومئذ بالذين انذروا فأعرضوا عن التذكرة، إذ الفاء يجب أن تكون مرتبطة بالكلام الذي قبلها.

ويجوز أن يكون معطوفا على ﴿فاصبر﴾ [المدثر:٧] بناء على أنه أمر بالصبر على أذى المشركين.

و ﴿الناقور﴾ : **البوق الذي** ينادى به الجيش ويسمى الصور وهو قرن كبير، أو شبهه ينفخ فيه النافخ لنداء ناس يجتمعون إليه من جيش ونحوه، وقال خفاف بن ندبة:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٢/١٨

إذا ناقورهم يوم تبدى ... أجاب الناس من غرب وشرق

ووزنه فاعول وهو زنة لما يقع به الفعل من النقر وهو صوت اللسان مثل الصفير." (١)

"و ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من ﴿يوم الفصل﴾ .

وأضيف ﴿يوم﴾ إلى جملة ﴿ينفخ في الصور﴾ فانتصب ﴿يوم﴾ على الظرفية وفتحته فتحة إعراب لأنه أضيف إلى جملة أولها معرب وهو المضارع.

وفائدة هذا البدل حصول التفصيل لبعض أحوال الفصل وبعض أهوال يوم الفصل.

والصور: البوق. وهو قرن ثور فارغ الوسط مضيق بعض فراغه ويتخذ من الخشب أو من النحاس، ينفخ فيه النافخ فيخرج منه الصوت قويا لنداء الناس إلى الاجتماع، وأكثر ما ينادى به الجيش والجموع المنتشرة لتجتمع إلى عمل يريده الآمر بالنفخ.

وبني ﴿ينفخ﴾ إلى النائب لعدم تعلق الغرض بمعرفة النافخ وإنما الغرض معرفة هذا الحادث العظيم وصورة حصوله.

والنفخ في الصور يجوز أن يكون تمثيلا لهيئة دعاء الناس وبعثهم إلى الحشر بهيئة جمع الجيش المتفرق لراحة أو تتبع عدو فلا يلبثون أن يتجمعوا عند مقر أميرهم.

ويجوز أن يكون نفخ يحصل به الإحياء لا تعلم صفته فإن أحوال الآخرة ليست على أحوال الدنيا، فيكون النفخ هذا معبرا به عن أمر التكوين الخاص وهو تكوين الأجساد بعد بلاها وبث أرواحها في بقاياها. وقد ورد في الآثار إن الملك الموكل بهذا النفخ هو إسرافيل، وقد تقدم ذكر ذلك غير مرة.

وعطف ﴿تأتون﴾ بالفاء لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب.

والإتيان: الحضور بالمكان الذي يمشي إليه الماشي فالإتيان هو الحصول.

وحذف ما يحصل بين النفخ في الصور وبين حضورهم لزيادة الإيذان بسرعة حصول الإتيان حتى كأنه يحصل عند النفخ في الصور فتحيون فتسيرون فتأتون.

وأفواجا حال من ضمير ﴿تأتون﴾ ، والأفواج: جمع فوج بفتح الفاء وسكون الواو، والفوج: الجماعة المتصاحبة من أناس مقسمين باختلاف الأغراض، فتكون الأمم أفواجا، ويكون الصالحون وغيرهم أفواجا قال تعالى: ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها﴾ [الملك:٨] الآية.

والمعنى: فتأتون مقسمين طوائف وجماعات، وهذا التقسيم بحسب الأحوال." (٢)

"السابع : أنه مَنْصُوبٌ على الظرف ، والناصب له معنى الجملة التي هي " قوله الحق " أي : حق قوله في يوم يقول : كن.

الثامن : أنه مَنْصُوبٌ بمحذوف دلَّ عليه بالحق.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٩/٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ٢٨/٣٠

قال الزمخشري : وانْتِصَابُ اليوم بمحذوف دلَّ عليه قوله : " بالحق " ، كأنه قيل : " وحين يكون ويقدر يقوم بالحق " قال أبو حيان : " وهذا إعراب مُتَكَلَّفٌ ".

قوله : " فيكون " هي هنا تامَّةٌ ، وكذلك قوله : "كُنْ " فتكتفي هنا بمرفوع ، وتحتاج إلى منصوب ، وفي فاعلها أربعة أوجه : أحدها : أنه ضمير جميع ما يخلقه الله – تعالى – يوم القيامة ، كذا قَيَّدَهُ أبو البقاء بيوم القيامة.

وقال مكي : " وقيل : تقدير المضمر في " فيكون " جميع ما أراد " ، فأطلق ولم يُقَيِّدْهُ وهذا أوْلَى وكأن أبا البقاء أخذ ذلك من قرينة الحال.

الثاني : أنه ضمير الصُّور المنفوخ فيها ، ودَلَّ عليه قوله : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [طه : ١٠٢].

الثالث : هو ضمير اليوم ؛ أي : فيكون ذلك اليوم العظيم.

الرابع : أن الفاعل هو " قوله " و " الحق " صفته ؛ أي : فيوجد قوله الحق ، ويكون الكلام على هذا تامًّا على " الحق ".

قوله " قولهُ الحَقُّ " فيه أربعة أوجه : أحدها : أنه مبتدأ ، و " الحق " نعته ، وخبره قوله : " يوم يقول ".

والثاني : أنه فاعلٌ لقوله : " فيكون " و " الحق " نعته أيضاً ، وقد تقدَّم هذان الوجهان.

الثالث : أن " قوله " مبتدأ ، و " الحق " خبره أخبر عن قوله بأنه لا يكون إلاَّ حقًّا.

والرابع : أنه مبتدأ أيضاً ، و " الحق " نعته ، و " يوم يُنفَخُ " خبره وعلى هذا ففي قوله : " وله الملك " ثلاثة أوجه : أحدها : تكون جُمْلَةً من مبتدأ وخبر معترضة بين المبتدأ وخبره ، فلا محل لها حنئيذ من الإعراب.

والثاني : أن يكون " الملك " عطفاً على " قوله " و " أل " فيه عوض عن الضمير ، و " له " في محلِّ نصب على الحال من " الملك " العامل فيه الاسْتِقْرَارُ ، والتقدير : قوله الحق ، وملكه كائناً له يوم ينفخ ، فأخبر عن القول الحق والملك الذي لله بأنهما كائنانِ في يوم ينفخ في الصُّورِ.

٢٢٤

الثالث : أن الجملة من " وله الملك " في محل نصبٍ على الحال ، وهذا الوجه ضعيف لشيئين : أحدهما : أنها تكون حالاً مؤكّدة ، والأصل أن تكون مؤسّسة.

الثاني : أن العامل فيها معنوي ؛ لأنه الاستقرار المُقَدَّرُ في الظرف الواقع خبراً ، ولا يجيزه إلا الأخفش ، ومن تابعه ، وقد تقدَّم تقرير مذهبه.

قوله : " يَوْمَ يُنْفَخُ " فيه ثمانية أوجه : أحدها : أنها خبر لقوله تعالى : " قوله الحق " ، وقد تقدم تحقيقه.

الثاني : أنه بَدَلٌ من " يوم يقول " فيكون حُكْمُهُ ذاك.

الثالث : أنه طرف لـ " تحشرون " أي : وهو الذي إليه تحشرون في يوم يُنْفَخُ في الصور.

الرابع : أنه منصوب بنفس المُلْك ، أي : وله المُلْكُ في ذلك اليوم.

فإن قيل : يلزم من ذلك تقييد الملك بـ " يوم النَّفْخ " ، والملك له كل وقت.

فالجواب : ما تقدم في قوله " الحق " ، وقوله : ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر : ١٦] وقوله : ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾

[الانفطار : ١٩] وهو أن فائدة الإخبار بذلك أنه أثبت المُلْكَ والأمْرَ في يوم لا يمكن لأحد أن يدعي فيها شيئاً من ذلك.

الخامس : أنه حالٌ من المُلْكِ ، والعامل فيه " له " لما تضمنه من معنى الفعل.

السادس : أنه منصوب بقوله : " يقول ".

السابع : أنه مَنْصُوبٌ بعالم الغيب بعده.

الثامن : أنه منصوبٌ بقوله تعالى : " قوله الحق " فقد تحصَّل في كل من اليومين ثمانية أوجه.

والجمهور على " يُنْفَخُ " مبنياً للمفعول بياء الغيبة ، والقائم مقام الفاعل الجار بعده.

وقرأ أبو عمرو في رواية عبد الوارث : " نَنْفُخُ " بنون العظمة مبنياً للفاعل.

والصُّورُ : الجمهور علي قراءته ساكن العين وقرأه الحسن البصري بفتحها.

فأما قراءة الجمهور ، فاختلفوا في معنى " الصُّور " [فيها] فقال جماعة الصور : جمع " صُورة " كالصُّوف جمع " صوفة " ، والثوم جمع " ثومة " ، وهذا ليس جمعاً صِنَاعيًّا ،

٢٢٥

وإنما هو اسم جنس ، إذ يفرق بينه وبين واحد بتءا التأنيث ، وأيَّدُوا هذا القول بقراءة الحسن المتقدمة.

وقال جماعة : الصُّور هو القَرْنُ.

قال مجاهد كَهَيْئَةِ البُوقِ ، وقيل : هو بلغة أهل اليمن ، وأنشدوا : [السريع أو الرجز] ٢٢٠٥ - نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْن

بِالشَّامِخَاتِ فِي غُبَارِ النُّقْعَينْ

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٢٣

نَطْحاً شَدِيداً لا كَنَطْحِ الصُّورَيْنْ

" (١).

"عن الحسن أيضاً " ويُحْشَرُ " مبنيًّا للمفعول " المُجْرِمُونَ " رفع به و " زُرْقاً " حال من المجرمين ، والمراد زرقةُ العُيون ، وجاءت الحال هنا بصفة تشبه اللازمة ، لأن أصلها على عدم اللزوم ، ولو قلتَ في الكلام : جاءَنِي زيدٌ أزرق العينين لم يجز إلا بتأويل.

فصل قيل : الصور قرن ينفخ فيه بدعائه الناس للحشر.

وقيل : إنه جمع صورة ، والنَّفخُ نفخ الرُّوح فيه ، ويدل عليه قراءة من قرأ " الصُّوَر " بفتح الواو.

والأول أولى لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر : ٨] والله تعالى يعرف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شُوهِدَ في الدنيا ، ومن عادة الناس النفخُ في البوق عند الأسفار وفي العساكر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٩٠

والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك : ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً﴾ فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم ، فهو كقوله : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ [النبأ : ١٨].

والزرقة هي الحضرة في سواد العين ، فيُحْشَرُون زرق العيون سود الوجوه.

فإن قيل : أليس أنَّ الله تعالى أخبر يُحْشَرُونَ عُمْياً فكيف يكون أعمى وأزرق ؟

٣٨٣

فالجواب لعله يكون أعمى في حال : وأزرق في حال.

وقيل : " زُرْقاً " أي عُمْياً ، قال الزجاج : يخرجون زُرْقاً في أول الأمر ويُعْمَون في المحشر.

وسوادُ العين إذا ذهب تزرق.

فإن قيل : كيف يكون أعمى ، وقد قال الله تعالى : ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم : ٤٢] وشخوص البصر من الأعمى محال ، وأيضاً قد قال في حقهم : ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ﴾ والأَعْمَى كيف يقرأ ؟ فالجواب أن أحوالهم قد تختلف.

وقيل : المراد بقوله : " زُرْقاً " أي زرق العيون ، والعرب تتشاءَمُ بها.

وقيل يجتمع مع الزرقة سواد الوجه.

قال أبو مسلم : المراد بالزرقة شخوص أبصارهم ، والأزرق شاخص فإنه لضعف بصره يكون محدِّقاً نحو الشيء ، وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره ، وهي كقوله : ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : " زُرْقاً " عِطَاشاً ، قال لأنهم من شدة العطش يتغير سوادُ أعينهم حتى تزرَقُّ لقوله تعالى : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم : ٨٦] وحكى ثعلب عن ابن الأعرابي : " زُرْقاً " طامعين (فيما لا يَنَالُونَه).

فصل قالت المعتزلة : لفظُ المجرمين يتناول الكفار والعُصاة فيدل على عدم العفو عن

٣٨٤

العصاة.

وقال ابن عباس : يريدُ بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلهاً آخر وتقدم هذا البحث.

قوله : " يَتَخَافَتُونَ " يجوزُ أن يكون مستأنفاً ، وأن يكونَ حالاً ثانية من " المُجْرِمينَ " ، وأن يكونَ حالاً من الضمير المستتر في " زرقاً " فتكون حالاً متداخلة ، إذ هي حال (من حال).

ومعنى " يَتَخَافَتُونَ " أي : يتشاوَرُونَ فيما بينهم ، ويتكلمون خفية ، يقال : خَفَتَ يَخْفِتُ ، وخَافَتَ مُخَافَتَة ، والتَّخافُت السرار نظيره قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ [طه : ١٠٨] ، وإنما يتخافتون ، لأنه إمتلأت صدورُهُمْ من الرعب والهول ، أو لأنهم بسبب الخوفِ صارُوا في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر.

وقوله : " إن لَبِثْتُمْ " هو مفعول المارة ، وقوله : " إلاَّ عَشْراً " يجوز أن يراد الليالي ، وحذف التاء من العدد قياسي.

وأن يراد الأيام ، فيُسْأَل لِمَ حذفت التاء ؟ فقيل : إنه إذا لم يذكر المميز في عدد المذكر جازت التاء وعدمها ، سمع من كلامهم : صُمْنَا من الشهر خَمْساً ، والصَّوْمُ إنما هو الأيام ، دون اللَّيالي.

وفي الحديث " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وأَتْبَعَهُ بستّ مِنْ شَوَّال " ، وحسن الحذف هنا لكونه رأس آية وفاصلة.

٣٨٥
." (١)

"قال الزمخشري : " الفاء " في قوله : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ لتسبيب ، كأنه قال : اصبر على أذاهم ، فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه.

والفاء في " فإذا " متعلقة بـ " أنذر " ، أي : فأنذرهم إذا نقر في الناقور.

قاله الحوفيُّ.

وفيه نظر من حيث أن الفاء تمنع من ذلك ، ولو أراد تفسير المعنى لكان سهلاً ، لكنه في معرض تفسير الإعراب لا تفسير المعنى.

الثاني : أن ينتصب بما دل عليه قوله تعالى : ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

قال الزمخشري : فإن قلت : بم انتصب " إذا " ، وكيف صح أن يقع " يومئذ " ظرفاً لـ " يوم عسير " ؟ .

قلت : انتصب " إذا بما دل عليه الجزاء ؛ لأن المعنى : فإذا نقر في الناقون عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز ووقع " يومئذ " ظرفاً لـ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ ، إذ المعنى فذلك يوم النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يقع ، ويأتي حين يُنقر في النَّاقُور ، انتهى.

ولا يجوز أن يعمل فيه نفس " عسير " ؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها عند البصريين ، ولذلك رد على الزمخشري قوله : أن " في أنفسهم " متعلق بـ " بَلِيغاً " في سورة " النساء " في قوله تعالى ﴿وَقُل لَّهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ [النساء : ٦٣] والكوفيون يجوزون ذلك وتقدم تحريره.

الثالث : أن ينتصب بما دل عليه " ذلك " ؛ لأنه إشارة إلى النقر ، قاله أبو البقاء ، ثم قال : " و " يومئذ " بدل من " إذا " ، و " ذلك " مبتدأ ، والخبر ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ ، أي : نقر يوم ".

الرابع : أن يكون " إذا " مبتدأ ، و " فذلك " خبره ، والفاء مزيدة فيه ، وهو رأي الأخفش.

وأما " يَومَئِذٍ " ففيه أوجه : أحدها : أن يكون بدلاً من " إذا " ، وقد تقدم ذلك في الوجه الثالث.

الثاني : أن يكون ظرفاً لـ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ كما تقدم في الوجه الثاني.

الثالث : أن يكون ظرفاً لـ " ذلك " ، لأنه أشار به إلى النقر.

الرابع : أنه بدل من " فذلك " ولكنه مبنيّ لإضافته إلى غير متمكن.

الخامس : أن يكون " فذلك " مبتدأ ، و ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبره ، والجملة خبر " فَذلِكَ ".

قوله : " نُقِرَ " ، أي : صوت ، يقال : نقرت الرجل إذا صوت له بلسانك ، وذلك بأن تلصق لسانك بنقرة حنكك ، ونقرتُ الرجل : إذا خصصته بالدعوة كأنك نقرت له بلسانك مشيراً إليه ، وتلك الدعوة يقال لها : النقرى ، وهي ضد الدعوة الجفلى ؛ قال الشاعر : [الرمل]

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٠٤

٥٠٣
٤٩٥٥ – نَحْنُ فِي المشْتَاةِ نَدْعُو الجَفلَى
لا تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرْ
جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٥٠٢
وقال امرؤ القيس : [الرجز]
٤٩٥٦ – أنَا ابْنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ
يريد : النقر ، أي الصوت ، والنقر في كلام العرب : الصوت ؛ قال امرؤ القيس : [الطويل] ٤٩٥٧ – أخَفَّضُهُ بالنَّقْر لمَّا عَلوْتهُ
ويَرْفعُ طُرْفاً غَيْرَ جَافٍ غَضِيضِ
والناقور : " فاعول " منه كالجاسوس من التجسس ، وهو الشيء المصوّت فيه.
قال مجاهد وغيره : وهو **كهيئة البوق ،** وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك.
والنقير : فرع الشيء الصلب ، والمنقار : الحديد التي ينقر بها ، ونقرت عينه : بحثت على أخباره استعارة من ذلك ، ونقرته : أعبته.
ومنه قول امرأة لزوجها : مر بي على بني نظر ، ولا تمر بي على بنات نقر ، أرادت : ببني نظر الرجال لأنهم ينظرون إليها ، وبينات نقر : النساء ، لأنهن يعبنها وينقرن عن أحوالها.
قوله : ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.
فيه خمسة أوجه : أحدها : أن يتعلق بـ " عسير ".
الثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه نعت لـ " عَسِيرٌ ".
الثالث : أنه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكنّ في " عَسِيرٌ ".
الرابع : أن يتعلق بـ " يسير " ، أي : غير يسير على الكافرين قاله أبو البقاء.
إلا أن فيه تقديم معمول المضاف إليه على المضاف ، وهو ممنوع ، وقد جوزه بعضهم إذ كان المضاف " غير " بمعنى النفي ، كقوله : [البسيط] ٤٩٥٨ – إنَّ امْرَأً خَصَّنِي يَوْماً مودَّتهُ
عَلى التَّنَائِي لعِنْدِي غَيْرُ مَكْفُورِ
٥٠٤
". (١)

"١٧٣٨٠- حدثنا أبو عبد الله الطهراني، أنبأ حفص بن عمر، ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، في قوله: " ونفخ في الصور " ، قال:"الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة، فإذا نفخ نفخة البعث،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥١٠١

قال الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره... أعظم من سبع سماوات ومن الأرض، قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور".

١٧٣٨١- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: " ونفخ في الصور " ، قال:"كهيئة البوق".

١٧٣٨٢- حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ العباس، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " ونفخ في الصور " أي:"في الخلق".

١٧٣٨٣- حدثنا الحسين بن الحسن، ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، أنبأ حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: " الصور " البوق، قال مجاهد:"هو القرن، صاحبه آخذ به فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف ا القرن بين طرفيه وبين قدر قبضة أو نحوها، قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته، وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب".." (١)

"وأخرج مسدد في مسنده ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر والطبراني عن ابن مسعود قال : الصور كهيئة القرن ينفخ فيه.

وأخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : الصور كهيئة البوق.

وأخرج ابن ماجه والبزار ، وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال صاحبا القرن ممسكين بالصور ينتظران متى يؤمران.

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان.

وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في البعث عن ابن عباس

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر كيف نقول يا رسول الله قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل." (٢)

"الصفير يخلطون بذلك كله على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه قال : المكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية التصفيق.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله ﴿إلا مكاء﴾ قال : كانوا يشبكون أصابعهم ويصفرون فيهن ﴿وتصدية﴾ قال : صدهم الناس.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه قال : كان المشركون يطوفون بالبيت على الشمال وهو قوله ﴿وما كان

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢١١/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩٧/٦

صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ فالمكاء مثل **نفخ البوق** ، والتصدية طوافهم على الشمال.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك رضي الله عنه في قوله ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ قال : يعني أهل بدر عذبهم الله بالقتل والأسر.

الآيات ٣٦ - ٣٧

وأخرج ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في." (١)

"وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال : لا تقل قد دعوتهم فلم يقبل مني عد فادعهم ﴿ولربك فاصبر﴾ على ذلك.

أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ قال : الصور ﴿يوم عسير﴾ قال : شديد.

وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ قال : فإذا نفخ في الصور.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه وأبي مالك وعامر مثله.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد رضي الله عنه قال : الناقور الصور شيء كهيئة البوق.

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر قالوا : كيف نقول يا رسول الله قال : قولوا حسبنا الله ونعم والوكيل على الله توكلنا.

". (٢)

" صفحة رقم ٤٧٩

الثبات هو لازم الجمع ، وقوب من الغبار : اغبر - إما لأن من يحفر ذلك بغير ، وإما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة .

ومن مهموزة : قأب الطعام - كمنع أكله ، والماء : شربه كقبئه - كفرح ، أو شرب كل ما في الإناء ، وقئب من الشراب : تملأ ، وهو مقأب - كمنبر : كثير الشرب للماء ، وإناء قوأب : كثير الأخذ للماء - فهو كما ترى جمع مخصوص بالأكل والشرب ، أو أنه جمعه في وقبة بطنه .

ومن الواوي : بقاه بعينه : نظر إليه - فهو من الحفظ اللازم للجمع ، وابقه بقوتك مالك ، وبقاوتك مالك أي احفظه حفظك مالك ، وبقوته : انتظرته - وهو يرجع إلى الثبات والمراقبة التي ترجع إلى الحفظ ، ويلزم الحفظ الثبات .

ومن اليائي : بقي الشيء بقاء : ثبت ودوام ضد فني ، والاسم البقوي - كدعوى ، ويضم ، والبقيا - بالضم والبقية ، وقد توضع الباقية موضع المصدر .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١٩/٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٩/١٥

ومن واويه : البوقة : الجمع والدفعة من المطر الشديد أو المنكرة تنباق – أنها نزلت من وقبة لشدتها ، والبوائق : العوائد – لأنها جامعة لمن اعتادها ، والبوائق : الشر – لأنه معلك ، فكأنه موقع في المهالك ، والبوق – بالضم : شبه منقاب ينفخ فيه الطحان ، أو الذي ينفخ فيه مطلقا ويرمز – لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، والوبق أيضا : الباطل والزور – لأن صوته أشبع شيء بذلك ، والمبوق – كمعظم : الكلام الباطل ، والبوق – بالفتح : من لا يكتم السر – **لأن البوق متى** نفخ فيه صوت ، والبوقة : شجرة دقيقة – لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن وقع فيه وقبه ، والبائقة : الداهية – كأنها تدفع من أتته في الوقبة ، وانباقت عليه بائقة : انفتقت ، وباق : جاء بالشر والخصومات – من ذلك ، وكذا باق ، أي تعدى على إنسان ، وانباق به : ظلمه ، والبائقة القوم : أصابتهم ، كانباقت عليهم ، أي خرجت لشدتها من وقبة ، والباقة : الحزمة من بقل – لاجتماعها ، وباق بك : طلع عليك من غيبة – كأنه كان في حفرة فخرج ، ومنه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنهم ، وباق القوم عليه : اجتمعوا فقتلوه ظلما ، وباق المال : فسد وبار – كحال من وقع في حفرة ، ومنه متاع بائق : لا ثمن له ، وتبوق في الماشية : وقع فيها الموت وفشا ، والحاق باق : صوت الفرج عند الجماع – لأنه من الجمع ، ولأن الفرج وقبة ، ومن مهموزة : بأقتهم الداهية بؤوقا : أصابتهم ، وانبأق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .

ومن الواوي ، والوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، والوقب والوقبة : نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ، وقيل : هي نحو البئر في الصفا تكون قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، وكل نقر في الجسد وقب كنقر العين والكتف ، والوقبان من الفرس : هزمتان." (١)

"ثم ذكر تعالى الآية في " الليل " وكونه وقت سكون واتداع لجميع الحيوان والمهم من ذلك بنو آدم وكون " النهار مبصرا " أي ذا إبصار وهذا كما تقول ليل قائم ونهار صائم ومعنى ذلك يقام فيه ويصام فكذلك هذا معناه يبصر فيه فهو لذلك ذو إبصار ثم تجوز بأن قيل " مبصرا " فهو على النسب كعيشه راضية والآيات في ذلك هي للمؤمنين والكافرين هي آية لجميعهم في نفسها لكن من حيث الانتفاع بها والنظر النافع إنما هو للمؤمنين فلذلك خصوا بالذكر ثم ذكر تعالى يوم " ينفخ في الصور " وهو القرن في قول جمهور الأمة وهو مقتضى الأحاديث وقال مجاهد هو **كهيئة البوق** **وقالت** فرقة الصور جمع صورة كتمرة وتمر وجمرة وجمر والأول أشهر وفي الأحاديث المتداولة إن إسرافيل عليه السلام هو صاحب الصور وأنه قد جثا على ركبته الواحدة وأقام الأخرى وأمال خده والتقم القرن ينتظر متى يؤذن له في النفخ وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي نفخة الفزع وروى أبو هريرة أن الملك له في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة إنما هي نفختان كأنهم جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى " ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " وقالوا أخرى لا يقال إلا في الثانية .

قال القاضي ابو محمد والقول الأول أصح و " أخرى " يقال في الثالثة ومنه قول ربيعة بن مكدم " الكامل "

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٩/٤

(ولقد شفعتهما بآخر ثالث
(
ومنه قوله تعالى " ومناة الثالثة الأخرى "
(وأما قول الشاعر " مجزوء الكامل "
(جعلت لها عودين من
نشم وآخر من ثمامه)
فيحتمل أن يريد به ثانيا وثالثا فلا حجة فيه وقال تعالى " ففزع " وهو أمر لم يقع بعد إشعارا بصحة وقوعه وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل وقوله تعالى " إلا من شاء الله " استثناء فيمن قضى الله تعالى من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيدة أن لا ينالهم فزع
النفخ في الصور قال أبو هريرة هي في الشهداء وذكر الرماني أنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل هي في جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإذا كان الفزع الأكبر لا ينالهم فهم حريون أن لا ينالهم هذا .
(١) ".

" صفحة رقم ٢٢٩
(النمل : (٨٧ - ٩٠) ويوم ينفخ في . . . . .
" ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون " ( ) ويوم ينفخ في الصور
(وهو يوم النشور من القبور وفيه ثلاثة أقاويل
: أحدها : أن الصور جمع صورة ، والنفخ فيها إعادة الأرواح إليها .
الثاني : أنه شيء ينفخ فيه كالبوق يخرج منه صوت يحيا بن الموتى .
الثالث : أنه مثل ضربه الله لإحياء الموتى في وقت واحد بخروجهم فيه كخروج الجيش إذا أنذروا **بنفخ البوق فاجتمعوا** في الخروج وقتا واحدا .
) ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شآء الله (وفي هذا الفزع هنا قولان :
أحدهما : أنه الإجابة والإسراع إلى النداء من قولك فزعت إليه من كذا إذا أسرعت إلى ندائه في معونتك قال الشاعر :
كنا إذا ما أتانا صارخ فزع
كان الصراخ له قرع الظنابيب
فعلى هذا يكون) إلا من شاء الله (استثناء لهم من الإجابة والإسراع إلى النار .

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣٢٣/٤ .

ويحتمل من أريد بهم وجهين :

أحدهما : الملائكة الذين أخروا عن هذه النفخة .

والقول الثاني : إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لأنهم." (١)

"ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن -[١٣٢]- مجاهد، قوله: " ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ [النمل: ٨٧] قال **كهيئة البوق "**." (٢)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: " **الصور: البوق قال**: هو البوق، صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن ، بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها، قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار، فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدمها ، عقبها تحت فخذه وأليته ، وأطراف أصابعها في التراب "." (٣)

"[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٨٣ الى ٩٣]

ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاؤ قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون (٨٤) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون (٨٥) ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦) ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧)

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون (٩٠) إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين (٩١) وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المـنـذرين (٩٢)

وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون (٩٣)

قوله عز وجل: ويوم نحشر من كل أمة فوجا جماعة ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون إلى النار، وقال ابن عباس: يوزعون:

يدفعون حتى إذا جاؤ يوم القيامة قال الله سبحانه لهم أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوا حق معرفتها أما ذا كنتم تعملون فيها من تكذيب أو تصديق، وقيل: هو توبيخ، أي ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها، ولم تتفكروا فيها؟ ووقع القول ووجب العذاب عليهم بما ظلموا أشركوا فهم لا ينطقون لأن أفواههم مختومة. وقال أكثر المفسرين: فهم لا

(١) النكت والعيون ، ٤/٢٢٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/١٣١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/١٣٢

ينطقون بحجة وعذر، نظيره قوله سبحانه:

هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون «١» ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه إن في ذلك الذي ذكرت لآيات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون قوله تعالى: ويوم ينفخ في الصور وهي النفخة الأولى.

أخبرنا محمد عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن يزيد الصيرفي قال:

حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أسباط قال: حدثنا سلمان التميمي «٢» ، عن أسلم العجلي، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصور، فقال:

«قرن ينفخ فيه» «٣» [١٢١] .

وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وعلى هذا أكثر

---

(١) سورة المرسلات: ٣٥- ٣٦.

(٢) في النسخة الثانية: التيمي.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ١٦٢. [.....]."[1]

"قال عكرمة: الناقور: الصور. قال مجاهد: (هو) شيء كهيئة [البوق].

- ثم قال: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾.

أي: كل - يا محمد - أمر هذا الذي خلقته في بطن أمه وحيدا لا شيء له من مال ولا ولد، يعني بذلك الوليد بن المغيرة المخزومي. قال ابن عباس: " أنزل الله في الوليد بن المغيرة ﴿ذرني﴾ ﴿ومن خلقت وحيدا﴾. [وقوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين. . .﴾ [الحجر: ٩٢] إلى آخرها.

وقيل: معناه: دعني يا محمد ومجازاة من خلقته وحده، فيكون " وحيدا]." [2]

"قال ابن عباس: الناقور: الصور (١)، وهو قرن (٢).

وقال مجاهد: شيء **كهيئة البوق** (٣) (٤).

قال مقاتل: يعني إذا انفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل (٥) (٦). يعني: النفخة الثانية (٧).

---

(١) في (أ): الصوت.

(٢) ورد قوله في: "جامع البيان" ٢٩/ ١٥١، و"النكت والعيون" ٦/ ١٣٨، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٣٩٣، وانظر: "صحيح البخاري" ٤/ ١٩٤: كتاب الرقاق. باب ٤٣.

(**٣) البوق الذي** ينفخ فيه ويزمر، ملتوي الخرق ينفخ فيه الطحان، فيعلو صوته فيعلم المراد به. "لسان العرب" ١٠/

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢٦/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٨٢٤/١٢

٣١: مادة: (بوق).

(٤) ورد قوله في "جامع البيان" ٢٩/ ١٥١، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٦٨، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٤٧١، و"الدر المنثور" ٨/ ٣٢٨، وعزاه إلى عبد بن حميد. وانظر: "صحيح البخاري" ٤/ ١٩٤: كتاب الرقاق: باب ٤٣.

(٥) إسرافيل: قال ابن حجر اشتهر أن صاحب الصور "إسرافيل" عليه السلام. ونقل فيه الحليمي الإجماع، ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه، وفي حديث أبي سعيد البيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه، وكذا في حديث الصور الطويل. فتح الباري: ١١/ ٣٦٨.

(٦) "تفسير مقاتل" ٢١٤/ ب.

(٧) الذي يظهر أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين. الأولى: يحصل بها الصعق، والثانية: يحصل بها البعث. قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (٦٨)﴾ [الزمر: ٦٨]. والنفخة الثانية: هي النفخ بالصور كما قال تعالى: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (٤٩) فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون (٥٠) ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٥١)﴾ [يس:٤٩ - ٥١].

انظر: "تفسير ابن كثير" ٣/ ٥٨١، و"اليوم الآخر: القيامة الكبرى" د. عمر الأشقر ٣٩.." [1]

"أي: تجمعون في الموقف للحساب.

﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهارا للحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته، ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ قيل: هو راجع إلى السموات والأرض والخلق، بمعنى: القضاء والتقدير، أي كل شيء قضاه وقدره قال له: كن، فيكون.

وقيل: يرجع إلى القيامة، يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق: موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون، ﴿قوله الحق﴾ أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ يعني: ملك الملوك يومئذ زائل، كقوله: "مالك يوم الدين"، وكما قال: "والأمر يومئذ لله"، والأمر له في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصور: قرن ينفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصور وهو جمع الصورة، وهو قول الحسن: والأول أصح.

والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله [بن أبي توبة أنا أبو طاهر المحاربي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا أبو عبد الله] (١) بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ قال: "قرن ينفخ فيه" (٢) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الصفار

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤١٣/٢٢

أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر"؟ فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: "قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (٣) .

وقال أبو العلاء عن عطية: متى يؤمر بالنفخ فينفخ.

---

(١) ساقط من "أ".

(٢) أخرجه الترمذي في القيامة، باب ما جاء في الصور: ٧ / ١١٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن سليمان التيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه، وأخرجه أيضا في التفسير: ٩ / ١١٦. وأخرجه الدارمي في الرقاق، باب في نفخ الصور: ٢ / ٣٢٥، وصححه الحاكم: ٢ / ٥٠٦، و٤ / ٥٦٠ ووافقه الذهبي. وابن حبان ص (٦٣٧) من موارد الظمآن، والإمام أحمد في المسند: ٢ / ١٦٢، ١٩٦.

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في الصور: ٧ / ١١٧-١١٨ وقال هذا حديث حسن، وقد روي من غير هذا الوجه عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وأخرجه في تفسير سورة الزمر: ٩ / ١١٦، وصححه الحاكم من حديث ابن عباس: ٤ / ٥٥٩، وابن حبان ص (٦٣٧) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤ / ٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس ... وفي أسانيد كل منها مقال". وأخرجه المصنف في شرح السنة:" ١٥ / ١٠٣ وقال: هذا حديث حسن.." (١)

"ثم ذكر تعالى الآية في الليل وكونه وقت سكون واتداع لجميع الحيوان والمهم من ذلك بنو آدم، وكون النهار مبصرا أي ذا إبصار، وهذا كما تقول ليل قائم ونهار صائم، ومعنى ذلك يقام فيه ويصام، فكذلك هذا، معناه يبصر فيه فهو لذلك ذو إبصار، ثم تجوز بأن قيل مبصرا فهو على النسب كعيشة راضية، و «الآيات» في ذلك هي للمؤمنين والكافرين، هي آية لجميعهم في نفسها، لكن من حيث الانتفاع بها والنظر النافع إنما هو للمؤمنين فلذلك خصوا بالذكر، ثم ذكر تعالى يوم ينفخ في الصور، وهو القرن في قول جمهور الأمة، وهو مقتضى الأحاديث، وقال مجاهد: هو كهيئة البوق، وقالت فرقة: «الصور» جمع صورة كتمرة وتمر وجمرة وجمر والأول أشهر، وفي الأحاديث المتداولة أن إسرافيل عليه السلام هو صاحب «الصور» وأنه قد جثا على ركبته الواحدة وأقام الأخرى وأمال خده والتقم القرن ينتظر متى يؤذن له في النفخ، وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي نفخة الفزع، وروى أبو هريرة أن الملك له في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر، ونفخة الصعق، ونفخة القيام من القبور، وقالت فرقة إنما هي نفختان كأنهم جعلوا الفزع والصعق في نفخة واحدة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [الزمر: ٦٨] وقالوا: أخرى لا يقال إلا في الثانية.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٥٧/٣

قال القاضي أبو محمد: والقول الأول أصح، وأخرى [الزمر: ٦٨] يقال في الثالثة ومنه قول ربيعة بن مكدم: [الكامل] «ولقد شفعتهما بآخر ثالث» ومنه قوله تعالى: ومناة الثالثة الأخرى [النجم: ٢٠] .

وأما قول الشاعر: [مجزوء الكامل]

جعلت لها عودين من ... نشم وآخر من ثمامه

فيحتمل أن يريد به ثانيا وثالثا فلا حجة فيه، وقال تعالى: ففزع وهو أمر لم يقع بعد إشعارا بصحة وقوعه وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل، وقوله تعالى: إلا من شاء الله استثناء فيمن قضى الله تعالى من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن لا ينالهم فزع النفخ في الصور، قال أبو هريرة: هي في الشهداء، وذكر الرماني أنه قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقال مقاتل: هي في جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وإذا كان الفزع الأكبر لا ينالهم فهم حريون أن لا ينالهم هذا.

قال القاضي أبو محمد: على أن هذا في وقت ترقب وذلك في وقت أمن إذ هو إطباق جهنم على أهلها، وقرأ جمهور القراء «وكل آتوه» على وزن فاعلوه، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم «أتوه» على صيغة الفعل الماضي وهي قراءة ابن مسعود وأهل الكوفة، وقرأ قتادة «أتاه» على الإفراد اتباعا للفظ «كل» وإلى هذه القراءة أشار الزجاج ولم يذكرها، و «الداخر» المتذلل الخاضع، قال ابن زيد وابن عباس: «الداخر» الصاغر، وقرأ الحسن «دخرين» بغير ألف، وتظاهرت الروايات بأن الاستثناء في هذه الآية إنما أريد به الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وهم أهل للفزع لأنهم بشر لكن فضلوا بالأمن في ذلك اليوم.." (١)

"(٥٣٤) روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور، فقال: «هو قرن ينفخ فيه. وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق. وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نحن نطحنا غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين «١»

وأنشد الفراء:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ... ولا خراسان حتى ينفخ الصور «٢»

وهذا اختيار الجمهور.

والثاني: أن الصور جمع صورة يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله قتادة، وأبو عبيدة. وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مجلز، وأبو المتوكل «في الصور» بفتح الواو. قال ثعلب: الأجود أن يكون الصور: القرن، لأنه قال عز وجل: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ثم قال: ثم نفخ فيه أخرى ولو كان الصور، كان: ثم نفخ فيها، أو فيهن وهذا يدل على أنه واحد وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٧٢/٤

(٥٣٥) وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه

حسن صحيح. أخرجه أبو داود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في «الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ١٩٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٦ و ٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠ وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٢٤٣ والمزي في «تهذيب الكمال» ٤/ ١٣٠ وابن المبارك في «الزهد» ١٥٩٩.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ و ٣١ و ٣٢ وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر اهـ.
باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا. هـ. وقال البوصيري، في ١/ ٢١: تابعيه مجهول. وجاء في الفتح

---

(١) الرجز في «غريب القرآن» : ٢٦ بدون نسبة، والأول والثالث في «اللسان» صور. والضابحات: الخيل.
(٢) البيت: بدون نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٠ واللسان: صور. وابن جعدة هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي. والقهندز: بضم القاف والهاء وسكون النون وضم الدال من لغة خراسان، يعنون بها الحصن أو القلعة. وقد استشهد الفراء وابن جرير على أن العرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصور.." [1]
"المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو ننفخ بفتح النون كقوله: ونحشر وقرأ الباقون ينفخ على ما لم يسم فاعله ونحشر بالنون لأن النافخ ملك التقم الصور والحاشر هو الله تعالى، وقرئ يوم ينفخ بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام، وأما: يحشر المجرمين فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة.
المسألة الثانية: في الصور قولان: أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس إلى المحشر. والثاني:
أنه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويدل عليه قراءة من قرأ: الصور بفتح الواو والأول أولى لقوله تعالى:
فإذا نقر في الناقور [المدثر: ٨] والله تعالى يعرف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة الناس النفخ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤٥

في البوق عند الأسفار وفي العساكر.

المسألة الثالثة: المراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لأن قوله بعد ذلك: ونحشر المجرمين يومئذ زرقا كالدلالة على أن النفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو نظير قوله: يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا [النبأ: ١٨] ، أما قوله: ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قالت المعتزلة قوله: المجرمين يتناول الكفار والعصاة فيدل على عدم العفو عن العصاة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلها آخر، وقد تقدم هذا الكلام.

المسألة الثانية: اختلفوا في المراد بالزرقة على وجوه: أحدها: قال الضحاك ومقاتل: يعني زرق العيون سود الوجوه وهي زرقة تتشوه بها خلقتهم والعرب تتشاءم بذلك، فإن قيل: أليس أن الله تعالى أخبر أنهم:

يحشرون عميا فكيف يكون أعمى وأزرق؟ قلنا: لعله يكون أعمى في حال وأزرق في حال. وثانيها: المراد من الزرقة العمى. قال الكلبي: زرقا أي عميا، قال الزجاج: يخرجون بصراء في أول مرة ويعمون في المحشر.

وسواد العين إذا ذهب تزرق فإن قيل: كيف يكون أعمى ، وقد قال تعالى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار [إبراهيم: ٤١] وشخوص البصر من الأعمى محال، وقد قال في حقهم: اقرأ كتابك [الإسراء: ١٤] والأعمى كيف يقرأ. فالجواب: أن أحوالهم قد تختلف. وثالثها: قال أبو مسلم: المراد بهذه الزرقة شخوص أبصارهم والأزرق شاخص لأنه لضعف بصره يكون محدقا نحو الشيء يريد أن يتبينه وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره وهو كقوله: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار [إبراهيم: ٤١] . ورابعها: زرقا عطاشا هكذا رواه ثعلب عن ابن الأعرابي قال: لأنهم من شدة/ العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرق ويدل على هذا التفسير قوله تعالى: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦] . وخامسها: حكى ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

طامعين فيما لا ينالونه. الصفة الثالثة: من صفات الكفار يوم القيامة قوله تعالى: يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا وفيه مسائل:

المسألة الأولى: يتخافتون أي يتسارون. يقال: خفت يخفت وخافت مخافتة والتخافت السرار وهو نظير قوله تعالى: فلا تسمع إلا همسا [طه: ١٠٨] وإنما يتخافتون لأنه امتلأت صدورهم من الرعب والهول أو لأنهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر.." (١)

"النوع الرابع: من السحر: التخيلات والأخذ بالعيون، وهذا الأخذ مبني على مقدمات: إحداها: أن أغلاط البصر كثيرة، فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا. وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركا والمتحرك يرى ساكنا، والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة، والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيما، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيما، فإذا فارقته وارتفعت عنه صغرت، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيرا فظاهر، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٨/٢٢

الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة، وثانيها: أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفا تاما إذا أدركت المحسوس في زمان له مقدار ما، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدا ثم أدركت بعده محسوسا آخر وهكذا فإنه يختلط البعض بالبعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض، وذلك فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطا كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت، فإن الحس يرى لونا واحدا كأنه مركب من كل تلك الألوان، وثالثها: أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء، فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به ألبتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه، فلا يعرفه ولا يفهم كلامه، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر، وكذا الناظر في المرآة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها، إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة، وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئا مما في المرآة، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر، وذلك لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ ءيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة، فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين، أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني: سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم: إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا، فإن البصر يفيد البصر كلالا واختلالا، وكذا الظلمة الشديدة/ وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة

على أحوالها، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى، مثل: فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر، وكفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار **ضرب البوق من** غير أن يمسه أحد، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية، حتى يفرق فيها ضحك السرور وبين ضحك الخجل، وضحك الشامت، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلا." (١)

"هارب ولا يدركها طالب.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله، يعني المسجد الحرام.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣/٦٢٤

تكلمهم من الكلام، وقيل من الكلم إذ قرئ «تكلمهم» .
وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه.
أن الناس كانوا بآياتنا خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله تعالى، وقيل القرآن، وقرأ الكوفيون أن الناس بالفتح. لا يوقنون لا يتيقنون، وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله عز وجل أو علة خروجها، أو تكلمها على حذف الجار.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٨٣ الى ٨٥]
ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاؤ قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون (٨٤) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم ل ا ينطقون (٨٥)
ويوم نحشر من كل أمة فوجا يعني يوم القيامة. ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج أي فوجا مكذبين، ومن الأولى للتبعيض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين. فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم.
حتى إذا جاؤ إلى المحشر. قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب، أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحققها. أما ذا كنتم تعملون أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك، وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك.
ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك. بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله. فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٨٦]
ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦)
ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل، لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون إلا بقدرة قاهر، وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان، وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم. أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار. والنهار مبصرا فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الأمور الثلاثة.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٨٧]

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧)

ويوم ينفخ في الصور في الصور أو القرن، وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. ففزع من في السماوات ومن في الأرض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه. إلا من شاء الله أن لا يفزع بأن يثبت قلبه. قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل الحور والخزنة وحملة العرش، وقيل الشهداء، وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لأنه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك.

وكل أتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية، أو راجعون إلى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على." (١)

"مجاهد: الصور قرن **كهيئة البوق ويدل** على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور؟ «قال قرن ينفخ فيه» أخرجه أبو داود والترمذي.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه» فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا، وربما قال توكلنا على الله» أخرجه الترمذي. وقال أبو عبيدة: الصور جمع صورة والنفخ فيه إحياؤها بنفخ الروح فيها. وهذا قول الحسن ومقاتل. والقول الأول أصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى في آية أخرى: ثم نفخ فيه أخرى: ولإجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين، نفخة الصعق، ونفخة البعث للحساب.

وقوله تعالى: عالم الغيب والشهادة يعني أنه تعالى ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن عمله شيء وهو الحكيم يعني في جميع أفعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧٤ الى ٧٦]

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين (٧٤) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين (٧٥) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦)

قوله تعالى: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن إسحاق والكلبي والضحاك: آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان: آزر وتارح مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وإن كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبو إبراهيم من كوثي وهي قرية من سواد الكوفة. وقال سليمان التيمي: آزر سب وعيب. ومعناه في كلامهم المعوج. وقيل: الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن في القرآن ألفاظا قليلة فارسية.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/١٦٨

وقيل: هو المخطئ فكان إبراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق. وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: آزر اسم صنم كان والد إبراهيم يعبده وإنما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسما له فهو كقوله: يوم ندعوا كل أناس بإمامهم وقيل: معناه وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والصحيح هو الأول أن آزر اسم لأبي إبراهيم لأن الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين أن اسمه تارح ففيه نظر لأنهم إنما نقلوه عن أصحاب الأخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم.

وقد أخرج البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة» الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تارخ فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارخ والله أعلم.

وقوله تعالى: أتتخذ أصناما آلهة معناه: اذكر لقومك يا محمد قول إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك. والأصنام: جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الإنسان وهو الوثن أيضا إني أراك وقومك في ضلال مبين يعني: يقول إبراهيم لأبيه آزر: إني أراك وقومك الذين يعبدون الأصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن أبصر ذلك فإنه لا يشك أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي." (١)

"عن الحسن أيضا» ويحشر «مبنيا للمفعول» المجرمون «رفع به و» زرقا «حال من المجرمين، والمراد زرقة العيون، وجاءت الحال هنا بصفة تشبه اللازمة، لأن أصلها على عدم اللزوم، ولو قلت في الكلام: جاءني زيد أزرق العينين لم يجز إلا بتأويل.

فصل

قيل: الصور قرن ينفخ فيه بدعائه الناس للحشر. وقيل: إنه جمع صورة، والنفخ نفخ الروح فيه، ويدل عليه قراءة من قرأ» الصور «بفتح الواو.

والأول أولى لقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر: ٨] والله تعالى يعرف الناس أمور الآخرة بأمثال ما شوهد في الدنيا، ومن عادة الناس النفخ **في البوق عند** الأسفار وفي العساكر. والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية لقوله بعد ذلك: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ فالنفخ في الصور كالسبب لحشرهم، فهو كقوله: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ [النبأ: ١٨] . والزرقة هي الحضرة في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. فإن قيل: أليس أن الله تعالى أخبر يحشرون عميا فكيف يكون أعمى وأزرق؟." (٢)

"٤٩٥٥ - نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر

وقال امرؤ القيس: [الرجز]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٢٥/٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٣/١٣

٤٩٥٦ – أنا ابن ماوية إذ جد النقر ... يريد: النقر، أي الصوت، والنقر في كلام العرب: الصوت؛ قال امرؤ القيس: [الطويل]

٤٩٥٧ – أخفضه بالنقر لما علوته ... ويرفع طرفا غير جاف غضيض

والناقور: «فاعول» منه كالجاسوس من التجسس، وهو الشيء المصوت فيه.

قال مجاهد وغيره: وهو كهيئة البوق، وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك.

والنقير: فرع الشيء الصلب، والمنقار: الحديدة التي ينقر بها، ونقرت عينه: بحثت على أخباره استعارة من ذلك، ونقرته: أعبته.

ومنه قول امرأة لزوجها: مر بي على بني نظر، ولا تمر بي على بنات نقر، أرادت: ببني نظر الرجال لأنهم ينظرون إليها، وبينات نقر: النساء، لأنهن يعبنها وينقرن عن أحوالها.

قوله: ﴿على الكافرين﴾ . فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن يتعلق ب «عسير» .

الثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه نعت ل «عسير» .

الثالث: أنه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكن في «عسير» .

الرابع: أن يتعلق ب «يسير» ، أي: غير يسير على الكافرين قاله أبو البقاء.

إلا أن فيه تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، وهو ممنوع، وقد جوزه بعضهم إذ كان المضاف «غير» بمعنى النفي، كقوله: [البسيط]

٤٩٥٨ – إن امرأ خصني يوما مودته ... على التنائي لعندي غير مكفور." (١)

"وإنما هو اسم جنس، إذ يفرق بينه وبين واحد بتاء التأنيث، وأيدوا هذا القول بقراءة الحسن المتقدمة.

وقال جماعة: الصور هو القرن.

قال مجاهد كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وأنشدوا: [السريع أو الرجز]

٢٢٠٥ – نحن نطحناهم غداة الجمعين ... بالشامخات في غبار النقعين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين ... وأيدوا ذلك بما ورد في الأحاديث الصحيحة، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال:» قرن ينفخ فيه «وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» كيف أنعم وصحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر «. فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ فقال:» قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل «.

وقيل في صفته: إنه قرن مستطيل في أبخاش، وأن أرواح الناس كلهم فيه، فإذا نفخ فيه إسرافيل خرجت روح كل جسد من بخش من تلك الأبخاش.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٥٠٤

وأنكر أبو الهيثم على من ادعى أن الصور جمع» صورة «، فقال:» وقد اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرنا كما أنكروا العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور جمع «صورة» ، كالصوف جمع الصوفة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة، وهذا خطأ فاحش، وتحريف لكلام الله – عز وجل – عن مواضعه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤] و «نفخ في الصور» فمن قرأها: و «نفخ في الصور» أي بالفتح، وقرأ «فأحسن صوركم» أي بالسكون فقد افترى الكذب على الله – عز وجل – وكان أبو عبيدة صاحب أخبار غريبة ولم يكن له معرفة بالنحو «.

قال الأزهري: قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل السنة والجماعة انتهى.

[قال السمين: ولا ينبغي أن ينسب ذلك إلى هذه الغاية التي ذكرها أبو الهيثم] .

قال ابن الخطيب ومما يقوي هذا الوجه أنه لو كان المارد نفخ الروح في تلك الصورة لأضاف ذلك إلى نفسه، لأن نفخ الأرواح في الصور يضيفه الله إلى نفسه؛ كقوله: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩] وقال: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ [." (١)

"تسحب على صرف الليالي ولا ترع ... فجرمك منسي وحبك لابث

وكل أذى تأتيه كيما تملني ... فذاك على ألا أملك باعث

وقال الحسين بن الضحاك:

كأني إذا فارقت شخصك ساعة ... لفقدك بين العالمين غريب

وقد رمت أسباب السلو فخانني ... ضمير عليه من هواك رقيب

فما لي إلى ما تشتهين مسارع ... وفعلك مما لا أحب قريب

أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة ... وغضي على أشياء منك تريب

كأن لم يكن في الناس قبلي متيم ... ولم يك في الدنيا سواك حبيب

إلى الله أشكو إذ ذكرت فلم يكن ... بشكواي من عطف الحبيب نصيب

وقال محرز العكلي:

يظل فؤادي شاخصا من مكانه ... وراء الغواني مستهاما متيما

إذا قلت مات الشوق منه تنسمت ... له أريحيات الصبى فتنسما

وقال آخر:

لعمرك ما يدري غني بن مالك ... لعل الهوى بعد التجلد قاتله

وما تحدث الأيام والدهر لم تزل ... لليلى كثيرات الهوى وقلائله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٦/٨

وقال قيس بن ذريح:

وإني وإن أزمعت عنها تجلدا... على العهد فيما بيننا لمقيم

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا ... إلى الله فقد الوالدين يتيم

ولبعض أهل هذا العصر:

أبى لي الوفاء دوام الجفا ... وحل الحنين عديم العزا

قعدت إلى الوصل مستعطفا ... وقد كنت قبل شديد الإبا

وإني لفي طول كتم الهوى ... وستريه عنك بفرط الجفا

كمن **ينفخ البوق مستخفيا** ... ويضرب بالطبل تحت الكسا

فيا قلب ويحك كن حازما ... إذا تاه رام سبيل النجا

ولا تك ذا عزمة جاهلا ... إذا ما اعتدى لج في الاعتدا

فسل الحقود برعي العهود ... وداو الجفاء برعي الوفا

فأوجع من حمل عتب الصفا ... زوال الصفاء وقطع الإخا

فسامح هواك وكن مدنفا ... أحب الدواء لحب الشفا

وأنشدني أحمد بن يحيى لمجنون بني عامر:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري

وزادني غيره:

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فاجزع لا أغرك بالصبر

فهذا على كل حال أقرب إلى درجة الكمال لأنه إنما يخبر أن اشتياقه ظهر بعد أن كان كامنا وأنه عرض على قلبه العزاء فأبى عليه إلا الوفاء وظهور الشوق بعد كمونه أحسن من رجوع العشق بعد سكونه وفي هذا المعنى الذي اخترناه.

يقول امرؤ القيس:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا ... وحلت سليمى بطن خبت فعرعرا

كنانية باتت وفي الصدر ودها ... مجاورة النعمان والحي يعمرا

وفي ضده هذا المعنى الذي ذممناه بقول الملتمس:

صبا من بعد سلوته فؤادي ... وأسمح للقرينة بالقياد

كأني شارب يوم استقلوا ... وحث بهم إلى الموماة حادي

عقارا عتقت في الدن حتى ... كأن حبابها حدق الجراد

وقال البحتري:

عناني من صدودك ما عناني ... وعاودني هواك كما بداني
وذكرني التباعد ظل عيش ... لهونا فيه أيام التداني
ألام على هوى الحسناء ظلما ... وقلبي في يد الحسناء عاني
وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لزياد بن منقذ:
لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ... ولا شعوب هوى منا ولا نقم
وحبذا حيث تمسي الريح باردة ... وادي أشي وفتيان به هضم
ألموسعون إذا ما جر غيرهم ... على العشيرة والكافون ما جرموا
لم ألق بعدهم قوما فأخبرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم
مخدمون ثقال في مجالسهم ... وفي الرجال إذا صاحبتهم خدم." (١)

"فقدتك يابن أبي طاهر ... وجرعت ثكلك قبل العشاء
فلا برد شعرك برد الشراب ... ولا حر شعرك حر الصلاء
يذبذب قبلك بين الفنون ... فلا للطبيخ ولا للشواء
وقال غيره
وشعر كبعر الكبش مزق بينه ... لسان دعي في القريض وأخبل
وقال الآخر
ألم تر أن شعري سار عني ... وشعرك حول بيتك لا يسير
وله في ضرطة وهب المنسرح
يا ضرطة تخلق الزمان وما ... تبرح إحدى الطرائف الجدد
أرسلها صاحب البريد كما ... قوض بعض الهضاب من أحد
سارت بلا كلفة ولا تعب ... سير القوافي الأوابد الشرد
كأنما طارت الرياح بها ... فألحقتها بكل ذي بعد
لو أن أخباره كضرطته ... إذن كفته مؤونة البرد
وله في ذلك
حيا أبو حسن وهب أبا حسن ... بضرطة طيرت عثنونه خصلا
ثم استمرت فسارت في البلاد له ... كأنما أرسلت من دبره مثلا
وله فيه
يا وهب ذا الضرطة لا تبتئس ... فإن للأستاه أنفاسا

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٦٤

واضرط لنا أخرى بلا حشمة ... كأنما خرقت قرطاسا

وله في غيره

ضرطة في قفاك يحسبه السا ... مع ثوبا من الحرير يقط

وقال علي بن جبلة الهزج

حميد مفزع الأم ... ة في الشرق وفي الغرب

كأن الناس جسم وه ... ومنهم موضع القلب

وقال البحتري في أبي سعيد وقد حبس

وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

وقال الخثعمي لمالك بن طوق

فلا يحسب الواشون حبسك مغنما ... فإن إلى الإصدار ما غاية الورد

وما كنت إلا السيف جرد في الوغى ... فأحمد حينا ثم رد إلى الغمد

وقال إبراهيم بن العباس

وإذا جزى الله امرءا حسنا ... فجزى أخا لي ماجدا سمحا

ناديته عن كربة فكأن ... ناديت عن ليل به صبحا

ونحوه قول ابن المعتز

باتت ركائبنا إليك بنا ... يخبطن أهل النار والنبح

فكأن أيديهن دامية ... يفحصن ليلتهن عن صبح

وللبحتري يمدح علي بن مر

لا تعتب النائل المبذول همته ... وكيف يتعب عين الناظر النظر

توسط الدهر أحوالا فلا صغر ... من الخطوب التي تعرو ولا كبر

كالرمح أذرعه عشر وواحدة ... فليس يزري به طول ولا قصر

ومصعدة في هضاب المجد يطلعها ... كأنه لسكون الجأش منحدر

ما زال يسبق حتى قال حاسده ... له طريق إلى العلياء مختصر

ونحوه قوله

وإذا أبو الفضل استعار سجية ... للمكرمات فمن أبي يعقوب

شرف تتابع كابرا عن كابر ... كالرمح أنبوبا على أنبوب

وقال ابن الرومي يهجو رجلا كان مع ابن عبيد الله بن سليمان بقصيدة ذكرنا أبيات التشبيه منها

أرقت كأني بت ليلى على الجمر ... أراعي كرى بين السماكين والنسر

ولم لا وخنزير مهين يهينني ... فيقضي على نومي وأغضي على قسر
سأشكو إلى مستنكر النكر قاسم ... فينظر في أمري بناظرتي صقر
وجشمت نفسي فيك كل عظيمة ... إلى أن تكلفت الشفاعة من عمرو
فكان جوابي أن حجبت وهكذا ... يكون جواب المبتغي الغيث من قبر
فتى وجهه كالهجر لا وصل بعده ... وإما قفاه فـه و وصل بلا هجر
وعوج من عمرو تمكن حبله ... كما عوجت كف الصبي من السطر
ولوى عمرو لي لبلاب غيضة ... وطال فما يعني بذرع ولا حزر
وقد لقبوه نهر بوق تعسفا ... وفي الوغد أشباه من البوق والنهر
فللقد من طول كنهر معوج ... وللأنف منه نغمة البوق في الكفر
وقال المتلمس
وهل لي أم غيرها إن تركتها ... أبى الله إلا أن أكون لها ابنما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما
فلما استقاد الكف بالكف لم يكن ... له درك في أن يبين فأحجما
يداه أصابت هذه حتف هذه ... فلم تجد الأخرى عليها مقدما." (١)

"أعركم طول الجيوش وعرضها ... علي شروب للجيوش أكول
يقول أغركم كثرة رجالكم لا تغرنكم الكثرة فإن سيف الدولة يغلبكم وإن كثر عددكم وأراد بالشرب والأكل الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم شيء لأن ما شرب أو أكل لم تر له عين

إذا لم يكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل
هذا مثل ضربه يقول أنتم وإن كنتم أكثر عددا فن الظفر دونكم للأسد فلا تنفعكم كثرتكم كالفيل مع الليث فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد

إذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة ... هي الطعن لم يدخلك فيه عذول
إذا لم تدخلك الشجاعة في الطعن لم يدخلك فيه العذل يعني أن التحريض لا يحرك الجبان

فإن تكن الأيام أبصرن صوله ... فقد علم الأيام كيف تصول
أن أبصرت الأيام صولته على أهل الروم فقد علمها كيف تصول يعني أن الأيام تتعلم منه البأس

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٧١

فدتك ملوك لم تسم مواضيا ... فإنك ماضي الشفرتين صقيل

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ... ففي الناس بوقات لها طبول

الوق قد جاء في كلام العرب أنشد الأصميع، زمر النصارى زمرت في البوق، ومنه سميت الداهية بائقة ويقال أباق عليهم الدهر أي هجم عليهم كما يخرج الصوت **من البوق ويجمع** على بوقات وإن كان مذكرا وهو جائز كما قالوا حمام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير والمعنى أنك إذا كنت سيف الدولة فغيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة **بمنزلة البوق والطبل** أي لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك وعني ببعض الناس سيف الدولة هذا هو الظاهر من معنى البيت وقال أبو الفضل العروضي أراد بالبوق الطبل الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون في اشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره في الناس كالبوق والطبل اللذين هما لأعلام الناس بما يحدث

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله ... إذ القول قبل القائلين مقول

يقول أنا الذي أسبق واتقدم غيري إلى ما أقوله يعني أنه يخترع المعاني البكر الـتي لم يسبق غليها إذا قال ما سبق إليه

وما لكلام الناس فيما يريبني ... أصول ولا للقائليه أصول

أي ما يتكلم به حسادي فيما يريبني ليس له أصل ولا لهم أي انهم يكذبون علي فلا أصل لما يقولون لأنه كذب ولا أصل لهم أي لا نسب يعرف بذلك

أعادي على ما يوجب الحب للفتى ... وأهدأ والأفكار في تجول

أي أعادي على علمي وفضلي وتقدمي في الشعر وذلك مما يوجب الحب لا العداوة واسكن أنا وأفكاري تجول في ولا تسكن

سوى وجع الحساد داو فإنه ... إذا حل في قلب فليس يحول

أي لا تشتغل بمداواة حسد الحساد فإن الحسد إذا نزل في القلب لا يتحول عنه

ولا تطمعن من حاسد في مودة ... وإن كنت تبديها له وتنيل

وإنا لنلقي الحادثات بأنفس ... كثير الرزايا عندهن قليل

يهون علينا أن تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول

فتيها وفخرا تغلب ابنة وائل ... فأنت لخير الفاخرين قبيل

يقول لتغلب وهي قبيلة سيف الدولة أفخري وتيهي فأنت قبيل لخير من فخر يعني سيف الدولة

يغم عليا أن يموت عدوه ... إذا لم تغله بالأسنة غول

تغله تهلكه وتذهب به يقال غاله يقول إذا اهلكه والغول المهلك يقول الغم غول النفس والغضب غول الحلم يقول إذا مات عدوه حتف انفه ولم يحصل مقتولا بسنانه غمه ذلك

شريك المنايا والنفوس غنيمة ... فكل ممات لم يمته غلول
جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله يقول بينه وبين المنايا شركة في النفوس فكل منية لم تكن عن سيفه وسنانه فهو غلول من المنايا

فإن تكن الدولات قسما فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول
يقول إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب ومواضع القتال والموت الزؤام الوحي

لمن هو الدنيا على النفس ساعة ... وللبيض في هام الكماة صليل
يقول الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد في رؤوس الشجعان وتأخر مدحه فتعتب عليه فقال يعتذر إليه

بأدني ابتسام منك تحي القرائح ... وتقوى من الجسم الضعيف الجوارح." (١)

"٣١٤ - وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال: رأيته عدة دفعات لا أحصيها كثرة، يجلس في مجلس العمل، فإذا كثر عليه الشغل وضاق به صدره وغلبت عليه سوداؤه تركه مفكرا، ثم أخذ الدرج الذي بين يديه وخرق منه وفلته وتخلل به وأخرج من فيه وشمه ثم رمى به حيث وقع من حجور الناس أو وجوههم أو لحاهم أو عمائمهم، فاتفق في بعض الأيام أن وقع من ذلك واحدة في لحية أحمد بن عمر الطالقاني الكاتب، فصوت من فيه كصوت البوق، فتنبه سهل بن بشر من غفلته وقال: ما هذا! وشتمه أفحش شتم، وسبه أقبح سب، فقال له: نصب سيدنا الأستاذ في لحيتي هذا المطرد فظننت أنه يريد الخروج إلى بعض الأسفار، فضربت بالبوق ليعلم ذاك فيصحبه من يريد أن يصحبه ويسير معه فضحك منه الحاضرون.

٣١٥ - وقال القاضي: كان سهل حديدا سفيها شتاما للغلمان، ولم يكن يصبر على خدمته أحد، وشتم يوما بعض الفراشين، فتداخلت الفراش حمية الإسلام ودخل بقربته إلى حجرة خالية بعيدة عن الدار الكبيرة التي فيها الغلمان ليرش خيشا فيها، وقام سهل وراءه يتبعه ويشتمه، ورأى الفراش خلو الموضع من غيرهما، فصفعه بالقربة إلى قطعها على قفاه جميعا، ووقع سهل مغشيا عليه، فداس بطنه ولكم جنوبه، فلما شفى نفسه منه تركه يتخبط وخرج فأخذ ما كان له في خزانة الفراشين وانصرف، وبعد ساعة ما ظهر على سهل وعرف ما جرى عليه، وطلب الفراش بأصحاب الشرط والمراكز

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٦١

والجوازات فلم يوقف له على خبر.
وشتم يوما فراشا آخر فرد عليه، فنهض إليه، وعدا من بين يديه فقال له بحق محمد نبيك قف لي حتى ألحقك! فقال له: بحق عيسى ربك ارجع عني واتركني! وما زالا يعدوان حوالي البستان، وعثرا الفراش فوقعت عمامته فأخذه سهل ومازال يعضها ويخرقها ويقول: اشتفيت والله ثم رجع فجلس في مكانه.

٣١٦ - قال القاضي واجتمع النصارى بجنديسابور إلى مطرانهم وشكوا ما يجري من سهل عليهم من السب والشتم و ا لقذف والصفع، وأنهم لا يأمنون نفرة من المسلمين عليهم لأجله، وفتكة منهم بهم بسببه، فقال لهم أن أكفيكم ذاك في يوم الأحد عند حضوره في البيعة، وفعل المطران ذاك، واستقصى الخطاب له فيه، فقال له: أنت يا أبونا أحمق، إنما أخاطب الناس بما أخاطبهم به عن القائد لا عني، فإن لساني مستعار عنه، ومستأجر لهذا وغيره! فلعنه المطران، وانصرف سهل، وأراد أن يشتم رجلا فقال له: اسمع يا هذا قد وعظني المطران، وأنا رجل مستأجر مع هذا القائد، ولابد لي من أن أمتثل أمره وأؤدي عنه ما يقوله. وقد قال لك: يا زوج كذا وابن كذا ويا أخو كذا! وشتمه وسبه لم فعلت كذا وذكر له ما أراد موافقته عليه وبقي يقول ذلك مدة، ثم قال: هذا طويل، حر أم المطران، ورجع إلى ما كان عليه أولا.

٣١٧ - وقال القاضي كنت عنده يوما ونحن خاليان، فجاء الدواتي بكتاب فقرأه وطواه، وكتب عليه: "لأبي فلان فلان بن فلان من .. " ووقف ثم ق ا ل لي: ممن؟ فقلت: إما منك أو من الأمير! فقال: صدقت صدقت! وكتب.

٣١٨ - قال القاضي: وحدثني عبيد الله بن محمد الصرومي الشاعر، وكان منقطعا إلى سهل فقال: رأيته يوما وقد سقط غراب على حائط صحن داره، فنعب فتطير من صياحه، وأمر بصفع البواب لما مكن الغراب من دخول الدار.

٣١٩ - كان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن، فلما كثر ذاك على بلال قال له: يا خالد حدثني أحاديث الخلفاء فتخلط وتلحن لحن السقاءان فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب. وكف بصره فكان إذا مر به موكب بلال يقول: ما هذا؟ فيقال: الأمير، فيقول خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع.
فقيل ذلك لبلال فقال له: لا تتقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب! وأمر به فضرب مائتي سوط.
وكان خالد كثير الهفوات، لا يتأمل ما يقول، ولا يفكر فيما يبديه لسانه، وإنما هو قائل ما خطر بباله، ومن ذاك أن سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال: كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان؟ فقال مسرعا عجلا:
أبو منذر جار لها وابن برثن ... فيا لك جارى ذلة وصغار
فأعرض سليمان عنه، وكان حليما كريما.

وكان الحسن يقول: لسان العاقل من وراء قلبه، إذا عرض له القول نظر فيه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، ولسان الأحمق أمام قلبه، فإذا عرض له القول قاله، له أم عليه.." (١)

"أحد حرفي تضعيفه ياء، مثل دينار وقيراط كراهة أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله، مثل: ذنابة، وصنارة، ودنامة لأنه الآن أمن التباسه بالمصادر.

ومما جاء شاذا على أصله قولهم للرجل الطويل: خناب. انتهى.

فعول فعول

كل ما جاء على فعول فهو مفتوح الأول كسفود، وكلوب، وخروب، وعبود، وهبود، وهما جبلان، وقيوم، وديوم، وفلوج ودمون وهما موضعان، ومروت: واد، وبلوق: أرض لا تنبت، حيوت: ذكر الحيات، ماء بيوت إذا بات ليلة، وسهم صيوب، ومطر صيوب أيضا، وقوم سلوق: يتقدمون العسكر، وكيول: المتأخر عن العسكر، وسنوت، وكمون وفروج، وفروخ، وشبور: البوق، وقفور: نبت، ودبوس، وبلوط: شجر، وشبوط: ضرب من السمك، وتنوم: شجر، وزقوم.

إلا لفظين فقط فإنهما بالضم: سبوح وقدوس.

قاله في الجمهرة

وقال في باب آخر: تقول العرب: سبوح وقدوس وسمور وذروح وقد قالوا بالضم وهو أعلى، والذروح واحد الذراريح و ه و الدود الصغار.

وقال ابن درستويه في شرح الفصيح: وكل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح، والقدوس والذروح فإن الضم فيها أكثر وقد تفتح.

ولم يجيء عن العرب في شيء من كلامهم غير هذه الثلاثة خاصة وسائر نظائرها مفتوح.

ما آخره ال أوايل

كل اسم في لغة العرب آخره ال أو إبل فإنه يضاف إلى الله تعالى، نحو: شرحبيل، وعبد ياليل، وشراحيل، وشمهيل، وما أشبه هذا.

نقله في الجمهرة عن ابن الكلبي.

وقال ابن دريد إلا قولهم: زئجيل، فإنه الرجل الضئيل الجسم، وبنو زنجئيل: بطن من اليمن.

فعل ثانيه واو

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٧٩

كل اسم على فعل ثانيه واو، جائز أن يجمع على ثلاثة أوجه: كوز وكيزان وأكواز وكوزة، ونون ونينان وأنوان ونونة. رواه ابن مجاهد عن السمري عن الفراء.." (١)

"والمواغدة لعبة وأن تفعل كفعل صاحبك.

والباقر لعبة.

والبقيري لعبة.

والجعري لعبة الصبيان وهو أن يحمل الصبي بين أثنين على أيديهما.

والحاجورة لعبة تخط الصبيان خطا مدورا ويقف فيه صبي ويحيطون به ليأخذوه.

والدكر لعبة للزنج والحبش.

والسحارة شيء يلعب به الصبيان.

والسدر لعبة للصبيان.

والعرعرة لعبة للصبيان.

والشعارير لعبة.

والمنجار لعبة للصبيان أو الصواب الميجار.

والتوز خشبة يلعب بها بالكجة.

العرز عرز لفلان قبض على شيء في كفه ضاما عليه أصابعه يريه منه شيئا لينظر إليه ولا يريه كله.

والقفيزي لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها.

والنفاز لعبة لهم يتنافرون فيها أي يتواثبون.

والبكسة الكجة.

والحوالس لعبة للصبيان.

والدسة لعبة.

والدعسكة لعب للمجوس كالرقص.

والفسفسي لعبة لهم.

والفاعوس والفاعوس لعبة لهم.

والبوصاء لعبة لهم يأخذون عودا في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم.

والرقاصة لعبة.

والحوطة لعبة تسمى الدارة.

والخطة لعبة للأعراب.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ١٠٣/٢

والضبطة لعبة لهم.

والتضرفط وهو أن تركب أحدا رجليك من تحت إبطيه وتجعلهما على عنقه.

والمقط مقط الكرة ضرب بها الأرض ثم أخذها.

والضريفطية لعبة لهم.

والمرصاع دوامة الصبيان وكل خشبة يدحى بها.

واليرمع الخذروف وقلوبع لعبة لهم.

والجحفة اللعب بالكرة.

والخذروف شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي ويسمى أيضا الخذرة والقرصافة والخذروف أيضا طين يعجن يعمل شبيها بالسكر يلعب به الصبيان.

والزحلوفة تزلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله والعياف لعياف والطريدة لعبتان لهم.

وقاصة قرصافة لعبة لهم.

والحزقة ضرب من اللعب.

والدبوق لعبة.

والزحلوقة الارجوحة.

والشفلقة لعبة وهوان يكسع إنسانا من خلفه فيصرعه.

والعفقة لعبة.

والعقة التي يلعب بها الصبيان.

والقرق لعب السدر.

والكرك لعبة لهم.

ودبى حجل لعبة.

والدخيلياء لعبة لهم.

والدرقلة لعبة لل صبيان.

والدركلة لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هي حبشية.

والفئال لعبة للصبيان يخبون الشيء في التراب ثم يقسمونه ويقولون في أيها هو.

والفيال لعبة لفتيان العرب.

والدمة لعبة.

والدوامة التي يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى أيضا المرصاع.

والمرغمة لعبة لهم.

والشحمة لعبة لهم.

وعظم وضاح لعبة لهم.

والمهزام عود يجعل رأسه نار يلعبون به.

والبرطنة ضرب من اللهو كالبرطمة.

والتون خرقة يلعب عليها بالكجة.

والطبن لعبة لهم.

والقنين لعبة يتقامر بها.

والكبنة لعبة.

والدمة لعبة للصبيان.

والمجذاء خشبة مدورة تلعب بها الأعراب.

والمخاساة خاساه لاعبه بالجوز فردا أو زوجا.

والقزة لعبة.

والقلة عودان يلعب بها الصبيان.

لشحر فاه وشحاه وعجاه وزاد صراخا وضجيجا وهو يقول المرأة المرأة. إلا فلاعبوني بالمرأة. ولو إنك طربته.

بالرباب معروف.

والعرطبة العود أو الطنبور أو الطبل أو طبل الحبشة.

والكوبة البربط والطبل الصغير المخصر.

والدريج شيء كالطنبور يضرب به.

والصنج شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر وآلة باوتار يضرب بها معرب والصيار صوت الصنج.

والونج ضرب من الاوتار أو العود أو المعزف.

والعود معروف.

والمزمار ما يزمر به ويقال أيضا الزمخر والزنبق والصلبوب والنقيب والقصابة والهبنوقة.

والمزهر العود يضرب به.

والشبور البوق ويقال له ايضا القبع والقشع والقنع والصور.

والطنبور معروف.

والكنارات العيدان أو الدفوف أو الطبول أو الطنبور.

والكوس الطبل.

والبربط العود.

والشياع مزمار الراعي.

والهيرعة اليراعة يزمر بها الراعي.

والدف معروف.

والمستقة آلة يضرب بها الصنج ونحوه.

والعركل الدف والطبل.

والصغانة من الملاهي معربة.

والطبن الطنبور أو العود.

والقنين الطنبور.

والكران العود أو الصنج.

والون الصنج.

لظل فاغرا فاه وهو يزعق ويقول المرأة المرأة. إلا فطربوني بالمرأة. ولو اطعمته.

الجواذب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم.." (١)

"ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس، قال في التاج (٤: ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى، والمرجع أن أصل الكلمة من اليونانية (كلمة يونانية) ومعناها الهيكل والمدفن ومما ذكروه للنصارى (البوق) وهو النفير الذي ينفخ فيه أنشد الأصمعي (التاج ٦: ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكندي: "زمر النصارى زمرت في البوق".

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الأبواق في حفلاتهم.

ومن غريب ما نسبوا إلى النصارى إكرام (الوثن) كما مر سابقا وقالوا "الوثن الصليب" وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقوية عند النصارى (أصناما) .

كما دعاها جرير (بالزون) بمعنى الصنم أيضا، حيث قال (تاج العروس ٩: ٢٢٩) : "مشي الهرابذ حجوا بيعة الزون" وفي هذه الأقوال غلط فاحش لأن النصارى لم يعبدوا قط الوثن أو الصنم أو الزون، فضلا عن كون الهرابذة هم المجوس، وإنما يكرمون الصليب والصور لما تمثل لهم من شخص السيد المسيح المصلوب وأولياء الله، وشتان بين هذا وعبادة الأصنام.

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانية

أن أعلام الأشخاص في الأمم القديمة من أصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك أردنا أن نفرد بابا خاصا للإعلام النصرانية التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الإسلام فلعلها تزيدنا علما بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربية.

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١١٣

ومما ينبغي التنبيه إليه بادئ بد أن الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الآشوريين ثم اليونان ثم الرومان لا تفيدنا شيئا بالإطلاق على توحيدهم بل كثير منها على خلاف ذلك يوقفنا على عبادتهم للأوثان وخصوصا للشمس والقمر والكواكب كما أثبتنا ذلك في مقدمة القسم الأول من كتابنا هذا، وكذلك يستدل من تلك الأسماء أن العرب كانوا يعظمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الإعلام الدالة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها إلا بالقول أن العرب الهوا الطبيعة في مظاهرها من القوة والجمال والحياة فرأوا فيها تجليات معبوداتهم.

ومما يولي العجب أننا لا نجد بين هذه الإعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسما واحدا يثبت لنا ما زعمه بعض كتبة العرب بعد الإسلام حيث قالوا بلا سند أن العرب كانوا موحدين وأنهم اخذوا التوحيد عن إبراهيم الخليل وعن إسماعيل أبنه ثم توارثوه بتوالي الإعصار فالأعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى أن اسم إسماعيل أبي العرب عينه لم يرو لأحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك أننا نجد في تلك الأعلام مالا يدع شبها في شرك العرب كبقية الأمم.

هذا إلى عهد المسيح، وليس الأمر كذلك بعد ظهور النصرانية فإننا إذا استقرينا الأعلام العربية التي رواها أقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسط بين عهد السيد المسيح إلى ظهور الإسلام أمكنا أن نبين من تعدادها أن النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وان تلك السماء إنما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي ولعل البعض يرون أن عدد هذه الأعلام قليل بالنسبة إلى ما ذكرناه عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك: أولا أن العرب النصارى تبعوا غالبا في أسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون أن يمتازوا بأسماء جديدة لم يألفوها في سابق الأجيال.

ثانيا: أن منهم من كان له أكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعمودية يسمون أولادهم باسم يدل على نصرانيتهم وأما في المعاملات العادية فكانوا يطلقون عليهم اسما آخر مألوفا كمالك وصالح وحبيب وسعد.

ثالثا: لا بل نعرف من شهادة تاريخهم أن بعض النصارى في جزيرة العرب تسموا بأسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال ونسي معناها الأصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب إليه بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلا، وهكذا جرى أيضا ل نصارى اليونان والرومان والسريان فإنهم بعد تنصرهم تسموا بأسماء كان أصلها وثنيا مشيرا إلى معبوداتهم كمركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكن تلك الأسماء فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية.." (١)

"أحالت أي أتى عليها حول فتغيرت، وقال المرار الفقعسي (المفضليات ص٧٤٣) :

عفت الديار غير مثل الأنقس ... بعد الزمان عرفته بالقرطس

(ص٢٢١ س١ الورق) ورد في شعر جرير (نقائض ١٠٣) : أجدك ما تذكر أهل واد=كأن رسومها ورق الكتاب (س٤

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/١٠٢

الرق) روى ياقوت (٤: ٤٢٢) لعباد بن عوف المالكي قوله:

لمن الديار عفت بالجزع من رقم ... كما يخط بياض الرق بالقلم

(ص٢٢٣ س١٨ وشي الخط وتنميقه) من هذا الباب ما روى في المفضليات (ص٦٩٨) :

كتاب مجير هاج بصير ... ينمقه وجاذر أن يياعا

وروى ياقوت للقتال الكلابي (٢: ٣٦٤) :

تنير ونسدي الريح في عرصاتها ... كما نمنم القرطاس بالقلم والحبر

(ص٢٢٤ س٠ الدواة) جمعها دوى ودوي قال ابو ذؤيب (اللسان ١٨: ٣٠٦) :

عرفت الديار كخط الدوي ... م حيرة الكاتب الحميري

(ي١٤ المداد) منه قول عبد الله بن غنمة (المفصليات ٧٤٣) :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل ... كما رد في خط الدواة مدادها

و روى هناك لعدي بن الرقاع قوله يصف ثورا:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

(س١٨ النفس) روى ياقوت لمنظور بن فروة فيوصف آثار دار:

كأنها بعد سنين خمس ... خط كتاب معجم بنقس

روى لأبي زياد الكلابي (٤: ٩٧٥) :

أشاقتك الديار بهضب حرس ... كخط معلم ورقا بنقس

(ص٢٢٦ س الأران) هذه اللفظ أصلها من العبراني (عبراني) معناها الصندوق (J.As.1836b,p.282) .

(س١٠ الناؤوس) وقد مر معها ذكر الناموس (ص٢١٤) وهي يونانية (يوناني) ومعناها الشرع وقد وردكرها في الشعر العربي بمعنى الشرع المسيحي.

جاء في حيث ورقة بن نوفل (في الأغاني ٣: ١٥) : "ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى بن مريم".

ومن الألفاظ القرآنية التي بقت الإسلام لفظة الأبابيل جاء في سورة الرسول لابن هشام (ص٥٩٨) لأمية بن أبي الصلت:

حول شياطينهم أبابيل ... ربيون شدوا سنورا مدسورا (كذا)

س١٢ البوق) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص١٠٤١) في رثاء جرير للأخطل:

وتبكي بنات أبي مالك ... ببوق النصارى ومن مزمارها

(ص٢٢٧ س٢ الأعلام النصرانية) وممن صرحوا بذكر الأعلام النصرانية بين عرب الجاهلية المستشرق رينان في المجلة الأسيوية قال " L'Arabia anteisla-mique offre aussi beaucoup de noms chretiens" (Journ As, 1850,p.248) .

(ص٢٨ س٢٢ آدم) وفي البيان والتبيين للجاحظ (١: ٧٥) رجز لآدم مولى العنبر وكان اسم امرأته أم أيوب.

(ص٢٢٩ س٧ إبراهيم بن أيوب بن محروف) ويروى ابن محروف قال ابن الكلبي (ياقوت ٤: ٢٢٢) : "لا أعرف في

العرب الجاهلية من اسمه إبراهيم بن أيوب غيرهما وإنما سميا بذلك للنصرانية" فصواب أما قوله: "إنه لم يعرف غيرهما" فيردده ذكر الذين عددناهم هنا، إبراهيم بن أيوب هذا ينتهي نسبة إلى تميم ومن نسله مقاتل بن حسان الذي ينسب إليه قيصر مقاتل الذي كان بن عين تمر والشام.

(ص٢٣١ ي١٥ حنة) وذكلار في نقائض جرير (ص٩٤٣) : "حنة بنت نهشل ابن دارم كانت أمها ماوية بنت حوي بن سفيان بن مجاشع وأم قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد".

(ص٢٣٢ س١ داؤود) وممن عرف باسم داؤود في الجاهلية داؤد بن عروة ابن مسعود الذي تزوج حبيبة ابن عبيد الله بن جحش الذي ارتد عن الإسلام وتنصر (الطبري ٢: ٢٤٤٥) وورد في نقائض جرير ف حديث يوم تياس (ص١٠٢١) ذكر داؤد أحد بني ذؤيب، أما داؤود بن هبولة فهو الذي قتلة ثعلبة بن عامر الأكبر المعروف بالفاتك قتله يوم القرنين فقال:

نحن الألى أودت ظبات سيوفنا ... داؤد بين القرنتين بحارب

ثم راجع أخبار أبي داؤود الإيادي في الأغاني (٥: ٩٦) : (س٢٢ سليمان) اشتهر بهذا الاسم في الجاهلية وفي أول الإسلام سلمان الارسي قال الشيخ أبو الحسن النيسابوري في كتاب أسباب النزول: "أن سلمان كان من أهل جند نيسابور ومن رهبان المساطرة وأن في أصحابة نزت الآية (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (سورة البقرة عدد ٥٩) "..". [١]

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/٢٢٠